

عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ
عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ

- سر شناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴ - م.
- Amili, Jafar Murtada
- عنوان و نام پدیدآور : علی علیه السلام والخوارج / جعفر مرتضی العاملی.
- مشخصات نشر : قم: مرکز نشر و ترجمه آثار علامه محقق سید جعفر مرتضی عاملی، ۱۳۹۶.
- مشخصات ظاهری : ۲ ج.
- شابک : 978-600-7866-72-6
- وضعیت فهرست نویسی: فیپا
- یادداشت : عربی.
- موضوع : علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق.
- موضوع : Ali ibn abi-Talib, Imam I, 600-661'
- موضوع : خوارج
- موضوع : Kharijites
- رده بندی کنگره : BP۲۴۲ / ع۲ع۸ ۱۳۹۶
- رده بندی دیویی : ۲۹۷ / ۵۴
- شماره کتابشناسی ملی : ۴۸۲۴۱۲۱

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

ISBN:978-600-7866-72-6



کتابخانه ملی و اسنادخانه ایران
سید جعفر مرتضی العاملی

- اسم الكتاب: علی علیه السلام والخوارج
- اسم المؤلف: السيد جعفر مرتضی العاملی
- الناشر: مرکز نشر و ترجمه مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضی العاملی
- الطبعة: الأولى ۱۴۳۸ ق. = ۲۰۱۷ م. = ۱۳۹۶
- عدد المطبوع: ۲۰۰۰ نسخة
- سعر الدورة: ۶۰۰۰ توماناً

دفتر مرکزی: قم - پردیسان - بلوار سلمان - مجتمع شهید حکیم - بلوک ۵ - واحد ۱.
تلفن: ۰۲۵۳۲۵۰۰۳۲۹ - همراه: ۰۹۳۳۴۴۹۰۱۶۰ - WWW.NT-AMELI.COM

عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَوَالِي

السَّيِّدُ جَعْفَرُ مُرْتَضَى الْعَالَمِيَّاتِ

الجزء الثاني



مَكْتَبَةُ رَوَّادِ جَهَنَّمَ
السَّيِّدُ جَعْفَرُ مُرْتَضَى الْعَالَمِيَّاتِ



الباب الخامس:

التظاهر بالدين..

الفصل الأول:

الزهد والعبادة..

زهد الخوارج وعبادتهم:

لقد عرف عن الخوارج: أنهم عبّاد وزهّاد، همهم الدين، والآخرة، وليس لهم في الدنيا الزائلة مأرب ولا رغبة. وهذا هو ما يروج له الخوارج أنفسهم. وعرف عنهم أيضاً: أنهم قد وقذتهم العبادة، حتى أصبحت جباههم سوداء، وأصبحوا مضرب المثل في اجتهادهم في العبادة، وفي عزوفهم عن الدنيا، وتشددهم في الالتزام بالحكم الشرعي، هذا إلى جانب قراءتهم للقرآن، حتى عرفوا باسم القراء قبل ظهور الخلاف منهم على أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين.

كما أن مما عرف عنهم هو: الصعقة عند قراءة القرآن، فقد سئل أنس عن قوم يصعقون عند القراءة، فقال: «ذلك فعل الخوارج»^(١) «(٢)». ومعنى ذلك هو: أن ما يعرف بين الصوفية من التظاهر بحالات الوجد والغشية، والصعق عند قراءة القرآن.. قد يكون موروثاً عن الخوارج.

(١) راجع: العقود الفضية للحارثي الإباضي ص ٤٦ و ٤٧.

(٢) ربيع الأبرار ج ٣ ص ٥٨٧.

هذا هو رأي الأمويين أيضاً:

واللافت للنظر هنا: أننا نجد: أن هذه هي نظرة الأمويين للخوارج، فإن مروان بن الحكم قد اعتبر أن الخوارج هم العلماء والزهاد، وذلك في كلام له مع الإمام الحسن «عليه السلام»^(١).

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض الخوارج: «..إني قد علمت أنكم لم تخرجوا مخرجكم هذا لطلب دنيا، أو متاع، ولكنكم أردتم الآخرة، فأخطأتم سبيلها»^(٢).

ماذا يقول المؤلفون؟!

ومهما يكن من أمر، فإن الكتاب والمؤلفين حين قرأوا ما ذكره المؤرخون عن حالات الخوارج وعبادتهم. وما إلى ذلك.. أخذوه منهم بعجره وبجره، ولم يخضعوه للبحث الدقيق والعميق، ليعرفوا مدى صحته، ولأجل ذلك نجد أنهم ما فتئوا يؤكدون على أن الخوارج هم الفئة المؤمنة الملتزمة، التي بقيت وفية لمبادئها، ومثلها العليا^(٣).

(١) راجع: بهج الصباغة ج ٥ ص ٢٦٦ وج ٣ ص ٢٣٢ وتذكرة الخواص ص ٢٠٧

وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ١١٤ و ١١٥.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٦٣ والكامل في التاريخ ج ٥ ص ٤٦.

(٣) قضايا في التاريخ الإسلامي (بحث الخوارج) ص ٦٦ و ٧٢ و ٧٣ و ٨٩ وفجر

الإسلام ص ٦٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١٣١ و ٧٩ و ١٢٩ و ١٣١

وتحليلي أز تاريخ إسلام (فارسي) ج ١ ص ٣٣٢ وتاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٨٣

والخوارج والشيعة ص ٣٦ و ٤٢ و ٥٩ و ٣٩ وتاريخ الدولة العربية ص ٦٠ و ٦٢.

وقالوا عنهم أيضاً: «إن الخوارج كانوا حزباً ثائراً، كما يدل عليه اسمهم، وحزباً ثائراً تقياً على الحقيقة. فهم لم يقوموا كعرب، ولكن كمسلمين، وسلكوا مسلك الأتقياء من المسلمين، وهم القراء».

«وقد وجهت التقوى في الدولة الإسلامية توجيهاً سياسياً، وكانت في أعلى درجاتها عند الخوارج؛ فإن الله تعالى طلب إلى المسلم عندما تعصى أوامره ألا يسكت على ذلك»^(١).

وقالوا أيضاً: «كانوا حزباً ثورياً، يعتصم بالتقوى، لم ينشأوا عن عصبية العروبة، بل عن الإسلام»^(٢).

هذا التصور ليس جديداً:

وقد انخدع الناس بهذه المظاهر منذ بداية ظهورهم، حتى اضطر علي «عليه السلام» وأصحابه إلى مواجهة هذا الفهم الساذج للأمور، فقد ذكر الخوارج عند ابن عباس، فقال: «ليسوا بأشدّ اجتهاداً من اليهود والنصارى، وهم يصلون»^(٣).

وفي نص آخر: يصلون^(٤).

(١) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، للدكتور علي حسن عبد القادر ص ١٧٠.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣١ عن الخوارج والشيعة ص ٤١.

(٣) المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٣.

(٤) راجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٨ والتنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع

على أنه يكفي في بيان زيف هذه الظاهرة، ما ورد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقهم، من تنصيب على أن اجتهدهم في العبادة ما هو إلا زيف ومظاهر، لا حقيقة لها، ولا تعني أن ثمة عمقاً إيمانياً مستقراً في القلوب، بل هي مجرد حركات للخوارج، ليس وراءها سوى الخواء التام عن أية حالة إيمانية صادقة، فليس هناك إلا الجهل الذريع، والحماقة القاتلة.

الإصرار على تكذيب رسول الله صلى الله عليه وآله:

ولا ندري ما هو السبب الحقيقي لهذا الإصرار على الزعم الذي ستأتي الشواهد الكثيرة على أنه لا واقع له.. وهو صدق تقواهم، وثبات قدمهم في الإيمان، والعمل الصالح.. مع أن الحديث المتواتر عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يثبت أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وقد أكد التاريخ بصورة قاطعة وقوع الإخبارات الغيبية عن وجود ذي الثدية فيهم، وعن أنهم لا يعبرون النهر، وعن أنه لا يقتل من أصحاب علي «عليه السلام» عشرة ولا يفلت من أهل النهروان عشرة، وغير ذلك..

إن الوقائع هذه قد أثبتت بصورة قاطعة وحسية فضلاً عن تواتر نقلها، وفضلاً عن أن ناقلها هو المعصوم - نعم، قد أثبتت أن حديث - النبي «صلى الله عليه وآله» في مروقهم من الدين، وسائر أوصافهم.. صحيح وثابت..

فما هذه المراوغات من هؤلاء الكتاب؟!..

وما هي دوافعهم لتكذيب هذا النقل القطعي الصادق؟!..

تبريرات لا تصح لتشدد الخوارج في الدين:

إننا في حين نرى هؤلاء الكتاب يحاولون التأكيد على تقوى الخوارج، وعلى صلابتهم في أمر الدين..

فإنهم يحاولون إيجاد المخارج لما كان عليه الخوارج من جهل وسطحية، ويتلمسون المبررات للنهج الإجرامي الذي يصل بهم إلى حدود ليس ثمة أخطر منها على كل الواقع الديني والإيماني..

هذا النهج الذي تجلّى في عقائدهم، وظهر في مواقفهم وممارساتهم، ليجسّد أبشع صورة للتخلف والجهل، والقسوة والغلظة، والبعد عن أي معنى إنساني أو إيماني.. كما سنوضحه فيما يأتي من فصول..

وقد كان عمدة ما علل هؤلاء المؤلفون حال الخوارج، وممارساتهم هو الجهل والسذاجة، والسطحية^(١).

ولعل النص التالي قد استنفد جهود هؤلاء في التبرير، يقول أبو زهرة:

«إن الخوارج كان أكثرهم من عرب البادية، وقليل منهم كان من عرب القرى، وهؤلاء كانوا في فقر شديد قبيل الإسلام، ولما جاء الإسلام لم تزد حالهم المادية حسناً؛ لأنهم استمروا في باديتهم بلأوائها وشدتها، وصعوبة الحياة فيها. وأصاب الإسلام شغاف قلوبهم، مع سذاجة في التفكير، وضيق في التصور، وبعد عن العلوم؛ فتكوّن من مجموع ذلك نفوس مؤمنة، متعصبة، لضيق نطاق العقول، ومتهورة؛ لأنها نابعة من الصحراء، وزاهدة؛ لأنها لم تجد».

(١) راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧٠ و ٧١ وراجع: تحليلي از تاريخ إسلام

إلى أن قال: «ولقد كانت هذه المعيشة التي يعيشونها في بيئاتهم دافعة لهم على الخشونة، والقسوة، والعنف؛ إذ النفس صورة لما تألف. ولو أنهم عاشوا عيشة رافهة، فاكهة، في نعيم، أو في نوع منه؛ لخفف من عنفهم؛ وألان صلابتهم، ورطب شدتهم»^(١).

وقد أضاف البعض هنا:

أن فقرهم، ورفاهية القبائل الأخرى قد زاد من حقدهم، بالإضافة إلى أن تمسكهم الشديد بالتقاليد، والطبائع البدوية، كالتعصب للقبيلة، والولاء لها، قد جعلهم ييغضون الحكومة السياسية، وتمردوا على نمط الحياة الاجتماعية، فتورثهم تمثل ثورة البدو على سيادة الدولة^(٢).

ثم عاد نفس هذا البعض ليقول في مورد آخر، ما يردّ ويتنافى مع هذا الذي ذكرناه، حين ادّعى أنهم لم يرفضوا فكرة الخلافة، بل أرادوا إقامة دولة على أساس ديموقراطي، فهم جمهوريّو الإسلام، انطلاقاً من فهمهم لعدالة الإسلام. ويدّعي أيضاً: أن طبائع البداوة قد انمحت منهم باعتناقهم الإسلام، وهجرتهم من البادية، وإقامتهم في الأمصار، وانخراطهم في الجيش الإسلامي إلخ...^(٣).

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧٠ و ٧١ وراجع: قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٦ و ٣٧.

(٢) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٧ و ٥٠ و ٥١ عن أبي زهرة، وعن عمر أبي النصر في كتاب: الخوارج في الإسلام ص ١٨.

(٣) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٧٣ و ٧٤.

ثم إن هذا البعض أيضاً يقول: «ومن المؤرخين من ذهب إلى أن ظهور الخوارج يعبر عن رغبة القبائل العربية، من غير قريش في إقصائها عن الشبث بالخلافة، والإستئثار بالحكم. فالخوارج من هذه الناحية حزب سياسي، وحركتهم تمثل ثورة ديمقراطية، ضد الأرستقراطية الشيوقراطية الجديدة من كبار الصحابة، فهم لذلك جمهوريو الإسلام، ودستوريو الإسلام»^(١).

ونحن.. لا نستطيع أن نوافق أبا زهرة ولا هؤلاء على كثير مما ذكره وذكروه. فأولاً: إنه قد ادعى: أن الإسلام لم يستطع أن يغير شيئاً من حالتهم المادية. فبقوا على ما هم عليه من فقر وحاجة؛ فإن أكثر الخوارج كانوا عراقيين في بادئ الأمر، وقسم منهم من الموالي؛ وكانوا قد شاركوا في الحروب، ونالوا من الغنائم التي كانت كثيراً ما تحصل، كما نال غيرهم، وكانت بلادهم من البلاد الخصبة، التي يعتمد عليها في التموين للجيش المحاربة، وقد اختار علي «عليه السلام» الكوفة عاصمة له لأمر منها هذا الأمر بالذات^(٢).

وقد اختلف حال الناس بعد ظهور الإسلام عن حالهم قبله حتى مع أمرائهم وحكامهم، الذين كانوا يحرمونهم من أبسط الحقوق، ويستأثرون بالامتيازات لأنفسهم.

بل تقدم: أن بعض أمراء الخوارج كان يشتري السيف بعشرين ألف درهم.

(١) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٦.

(٢) راجع: مقالاً لنا بعنوان: إستراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي «عليه السلام»

في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام.

فهل يصح القول بعد هذا: أنهم كانوا يعانون من الحاجة الملحة؛ والفقر المدقع؟! إذ إنهم لو كانوا كما يدعى لهم ويدعونه، لأنفسهم أهل تقوى ودين، فسوف ينيلون فقراءهم نصيباً من هذه الدنيا التي كانت بين أيديهم. ثانياً: لقد كانت الفرصة متاحة لهم للاستفادة من العلوم الإسلامية، وقد كان بين ظهرائهم باب مدينة العلم مدة طويلة، يفقههم في الدين، ويوقفهم على حدود الحلال والحرام، وقد ركز فيهم راية الإيمان. كما عرفنا فيما تقدم..

إذن.. فإن أي تقصير في مجال الحصول على العلوم والمعارف، إنما يقع على عاتقهم، ويأتي من ناحيتهم، وليس لهم أي عذر في ذلك. ولكن الحقيقة هي أنهم قد عرفوا كل شيء، لكن الشيطان قد زين لهم أعمالهم كما توضحه هذه الدراسة..

ثالثاً: أما قوله: إن الإسلام قد أصاب شغاف قلوبهم، وكذا قول غيره: إنهم كانوا عباداً مؤمنين، ملتزمين بحرفية الحكم الشرعي، أوفياء لمبادئهم، ولثلهم العليا.

فهو أيضاً لا يصح؛ فقد عرفنا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» - فيما روي عنه - قد وصفهم بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم.

وقد وصفهم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بكثير من الأوصاف الناطقة بإنحرافهم عن الصراط السوي، وبأنهم يريدون الدنيا وقد غلب عليهم المرء، واتبعوا أهواءهم. وغير ذلك..

أضف إلى ذلك: أن تاريخهم حافل بالأحداث والتصرّيات والمواقف، والممارسات التي تدل على أن الكثيرين منهم، إن لم نقل أكثرهم - إذا استثنينا بعض المخدوعين، والسذج والبسطاء - حتى على مستوى القيادات فيهم لم يكونوا على هذه الصفة. وإن تلك العبادة، وهاتيكم الشعارات ما كانت إلا أمراً صورياً ظاهرياً، لا يعبر عن واقع حيٍّ وأصيل في هذا المجال.. وستأتي طائفة من هذه النصوص في ضمن ما يأتي من مطالب..

وأما ما ذكره، ذلك البعض كإضافات على كلام أبي زهرة، فهو أوضح فساداً، وأبعد عن الصواب، وعن الموضوعية، لأمر عديدة تقتصر منها على ما يلي:

أولاً: إن الوقائع التاريخية تثبت: أن الخوارج لم يكونوا ديمقراطيين أبداً، ولم يكونوا يحترمون رأي الأكثرية منهم، بل كانوا يحكمون بالكفر ويتحكمون بجبرية قاسية حتى ببعضهم البعض، فيسقطون أمراءهم لأتفه الكلمات أو التصرفات. أو ينقسمون على أنفسهم، فيكون لكل فرقة منهم أمير، ولم نجد منهم أي احترام لآراء غيرهم، بل كانوا يكفرون ويقتلون كل من خالفهم في الرأي والاعتقاد من المسلمين. ولكنهم لا يجروون على المساس بغير المسلمين. فآين هي الجمهورية الإسلامية والديمقراطية فيهم؟!

ثانياً: إن دعوى أن طبائع البداوة قد انمحت باعترافهم للإسلام، وهجرتهم من البادية إلى الأمصار.. أغرب وأعجب، فإن من بدييات التاريخ: أن أشد الناس إغراقاً في البداوة في طبائعهم، هم الخوارج، وقد بقي ذلك فيهم إلى عصور متأخرة بصورة ظاهرة، ولافتة، وإن بقاياهم لم يزل هذا حالهم

إلى يومنا هذا. رغم أنهم قد غيروا وبدلوا، أو تستروا على كثير من اعتقاداتهم،
ليمكنهم البقاء..

ثالثاً: إن الحديث عن رغبة القبائل العربية في إقصاء قريش عن الخلافة
غير دقيق، فإن الخوارج كانوا خليطاً غير متجانس، وكان فيهم العربي،
وغير العربي. ولم يكن تأمير أمرائهم نتيجة قرار اتخذته القبائل العربية بإقصاء
قريش عن الخلافة.

وإلا.. فإن العرب الذين حاربوا الخوارج مع علي «عليه السلام»، والذين
حاربوا الخوارج على مدى التاريخ كانوا أكثر عدداً وأعظم نفوذاً، وهم
الرؤساء وأهل الرأي.. وإنما كان الخوارج مجرد شرادم ورعاع من الناس،
لا يجمعهم إلا الطمع والجهل، كما سنرى..

رابعاً: لم نعرف ماذا يقصد بوصفه للخوارج بأنهم دستوريو الإسلام،
فأي دستور كانوا يسعون لتطبيقه والالتزام به.

فهل هو دستور الإسلام؟! فإن هذا الدستور يقضي عليهم بلزوم التزامهم
بقول إمامهم المنصوب من قبل الله، وهو علي بن أبي طالب «عليه السلام»..

أم هو دستور العرف الإنساني؟ وهذا الدستور أيضاً يقضي عليهم
بلزوم الوفاء بالعهود والعقود، واحترامها.. واحترام كلمة العالم الرشيد..
واحترام العهد الذي أعطوه، فلا ينكثون البيعة، ولا يطلبون نقض عهد
أبرمه إمامهم وسيدهم وقائدهم..

خامساً: إن ظهور الخوارج - وإن كان طمعاً في الدنيا، وقد لبسوا هذه
الأطماع لباس الدين.. ولكن التعليل الذي ذكره لا يمكن قبوله، إذ أنه لو

صح لوجب أن يوجد هؤلاء الخوارج في كل عصر ومصر، ما دام أن البداوة موجودة في جميع العصور وفي مختلف المناطق، وفي مقابلها حياة الرفاهية والترف، وغير ذلك من أمور وحالات، بقيت مغمورة في ضمير هذا الكاتب، ولم ير ضرورة للإفصاح عنها..

سادساً: أضف إلى ذلك: أن غيرهم من أهل قبائلهم ومن سائر القبائل لم يكونوا من حيث الترف والنعيم والبداوة، وغير ذلك أفضل حالاً من الخوارج، ولعل كثيرين من هؤلاء كانوا أفضل حالاً من أولئك. فلماذا لم يصيروا مثلهم، ولم ينضموا إليهم؟!

سابعاً: وأخيراً، إن ما ظهر من الخوارج من أفاعيل، ومن اعتقادات لا يقرها عقل ولا شرع، ولا وجدان، لا علاقة له بهذا الترف، ولا بتلك البداوة، ولا بذلك التمرد المزعوم، ولا يصح تعليله به، كما هو معلوم..

وذلك لأننا لم نجدهم يصدرون أي حكم ضد المترفين بما هم مترفون، بل كانت أحكامهم، عامة لا استثناء فيها.

كما أنهم في ممارساتهم لم يرحموا فقيراً لفقره، بل مارسوا كل قسوتهم ضد هؤلاء الفقراء والمسحوقين في الغالب، ولم يشفع لهم فقرهم أو ضعفهم، ولم يخفف من حدة تصرفاتهم تجاههم.. وإن بقرهم لبطون الحبالى خير شاهد ودليل على ذلك.

العجب هو الداء الدوي:

والذي يبدو: هو أن عجب الخوارج بأنفسهم، وبعبادتهم، قد أسهم في اندفاعهم نحو اتخاذ مواقفهم الرعناء تلك، ودفعهم إلى الإمعان في الانحراف، وإلى الإغراق فيه.

هذا بالإضافة إلى أن إعجاب الناس بهم أيضاً قد يكون له تأثير في تشجيعهم على تجاوز حدود الشرع، وخروجهم على أحكام الدين..

فعن أنس قال: ذكر لي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال - ولم أسمع منه -: إن فيكم قوماً يعبدون ويدأبون، حتى يعجب بهم الناس، وتعجبهم نفوسهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية^(١).

وواضح: أنه إذا كانت عبادة الإنسان بعيدة عن الوعي، وعن التأمل، والفكر، فإنها تكون مجرد طقوس يؤديها الإنسان، ولا يحس بها، ولا يتفاعل معها إلا من خلال ما يبذله من جهد جسدي، من دون أن يشعر بعظمة الله سبحانه، أو أن يستشعر لذيد القربى منه، أو يشرف بروحه على آفاق جلاله، ويتلمس بمشاعره وأحاسيسه معاني كمالاته السامية..

ومن يكون كذلك فسوف يرى: أن هذا الجهد الجسدي له قيمته، وخطره، في ميزانه المادي، فيرى نفسه أنه أعطى وقدم ما لم يقدمه وما لم يعطه غيره، وتصير له بذلك المنة ليس فقط على الآخرين ويتعالى عليهم وإنما على رب العالمين، ويبتلى بالعجب بالنفس، وذلك هو الهلاك بعينه.

الوصف الدقيق:

وواضح: أن الخوارج كانوا برهة من الزمن مع أمير المؤمنين «عليه

(١) مسند أحمد ج ٣ ص ١٨٣ وراجع: المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٤ وكنز العمال

ج ١١ ص ١٧٧ و ٣١٠ عن أحمد، وعبد الرزاق، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٩

وراجع: مستدرک الحاكم ج ٢ ص ١٤٧ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والبداية

والنهاية ج ٧ ص ٢٩٧.

السلام»، وقد عانى منهم الكثير، وصبر عليهم، حتى أعلنوا بالخروج عليه، فحاربهم وقتلهم في النهروان إلا الشريد، وحاربهم بعد ذلك أيضاً.

فهو «عليه السلام» أعرف الناس بهم، وإذا راجعنا أقواله فيهم، فإننا نجده «عليه السلام» لا يعترف لهم بالعبادة ولا بالزهد، بل هو يذكر لتحركاتهم دوافع دنيوية وشيطانية، الأمر الذي يشير إلى أن مواقفهم لم تكن دينية إلهية، وإنما كان لأهوائهم ومصالحهم الشخصية، ومفاهيمهم الجاهلية، وللنزعات الشيطانية، والعصبيات القبلية، دور كبير في إثارتهم، وفي اتخاذهم الكثير من المواقف الرعناء.

وكانوا يتخيلون كلهم أو كثير منهم: أن ذلك من الدين، ومن الحق الذي يسعون إليه، ويعملون في سبيل الوصول إليه؛ فهم مصداق ظاهر للأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، كما قرره علي أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»، في كلام له عنهم^(١).

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ١٨٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٧٨ والفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٢٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٦٦ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٨٦ و ١٨٧ عن تفسير القشيري، وعن الإبانة للعكبري، وبحار الأنوار (ط قديم) ج ٨ ص ٥٥٠ و ٥٥٣ و ٥٥٢ و ٥٥٥ و ٥٧١ عن الغارات، والعمدة، وتفسير الثعلبي، وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٣٠٧ وتفسير البرهان ج ٢ ص ٢٩٥ والدر المشورج ج ٤ ص ٢٥٣ عن عبد الرزاق، والفريابي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٩٥.

ومهما يكن من أمر، فإن أمير المؤمنين «عليه السلام»، الذي كان أعرف بهم من كل أحد، ركب، ومر بهم وهم صرعى، فقال: «لقد صرعكم من غركم. قيل: ومن غرهم؟

قال: الشيطان. وأنفس السوء»^(١).

وفي نص آخر: «غرهم الشيطان، وأنفس بالسوء أمارة، غرتهم بالأمانى، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون»^(٢).

وقال «عليه السلام» مخاطباً لهم بالنهروان: «أيتها العصابة، التي أخرجتها اللجاجة، وصدّها عن الحق الهوى، فأصبحت في لبسٍ وخطأ»^(٣).

وفي نص آخر، أنه قال لهم: «يا قوم، إنه قد غلب عليكم اللجاج والمرء، واتبعتم أهواءكم، فطمح بكم تزيين الشيطان لكم الخ..»^(٤).

وحسب نص آخر: «أيتها العصابة التي أخرجها المرء واللجاج عن الحق، وطمح بها الهوى إلى الباطل»^(٥).

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٤٠٧ وراجع: تذكرة الخواص ص ١٠٥.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٦ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٨ وبحار الأنوار (طقديم) ج ٨ ص ٥٥٦ ونهج البلاغة قسم

الحكم رقم ٣٢٩ حسب ترقيم المعتزلي، وبشرح عبده ج ٣ ص ٢٣٠.

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٠٧ و ٢٠٨ راجع: الموقفيات ص ٣٢٥.

(٤) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٧١.

(٥) تذكرة الخواص ص ١٠٠.

وعند الطبري: «أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المرء، واللجاجة، وصدها عن الحق الهوى، وطمح بها النزق، وأصبحت في اللبس، والخطب العظيم»^(١).

وفي نص آخر لم يذكر قوله: «وطمح بها النزق الخ..».

لكنه قال: «إن أنفسكم الأماره سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها، وسألتموها وأنا لها كاره. وأنبأتكم أن القوم إنما فعلوها مكيدة، فأبيتهم علي إباء المخالفين، وعندتم علي عناد العاصين الخ..»^(٢). ولعل في اختلاف هذه النصوص، ولاسيما هذا النص الأخير مع ما سبقه ما يثير احتمال تعدد الواقعة، فدعا ذلك إلى التركيز على خصوصيات مختلفة تتناسب مع الحالات المختلفة.

ونلاحظ: أنه «عليه السلام» قد قرر في كلماته تلك:

ألف: أن الخوارج كانوا يتوقعون الظفر في حربهم له «عليه السلام».

ب: أنه كانت لديهم أمانى قد غرتهم.

ج: إن أنفسهم الأماره وأمانيتهم قد زينت لهم المعاصي.

د: أن الشيطان زين لهم وغرهم، فأوردتهم موارد الهلكة.

هـ: أنهم قد التبست عليهم الأمور، ووقعوا في الخطأ، حينما لم يعرفوا الحق.

و: أن الهوى قد صدهم عن الحق.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٢ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٣.

(٢) نور الأبصار للشبلنجي ص ١٠٢ والفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٩٢.

ز: إنهم كانوا قد غلب عليهم اللجاج والمرء.

ح: إن النزق قد طمح بهم.

ط: ان النزق دعاهم إلى الخلاف والعناد.

ي: إنهم إنما يقاتلون من أجل الدنيا، كما سيأتي في كلامه «عليه السلام» مع زرعة بن البرج.

وستأتي كلمات أخرى له «عليه السلام»، فيها إشارات أخرى إلى دوافعهم، وحالاتهم.

ثم إن مما يدل على ما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام»، من أن الشيطان قد زين لهم المعاصي، ما كانوا يرتكبونه في حق الأبرياء من جرائم، وموبقات، ومآثم. وذلك في أول ظهورهم، وحتى قبل معركة النهروان الشهيرة، وقبل أن يضعوا لأنفسهم منهجاً عقائدياً يبيحون فيه لأنفسهم ارتكاب تلك الموبقات والمآثم.

أضف إلى ذلك: أن حربهم لأمر المؤمنين عليه الصلاة والسلام لم تكن مبررة عندهم بالقدر الكافي، فلم يكن لديهم في ذلك برهان، ولا كانوا واثقين من صواب موقفهم، بل كانوا مجرد شكاك؛ فمضوا على شكهم حتى قتل أكثرهم، وقتل بسببهم أو على أيديهم كثيرون آخرون، وقد تحدثنا عن شكهم هذا في موضع آخر من هذا الكتاب.

ونحن هنا بهدف توفير الوقت، وادخار الجهد سوف نقتصر على نماذج قليلة من مخالفاتهم، ومواقفهم اللاإنسانية، وأفعالهم التي تخالف اعتقاداتهم وأقوالهم، وهي التالية:

القتال على الأموال:

إن من يراجع تاريخ الوقائع والأحداث لا يساوره شك في أن قتالهم لم يكن جهاداً في سبيل الله، بل كان على الأموال، ومن أجل الدنيا بصورة عامة، فقد قال سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، لزراعة بن البرج، في احتجاجه على أهل النهروان: «لو كنت محقاً كان في الموت على الحق تعزية عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم، فاتقوا الله عز وجل؛ إنه لا خير في دنيا تقاتلون عليها»^(١).

ويقول النص التاريخي أيضاً: «..وجعلت الخوارج تقاتل على القدر يؤخذ منها، والسوط، والعلف، والحشيش أشد قتال»^(٢).

وقد قلنا حين الحديث عن تركيبة الخوارج: أن معقلاً الذي أرسله علي «عليه السلام» لقتال الخريت الخارجي قد قال لأصحابه عن الخوارج: إنهم علوج كسروا الخراج، ولصوص الخ..^(٣).

ويؤيد ذلك أيضاً: نصوص تاريخية أخرى^(٤).

ويقول المعتزلي: «وقد خرج بعد هذين جماعة من خوارج كرمان، وجماعة أخرى من أهل عمان، لا نباهة لهم. وقد ذكرهم أبو إسحاق الصابي،

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٥٣ و بهج الصباغة ج ٧ ص ١٦٤.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٩٧ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣ وفيه كانت الخوارج تقاتل إلخ.. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٨ وراجع: فجر الإسلام ص ٢٦٤.

(٣) الغارات ج ١ هامش ص ٣٥٣.

(٤) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩٣ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٧.

في كتاب «الناجي» وكلهم بمعزل عن طرائق سلفهم، وإنما وكدهم، وقصدهم إلى إخافة السبيل، والفساد في الأرض، واكتساب الأموال من غير حلها»^(١).

هذا، وقد سأل الحسن البصري رجل من الخوارج، فقال: ما تقول في الخوارج؟

فقال: هم أصحاب دنيا.

قال: من أين قلت، وأحدهم يمشي في الرمح حتى ينكسر فيه، ويخرج من أهله وولده؟!

قال الحسن: حدثني عن السلطان، أيمنك من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج والعمرة؟
قال: لا.

قال: فأراه إنما منعك الدنيا فقاتلته عليها.

قال إسحاق: فحدثت بهذا الحديث الغاضري - ظريفاً كان بالمدينة - فقال: صدق الحسن، ولو أن أحدهم صام حتى ينعقد، وسجد حتى ينخر جبينه، واتخذ عسقلان مراغة، ما منعه السلطان؛ فإذا جاء يطلب ديناراً أو درهماً لُقِيَ بالسيوف الحداد، والأدراع الشداد^(٢).

ولنا تحفظ على أسلوب الحسن البصري الظاهر في أنه يرضى بحكومة أي كان - حتى يزيد أو الوليد، إذا كان لا يمنع الناس من الصلاة والصوم

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦.

(٢) البصائر والذخائر ج ١ ص ١٥٤.

ونحو ذلك.. فإن هذا المنطق مرفوض في الإسلام.

ولهذا البحث مجال آخر، غير أن ما يهمنا هنا هو الإشارة إلى أن الخوارج كانوا طلاب دنيا، ويبحثون عن الدينار والدرهم.

وقد قال الأشتر للذين خدعتهم مكيدة رفع المصاحف، من الذين كانوا يتظاهرون بالعبادة والصلاة، ثم صاروا فيما بعد خوارج:

«كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقاً إلى لقاء الله، فلا أرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت. ألا فقبحاً يا أشباه النيب الجلالة»^(١).

وإذا قرأنا قصة المستورد أيضاً فإننا نجد فيها دلالة ظاهرة على أن زهد الخوارج لم يكن حقيقياً، بل كان مصطنعاً، فلتراجع تلك القصة في مصادرها^(٢).

لم يعطه المال، فأعلن الحرب:

ومما يدل على مدى تأثير الأطماع فيهم: أننا نجد الفارس المشهور، شبيب بن يزيد الشيباني الخارجي كان «في ابتداء أمره قصد الشام، ونزل على روح بن زنباغ، وقال له: سل أمير المؤمنين أن يفرض لي في أهل الشرف، فإن لي في بني شيبان تبعاً كثيراً».

فسأل روح بن زنباغ عبد الملك بن مروان في ذلك، فقال: هذا رجل لا أعرفه، وأخشى أن يكون حرورياً.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢١٩ وراجع: صفين ص ٤٩١ والمعيار

والموازنة ص ١٦٤. والنيب: جمع الناب، وهي الناقة المسنة. والجلالة: آكلة الجيف.

(٢) وراجع: الخوارج والشيعة ص ٥٥.

فذكر روح لشبيب: أن عبد الملك ذكر أنه لا يعرفه.

فقال: سيعرفني بعد هذا.

ورجع إلى بني شيبان، وجمع من الخوارج الصالحة مقدار ألف رجل، واستولى بهم على ما بين كسكر والمدائن.

ثم يذكر المؤرخون كيف أنه هزم للحجاج عشرين جيشاً في مدة سنتين، وغير ذلك من أمور^(١).

يريد المال ليعصي به الله:

وقد كان الطرماح خارجياً هو الذي يقول:

أخترمي ريب المنون ولم أنل من المال ما أعصي به وأطيع^(٢)

خبرتهم بالخمير وبالعواهر:

وحين سأل أبو حزابة عبدة بن هلال الخارجي عن الخمير، وعن العواهر نجد عبدة يجيبه بما يدل على أنه من أعرف الناس في ذلك.

فقد قال له: «أي الخمير أطيب؟ خمير السهل، أم خمير الجبل؟

قال: ويحك، أمثلي يسأل عن هذا؟

قال: قد أوجبت على نفسك أن تجيب.

قال: أما إذا أبيت، فإن خمير الجبل أقوى، وأسكر، وخمير السهل أحسن

وأسلس.

(١) راجع: الفرق بين الفرق ص ١١١ والفتوح لابن أعثم ج ٧ ص ٨٤ و ٨٥.

(٢) الأغاني ج ١٠ ص ١٦٠.

قال: فأَيُّ الزواني أفره؟ أزواني رامهرمز، أم زواني أرّجان؟!

قال: ويحك، إن مثلي لا يسأل عن هذا.

قال: لا بد من الجواب، أو تغدر.

قال: أما إذا أبيت، فزواني رامهرمز أرق أبشاراً، وزواني أرّجان أحسن أبداناً الخ..»^(١).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٧٠ عن الأغاني (ط دار الكتب المصرية)

الفصل الثاني:

معاصي ومآثم..

بداية:

وحين نرى أن الخوارج حتى على مستوى زعاماتهم، وأمرائهم، وقادتهم يقتربون كبائر الذنوب ويرتكبون المآثم، ويسعون وراء الشهوات، فإن ذلك يكون دليلاً ملموساً على ضعف حالة التقوى عندهم، أو انعدامها من الأساس. تماماً كما يكون سعيهم للحكم، وممالاتهم للحكام، وممارساتهم اللاإنسانية في هذا الاتجاه دليلاً على ذلك أيضاً..

هذا عدا عن إصرارهم على الباطل بعد ظهور بطلانه لهم، وإلزامهم الحجة الدامغة فيه. فإنه هو الآخر يدل دلالة ظاهرة على أنه لا حقيقة لما يدعونه من عبادة وزهادة، وصلة بالله سبحانه، بل هي كما أكدته النصوص النبوية الشريفة مجرد أمور شكلية بكل ما لهذه الكلمة من معنى، حيث إنهم كانوا قد مرقوا من الدين مروق السهم من الرمية.

وسنذكر فيما يلي أمثلة متنوعة تشير إلى طبيعة صلتهم بالله سبحانه، فإلى ما يلي من مطالب.

دعارة الخوارج:

قد تقدم: أن عبدة بن هلال، وهو أحد زعمائهم الكبار كان من أعرف الناس بعواهر البلاد، وبميزاتهم.

وسياتي حين الحديث عن تركيبة الخوارج: أنهم كانوا ما بين حداد، وصباغ، وداعر..

واللافت: أن أكابرهم وقادتهم كانوا لا يتورعون عن ارتكاب أعظم الفواحش، حتى الزنى بالمحصنات. فقد ورد: أن عبدة بن هلال اليشكري اتهم بامرأة حداد كان يدخل عليها بلا إذن.

فدبر هو وقطري بن الفجاءة الحيلة للخلاص من الورطة ونجحا في ذلك^(١). فما معنى أن يدخل زعيمهم على امرأة محصنة بلا إذن.. حتى يتهم بالدعارة. فأين ورعه وتقواه؟ وأين هي عبادته وزهادته؟!

وزعيمهم الآخر لا يقيم الحد على مرتكب هذا الذنب العظيم.. بل هو يشاركه في الجريمة حين يدبر له الحيلة لتخليصه من المأزق..

والعامة الذين وقفوا على هذا الأمر، لم يقطعوا علاقتهم به، ولا أضر ما عرفوه عنه في ولائهم واستمرارهم في الانقياد له. ثم هم بعد هذا، وذاك، وذلك يدعون لأنفسهم التقوى، والعبادة. والصلاح، فاعجب بعد هذا ما بدالك!! فما عشت أراك الدهر عجبا.

الدعارة بمرسوم. والغيرة معدومة:

يقول ابن بطوطة: «ونسأؤهم يكثرون الفساد، ولا غيرة عندهم، ولا إنكار لذلك»^(٢).

(١) راجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٧٢ والنص والاجتهاد ص ٩٩ عنه.

وقال: «كنت يوماً عند هذا السلطان أبي محمد بن نبهان، فأتته امرأة صغيرة السن، حسنة الصورة، بادية الوجه؛ فوقفت بين يديه وقالت له:

يا أبا محمد، طغى الشيطان في رأسي.

فقال لها: إذهبي واطردي الشيطان.

فقالت له: لا أستطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد.

فقال لها: إذهبي، فافعلي ما شئت.

فذكر لي - لما انصرفت عنه -: أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان، وتذهب للفساد، ولا يقدر أبوها، ولا ذو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها، لأنها في جوار السلطان»^(١).

ترك الصلاة:

وقد أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» عنهم - وهو الصادق المصدق -: أنهم «يتركون الصلاة من وراء ظهورهم. وجعل يديه وراء ظهره»^(٢).

الخوارج فساق مراق:

وجاء في خطبة لأmir المؤمنين قبل خروجه إلى النهروان: «وبعد.. فقد علمتم ما كان من هؤلاء القوم من الإقدام والجرأة على سفك الدماء وهم قوم فساق، مراق، عماء، جفاة، يريدون فراقني وشقاقي،

(١) رحلة ابن بطوطة ص ١٧٣ والنص والاجتهاد ص ٩٩ عنه.

(٢) كنز العمال ج ١١ ص ٣٠١ عن ابن جرير.

وفيه من قد عضه بالأمس السلاح، ووجد ألم الجراح الخ..»^(١).

لا تقوى لمتعنت:

ومن الواضح: أن التعنت والإصرار على الباطل يشهد على عدم التقوى، وعدم مراقبة الله سبحانه، وقد ذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» - وهو أعرف الناس بهم - أن أحد زعمائهم وهو ابن الكواء - قد أراد التعنت حين صار يسأله عن بعض المسائل^(٢).

وهذا العناد واللجاج قد تجلى بصورة واضحة في إصرارهم على قتال أهل الإيثار، حتى بعد أن أقيمت الحجة عليهم، ولم يعد لهم أي عذر.. فكان مصيرهم القتل والبوار. ولا تزال هذه الخصوصية البغيضة تتجلى فيهم على مر الأيام.

شرب الخمر:

والغريب في الأمر: أنهم يذكرون: أن ابن ملجم «لعنه الله» تعالى قد شرب النبيذ ليلة قتله علياً «عليه السلام»^(٣) وابن ملجم هو من رموز الخوارج وهو الذي مدحه الشاعر الخارجي عمران بن حطان بقوله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا
وتقدم: أن أحد كبار زعمائهم، وهو عبيدة بن هلال كان من أعرف الناس بالخمير، وحالاتها..

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٠٠.

(٢) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٣٠٢ وراجع: فرائد السمطين ج ١ ص ٣٩٤.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٩.

وظاهر الحديث: أنه يجيب سائله عن خبرة.

لبس الحرير:

ثم إنهم يذكرون أيضاً أن قطاعاً الخارجية قد شدت الحرير على صدر ابن ملجم، وعلى صدور الذين شاركوه في قتل وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١). ولا ريب في حرمة لبس الحرير على الرجال في فقه الشريعة الإسلامية الغراء..

العمل بالتقية:

والمعروف من مذهب الخوارج لزوم الجهر بالحق، ورفض التقية، لكننا نجد أحد نساكهم وهو خالد بن عباد يعمل بالتقية^(٢).

وسياتي: أن عمران بن حطان الخارجي كان يعمل بالتقية أيضاً.

ونصح أبو بلال مرداس امرأة من الخوارج يقال لها البلجاء بأن تعمل بالتقية، فقال: «إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية، فاستري»^(٣).

الكذب على رسول الله ﷺ:

ونلاحظ أيضاً: أنهم كانوا يستخدمون الوضع والتزوير من أجل تأييد مواقفهم، واتجاهاتهم، فقد رووا: أن شيخاً منهم - بعد أن تاب ورجع عن مقاتلتهم - يقول محذراً: «..إن هذه الأحاديث دين؛ فانظروا عمن تأخذون

(١) الإرشاد للمفيد ص ١٧ ومصادر أخرى ستأتي.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٨٧.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٨٢.

دينكم؛ فإننا كنا إذا هويناً أمراً صيرناه حديثاً..»^(١).

وفي نص آخر: «انظروا هذا الحديث عمن تأخذونه؛ فإننا كنا إذا تراءينا رأياً جعلنا له حديثاً»^(٢).

وقال الأعمش: «جالست إياس بن معاوية؛ فحدثني بحديث.

فقلت: من يذكر هذا؟!

فضرب لي رجلاً من الحرورية.

فقلت: إلي تضرب هذا المثل؟ تريد أن أكس الطريق بثوبي؛ فلا أدع بعرة، ولا خنفساء إلا حملتها»؟!^(٣).

وقال الجوزجاني عن الخوارج، الذين تحركوا بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم»^(٤).

(١) لسان الميزان ج ١ ص ١٠ و ١١ والكفاية للخطيب ص ١٢٣ وآفة أصحاب الحديث ص ٧١ و ٧٢ واللائي المصنوعة ج ٢ ص ٤٦٨ وبحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ عن الأولين، وعن: السنة ومكانتها في التشريع، للسباعي ص ٩٧ وعن: الموضوعات لابن الجوزي ص ٣٨ وراجع: العتب الجميل ص ١٢٢.

(٢) اللائي المصنوعة ج ٢ ص ٤٦٨. والغريب في الأمر: أن نفس هذا النص مروي عن حماد بن سلمة عن شيخ من الرافضة، فراجع: لسان الميزان ج ١ ص ١١.

(٣) بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٩ عن كتاب: المحدث الفاصل، للرامهرمزي

ج ١ ص ١٢.

(٤) أحوال الرجال ص ٣٤.

والغريب في الأمر هنا: أن البعض يحاول القيام بعملية تزوير أكثر شناعة وقباحة من هذا. وذلك عندما ادّعى: أن ذلك إنما هو في الأحاديث المراسيل، والمقاطيع من الروايات، فقد قال:

«هذه والله قاصمة الظهر للمحتجين بالمراسيل، إذ بدعة الخوارج كانت في صدر الإسلام، والصحابة متوافرون، ثم في عصر التابعين فمن بعدهم، وهؤلاء كانوا إذا استحسنوا أمراً جعلوه حديثاً، وأشاعوه؛ فربما سمعه الرجل السني؛ فحدث به، ولم يذكر من حدث به، تحسناً للظن به، فيحمله عنه غيره، ويحيي الذي يحتج بالمقاطيع فيحتج به، ويكون أصله ما ذكرت الخ»^(١).

ولا ندري ما وجه حمله لذلك على المقاطيع والمراسيل؟! إلا أنه يريد أن يصوب رواية أصحاب الصحاح عن الخوارج، حتى ليروي البخاري - وهو أصح كتاب بعد القرآن عندهم - عن عمران بن حطان^(٢)، مادح عبد الرحمن بن ملجم، قاتل سيد الوصيين علي أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث يقول: يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليلغ من ذي العرش رضوانا

ولكنه يهاجم الرواية عن الرافضة بصورة عجيبة، حتى لو كان الراوي صدوقاً. ثم يذكر أقاويل علمائه بالمنع من قبول رواية الرافضة مطلقاً، فراجع كلامه^(٣)

(١) لسان الميزان ج ١ ص ١١.

(٢) راجع: العتب الجميل.

(٣) راجع: لسان الميزان ج ١ ص ١٠ وراجع: ميزان الاعتدال ج ١ ص ٢٧ و ٢٨.

وبعدما تقدم: فإننا نعرف عدم صحة قول أبي داود: «ليس في أهل الأهواء أصح حديثاً من الخوارج»^(١).

ممارسات لا إنسانية:

وقد أرسل قطري بن فجاعة الخوارج الذين جاؤوا من كرمان وفارس، مع صالح بن مخراق وسعد الطلائع لحرب عبد العزيز، أخي المهلب، فهزموه، «وسبوا النساء يومئذٍ، وأخذوا أسرى لا تحصى، فقتلهم في غار، بعد أن شدوهم وثاقاً، ثم سدوا عليهم بابه، حتى ماتوا فيه»^(٢).

وقال المسعودي عن صاحب الزنج: «..ظهر من فعله، ما دل على تصديق ما رمي به، أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج، لأن أفعاله في قتل النساء، والأطفال، وغيرهم من الشيخ الفاني وغيره ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه»^(٣).

ويكفي أن نذكر: أن حرب النهروان إنما نشأت عن إفسادهم في الأرض، وقتلهم عبد الله بن خباب، وبقرهم بطن زوجته التي كانت حاملاً، وقتلوا نسوة ورجالاً آخرين كما تقدم.

وقد قال عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي:

(١) ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٣٦ والعتب الجميل ص ١٢١ عن مقدمة فتح الباري.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٥٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٧٤.

الخوارج في العصر الأموي ص ٥٤ عن الكامل.

(٣) مروج الذهب ج ٤ ص ١٠٨ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١٦٦ عنه.

«.. فأخبروني عن عبد الله بن وهب الراسبي، حين خرج من البصرة، هو وأصحابه، يريدون أصحابكم في الكوفة؛ فمروا بعبد الله بن خباب، فقتلوه، وبقروا بطن جاريته، ثم عدوا على قوم من بني قطيعة، فقتلوا الرجال، وأخذوا الأموال، وغلوا الأطفال في المراحل. وتأولوا قول الله: ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١)، ثم قدموا على أصحابهم من أهل الكوفة الخ..»^(٢).

ونستطيع أن نعرف مدى قسوتهم، وإمعانهم في ارتكاب الجرائم، التي يندى لها جبين كل إنسان ألماً وخجلاً، مما سجله التاريخ لنا من مذاهب وآراء اعتقادية لهم، حيث إنها غريبة عن الفطرة، وعن العقل، وعن الإنسانية، وهي تعبير صادق عن عميق حقدهم، وبالغ همجيتهم ووحشيتهم، وبعدهم كل البعد عن أي من المعايير الإنسانية، والفضائل الأخلاقية..

الحقد الدفين هو الدافع:

ولم تكن مواقفهم وممارساتهم القاسية تلك بدافع ديني، يوجبه الالتزام بتعاليم شرعية بنظرهم. وإلا لما كان ثمة مبرر لغلي الأطفال في المراحل، ولا لفرارهم في الحروب، والتماسهم الأمان من هذا، وذاك، ولا للتخلي عن كل شيء في قبال منصب يتاح لهم، ولا لغير ذلك مما ذكرناه في هذا الكتاب، فإن

(١) الآية ٢٧ من سورة نوح.

(٢) جامع بيان العلم ج ٢ ص ١٢٩ ومروج الذهب ج ٣ ص ١٩١ و بهج الصباغة ج ٧

ص ١١٣ عنه، وعن العقد الفريد.

التدين - لو كان - فلا بد أن يترك أثره في جميع تلك الحالات والظروف، والمواقف. وإنما كانت هذه الممارسات القاسية واللاإنسانية ضد خصومهم بدافع التنفيس عن حقد دفين، يعتلج في صدورهم، وتشب ناره في أفئدتهم. وقد عبر الإمام الصادق «عليه السلام» عن هذا المعنى بوضوح تام في جوابه لمن رأى أن كونهم شكاكاً لا يلائم دعوتهم خصومهم إلى البراز. فأجابه «صلوات الله وسلامه عليه» بقوله: «ذلك مما يجدون في أنفسهم»^(١). كما أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد وصفهم في ضمن كلام له: بأنهم عصابة «طمح بها النزق»^(٢).

وأما أسباب الحقد، فلا تنحصر في أمر المال، بل هو حقد الفاجر على التقي، والجاهل اللئيم على العالم الكريم والحليم الجليل، والخبيث على الطيب، والمجرم على البريء وما إلى ذلك.

صعصة يصف أحد زعمائهم:

ويكفي أن نذكر: أن صعصة بن صوحان يصف أحد زعمائهم وهو - المنذر بن الجارود - بقوله: «إنه نظَّار في عطفه، تفال في شراكيه، تعجبه حمرة برديه». وقد قال صعصة ذلك لأمير المؤمنين «عليه السلام»^(٣).

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٤٥ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١٦٨ عنه، ووسائل الشيعة ج ١١ ص ٦٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٢.

(٣) البيان والتبيين ج ٣ ص ١١٢ وج ١ ص ٩٩ والحيوان ج ٥ ص ٥٨٨. عطفه: جانبه.

فمن تكون صفاته هي هذه، كيف يمكن أن يعطى أوسمة التقوى والورع، والعبادة؟!!

عمال ليزيد:

وقد بلغ بهم حب الدنيا حداً جعل المنذر بن الجارود يتولى الهند من قبل عبيد الله بن زياد، وذلك في إمرة يزيد، فمات هناك سنة ٦١ هـ.

تركهم لحدود الله:

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» حينما جاؤوه برأس عبد الله بن وهب الراسبي: «قد كان أخو راسب حافظاً لكتاب الله، تاركاً لحدود الله»^(١).

التطبيق الانتقائي للأحكام والتساهل فيها:

وقد اخذ اتباع شبيب عليه أموراً: منها: أنه كان يستثني قومه من أن يطبق عليهم ما يأمرهم به دين الخوارج، وأموراً أخرى^(٢).

ولاموه كذلك على أنه كان يقبل الاعتراف تقيّةً، وعلى أنه كان يطلق الأسرى بمجرد قولهم: لا حكم إلا لله، أو يردد عليهم هذا القول ليخلصهم^(٣).

لا يعاقب شارب الخمر لنكايته في العدو:

كما أنه لم يعاقب رجلاً في جيشه كان يشرب الخمر، بحجة أنه كان

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٧.

(٢) راجع: الخوارج والشيعة ص ٩٨.

(٣) الخوارج والشيعة ص ٩٨ وأشار إلى تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٩٦٧.

شديد النكاية على العدو^(١).

محابة وتساهل والكيل بمكيالين:

ومما يشير إلى تساهلهم مع بعضهم البعض: أن قطري بن الفجاءة - كما يقول البعض - كان: «لا يؤمن بالقعود عن الشراية والجهاد، وإذا ما تخلف أحد أتباعه عن هذا الواجب المقدس، سرعان ما يلاحقه، ويدفعه إلى ذلك دفعاً، فحينما قعد أبو خالد القناني بعث إليه بقصيدة يقرعه فيها، ويحثه على النفير، ويؤكد له: أن لا عذر لقاعد، ولا هداية له».

كما بعث قصيدة أخرى لسميرة بن الجعد، يعاتبه فيها على ركونه لحياة الاستقرار، وقبوله أن يصبح سميراً للحجاج، في حين أن رسالة الخارجي هي أن يتمنطق بالسلاح، ويجالد الفرسان، ويصبر على شدائد الأمور، بعد أن يذكره بالسلف الصالح، ويلفت نظره إلى مصيره المحتوم، وأنه سيعث إلى حساب عسير..

إلى أن قال: «فحمل سلاحه ولحق بقطري، دون أن ينذر الحجاج بذلك الخ..»^(٢).

وقال في موضع آخر: «..ونجد: أن قطري بن الفجاءة، يعاتب سميرة بن الجعد، الذي صار نديماً للحجاج، وغرته مباهج القصر - يعاتبه - عتاباً لطيفاً، لا قسوة فيه، ولا يكفره، كما يفعل بغيره، بل يصرح بعدم كفره،

(١) الخوارج والشيعة ص ٧٣ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٧.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٦١ و ٢٦٢.

ولكنه يكون قاسياً جداً إذا هجا غير الخوارج، ويكفرهم»^(١).

ومعنى ذلك: هو أن القضية بالنسبة إليهم ليست قضية دين، والتزام بأحكام الشرع بقدر ما هي هوى النفس، وطموحات يريدون تحقيق ما أمكنهم منها. ومهما يكن من أمر؛ فإن كونهم متكلفين في دينهم، يظهرون منه خلاف ما يظنون. وكون دينهم تبعاً لأهوائهم، هو الظاهر من مجمل مواقفهم وممارساتهم. ويبدو: أن ذلك كان واضحاً ومعروفاً منذ أوائل ظهورهم، كما صرح به أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه» في أكثر من مورد ومناسبة، حسبما اتضح. كما أن الفرز بن مهزم العبدى يقول:

وشدوا وثاقي ثم الجوا إلى قطري ذي الجبين المغلق
وحاججتهم في دينهم وحججتهم وما دينهم غير الهوى والتخلق^(٢)

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٧٩ و ٢٨٠ وراجع: مروج الذهب ج ٣ ص ١٣٦ و

١٣٧.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٣٧ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٦١.

الباب السادس:

الخوارج طلاب ملك ودنيا..

الفصل الأول:

الخوارج في العهد الأموي..

في العهد الأموي:

بعد وفاة وصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعد خروج الأمر من يد ولده الحسن المجتبي «عليه السلام» إلى معاوية بن أبي سفيان بصورة كاملة، أخذ الخوارج على عاتقهم مهمة قتال الأمويين بكل عنف وقسوة.. وقد كانت أهم حركاتهم وأخطرها، وأشدّها ضراوة هي تلك التي كانت في عهد بني أمية بالذات.. أما بعد ذلك، فقد خبا وهجم، وتقاصر مدّهم، وذبلت زهرتهم، كما سنرى.

بين عهدين:

ولا شك في أن الخوارج هم الفرقة المارقة، التي أخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن ظهورها..

ولا توجد أية فرصة لتأويل الأحاديث الواردة في حقهم، إذ أن الأمر قد حسم منذ بداية ظهورهم، بسبب الإخبارات الغيبية التي أعلنها أمير المؤمنين «عليه السلام» في الناس، وظهر صدقها بصورة لا تقبل أي تأويل أو احتمال. خصوصاً فيما يرتبط بحديث ذي الثدية. وكونه منهم وفيما بينهم، كما أكدته الأحداث بصورة قاطعة..

ولعله لولا هذا وذاك. لما استطاع الكثيرون أن يكتشفوا حقيقتهم، ولما

أمكن أن ينقادوا حتى لأمر المؤمنين «عليه السلام» في حربهم. أو أن يتوفر لهم التصديق بضلالهم، والتسليم بمروقهم من الدين.

لكن الأمر بعد عهد أمير المؤمنين «عليه السلام» قد خرج عن هذا الإطار، فإن أمر الأمويين كان كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار. والشعارات الدينية التي كان الخوارج يطلقونها، وعودهم بإشاعة العدل، وإعلانهم لرفض الظلم، كان من شأنها أن تنعش الآمال لدى الكثيرين، بالتخلص من الظلم المر، ومن الإذلال والقهر، الذي كان يمارس ضدهم في ظل الحكم الأموي.

ويشير إلى ذلك، ما روي من أن عبد الله بن أبي أوفى حينما علم بقتل الأزارقة لوالد سعيد بن جهمان لعنهم، وأخبر سعيداً بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «إنهم كلاب النار.

قال سعيد: قلت: الأزارقة وحدهم، أم الخوارج كلها؟

قال: بل الخوارج كلها.

قال: قلت: فإن السلطان يظلم الناس، ويفعل بهم.

قال: فتناول يدي إلخ^(١).

سبي الخوارج:

ورغم أن الأمويين كانوا ملتزمين بسنة عمر في ما يرتبط بالتأكيد على

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٨٢ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٣٢ وج ٥ باب كيفية النصح

للأئمة في الخلافة، عن الطبراني، وأحمد. ورجال أحمد ثقات.

العرق العربي، ومنع السبي للعرب، فإنهم قد خالفوا سنة عمر في ذلك مع الخوارج، فسبوا نساءهم وذرائعهم، واسترقوهم، ووطأوا نساءهم بملك اليمين. ولم يفعل ذلك بهم علي «عليه السلام»، ولم يكن ذلك هو حكم الله سبحانه فيهم.

قالوا: «كانوا يسبون ذراري الخوارج من العرب وغيرهم، لما قتل قريب وزحاف الخارجيان سبي زياد ذرائعها، فأعطى شقيق بن ثور السدوسي إحدى بناتها، وأعطى عباد بن حصين الأخرى. وسييت بنت لعبيدة بن هلال الشكري، وبنت لقطري بن الفجاءة المازني، فصارت هذه إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك، واسمها أم سلمة، فوطأها بملك اليمين على رأيهم. فولدت له المؤمل، ومحمدًا، وإبراهيم، وأحمد، وحصينًا بن عباس بن الوليد بن عبد الملك، وسبي واصل بن عمرو القنا، واسترق. وسبي سعيد الصغير الحروري واسترق الخ..»^(١).

جاء الآن ما لا شك فيه:

أما بالنسبة للخوارج أنفسهم، فإن الأمور كانت واضحة جداً لهم، فإنه إذا كان لديهم شك في القتال ضد أمير المؤمنين «عليه السلام» حيث إن مواقفه الرائدة، وجهاده الفذ في سبيل الله، وفضائله الظاهرة، وكراماته الباهرة، وأقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه قد طبقت الآفاق. فإنهم لا يمكن أن يشكوا في قتال بني أمية. وهم القائلون حينما تولى معاوية الحكم: «قد جاء الآن ما لا شك فيه» كما تقدم.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤١ و ٢٤٢.

وقد قال صخر بن عروة: «إني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لسابقته، وقرابته. فأما الآن، فلا يسعني إلا الخروج».

نقاط ضعف الخوارج:

ولكن الملاحظة الجديرة بالتسجيل هنا هي: أن ما يظهر منهم من شدة وقسوة كثيراً ما يكون من أجل الحصول على شيء من حطام الدنيا، فكانوا يقاتلون على القدح يؤخذ منهم، أو على السوط، الأمر الذي من شأنه أن يظهر حقيقة طموحاتهم، وأنها طموحات إلى أمور دنيوية.

ثم هي طموحات إلى أمور تافهة وحقيرة.

أضف إلى ذلك: أن بعض الأساليب الشنيعة التي كانوا يمارسونها ضد خصومهم كانت تنفر الناس منهم، وتجعلهم معزولين في محيطهم الخاص، فلم يكن لهم هيمنة على عواطف الناس، ولا على مشاعرهم.

وكان التأييد الذي ينالونه سرعان ما يتلاشى، ويذهب أدراج الرياح، وليتحول إلى تأييد التقية والخوف، الأمر الذي كانت له آثار سلبية على مسار الحرب مع الأمويين.

وعلينا أن لا ننسى كثرة انقساماتهم، وكون تعاليمهم فيها الكثير من القسوة والعنف. ولا سيما فيما يرتبط بآرائهم وتعاملهم مع غيرهم، أو مع مرتكب الذنب منهم، أو من الآخرين.. مع شدة مراعاتهم لأهل الأديان الأخرى.

هذا إلى جانب تأثير الإغراءات التي كان الأمويون يلوحون بها لزعماء القبائل ولغيرهم من طلاب اللبانات، مع وجود الكثير من القسوة والاضطهاد، والحرمان من كثير من الملذات إلى جانب الخوارج.

فكل ما تقدم وسواه قد ضيع على الخوارج فرصاً كثيرة وكبيرة في مواجهتهم لخصومهم من بني أمية وبني العباس، وإن كان الزخم القوي والعارم، كان يغطي أحياناً الكثير من حالات النقص الناجم عما ألمحنا إليه.

الخوارج ينهكون الحكم الأموي:

وإن الآثار السيئة التي تركتها حروب الخوارج على الحكم الأموي قد جعلت أبا مسلم الخراساني يتابع انتصاراته على عاملهم نصر بن سيار، في حين لم يكن مروان الجعدي (الحمار) قادراً على مد يد العون له، بسبب انشغاله بحرب الخوارج^(١).

وقد تمكن أبو مسلم بالتالي من القضاء على الحكم الأموي قضاءً مبرماً ونهائياً.

ومن الملامح لصورة ما جرى نذكر هنا: أن الأزارقة: «بايعوا نافع بن الأزرق، وسموه: أمير المؤمنين، وانضم إليهم خوارج عمان، واليامة، فصاروا أكثر من عشرين ألفاً، واستولوا على الأهواز، وما وراءها من أرض فارس وكرمان، وجبوا خراجها. وعامل البصرة يومئذ عبد الله بن الحارث الخزاعي، من قبل عبد الله بن الزبير»^(٢).

والضحاك بن قيس أيضاً: «بايعه مائة وعشرون ألف مقاتل على مذهب

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٥.

(٢) الفرق بين الفرق ص ٨٥ والملل والنحل ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ وفجر الإسلام

ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

الصفريّة، وملك الكوفة وغيرها، وبايعه بالخلافة وسلّم عليه بها جماعة من قريش»^(١). وقتل سنة ١٢٨ هـ.

أما نجدة الحروري؛ فقد: «أقام خمس سنين، وعماله بالبحرين، واليامة، وعمان، وهجر، وطوائف من أرض العرض»^(٢).

ويقول البلاذري، عن عبد الله بن الزبير: «أتته الخوارج؛ فظللهم (كذا)^(٣)، وعاب قولهم، حتى فارقه نافع بن الأزرق الحنفي، وبنو ماحوز؛ فانصرفوا عنه، وغلبوا على اليامة ونواحيها إلى حضرموت، وعامة أرض اليمن»^(٤). وعند المعتزلي: «واستولى نجدة على اليامة، وعظم أمره حتى ملك اليمن، والطائف، وعمان، والبحرين، ووادي تميم، وعامر»^(٥).

وقال فلهوزن: «وتكاد جميع ثورات الخوارج التي نسمع بها في العصر الأموي المتأخر أن تكون قد خرجت من الموصل، ومن آل بكر»^(٦). ولا ريب في أن سياسة الحكم الأموي تجاه الناس، قد ساهمت في إقبالهم

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٢ والخوارج والشيعة ص ١٠٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ١٦ وراجع: الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ٣٣٥-٣٣٧ والعيون والحدائق ص ١٥٩ وغيرهما.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٣) لعل الصحيح: ضللهم أي حكم عليهم بالضلال.

(٤) أنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٨.

(٥) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٣٣.

(٦) الخوارج والشيعة ص ١٠١.

على الانخراط في صفوف الدعوات المناهضة له، ومواجهته بالحرب^(١). وكان الخوارج هم الفئة المبادرة في هذا الاتجاه. فكان الناس يستجيبون لدعواتهم، ويقاتلون تحت لوائهم. حتى ليبلغ عدد جيوش الخوارج في بعض المعارك مئة وعشرين ألفاً، كما هو معلوم.. ولا مجال هنا لتفصيل حروبهم وحركاتهم العسكرية ضد الأمويين ولا سيما حروبهم مع المهلب بن أبي صفرة، فإن ذلك يحتاج إلى توفر تام، وتأليف مستقل. ولكنها كانت حروباً مرتجلة، وغير قادرة على إسقاط الحكم الأموي، وإرساء قواعد حكم جديد لأكثر من سبب وسبب، كما ربما يتضح في فصول هذا الكتاب.

غير أن مما لاشك فيه: هو أن هذه الحروب قد أنهكت الحكم الأموي وأثارت أمامه الكثير من المشكلات، وواجهته بالعديد من العقبات الحقيقية التي ألحقت الأذى به، وعجلت عليه..

أهل الكتاب يستعملون نفوذهم:

وقد أدرك أحبار أهل الكتاب ممن أظهر الإسلام منهم خطورة ما يواجهه الحكم الأموي، فبادروا منذ اللحظات الأولى إلى مدّ يد العون له، وتأييده، وإضعاف شوكة الخوارج باستخدام ما يزعمونه لأنفسهم من هيمنة علمية وثقافية، فنجد كعب الأحبار يقول: «للشهيد نور، ولمن قاتل الحرورية عشرة أنوار».

(١) الخوارج والشيعة ص ٩٤.

وكان يقول: لجهنم سبعة أبواب. ثلاثة منها للحرورية.

قال: ولقد خرجوا في زمن داود النبي^(١).

ومن الواضح: أن كعب الأخبار لم يكن ليؤيد علياً «عليه السلام» في حربه لهم، لأنه لم يكن من محبيه ولا من مؤيديه. فهو إنما يتحدث بذلك تأييداً لمعاوية وتقوية له.

الأمويون، واسم علي عليه السلام:

كما أن الملهب بن أبي صفرة، الذي كان يقاتلهم في العهد الزبيري الأموي قد التجأ إلى رفع شعارات طالما جهد الأمويون والزيريون معاً على طمسها، والقضاء عليها، حيث نراه يحاول الاستفادة من اسم، وعظمة، وشخصية، وموقف رجل يعتقد الحكم الأموي والزبيري أيضاً: أن أساس بقائه واستمراره يقوم على محو اسم تلك الشخصية، وطمس كل فضائلها وكراماتها، ومحاربة كل ما يرتبط بها.. ألا وهي شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام.

فها نحن نرى المهلب يخطب أصحابه محرضاً لهم على قتال الخوارج، فيقول:

«..يا أيها الناس، قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج...

إلى أن قال: فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب «صلوات

الله عليه»..»^(٢).

(١) المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٥.

(٢) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٤٨.

كما أن المهلب هذا قد قال يوماً لأصحابه: «إن هؤلاء الخوارج قد يؤسوا من ناحيتكم إلا من جهة البيات؛ فإن يكن ذلك، فاجعلوا شعاركم: حم، لا ينصرون؛ فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يأمر بها.. ويروى: أنه كان شعار أصحاب علي بن أبي طالب «عليه السلام»..»^(١). وروى ابن دريد: «أن شعار أصحاب علي «عليه السلام» يوم الجمل، كان: حم، لا ينصرون»^(٢).

وقد روي: أنه قيل لعبيد الله بن زياد، بعد موت يزيد، وأقول نجمه: ندمت على ما كان منك، من قتلك الخوارج من أهل البصرة بالظنة والتوهم؟ فقال: «..وأما قتلي من قتل من الخوارج؛ فقد قتلهم قبلي من هو خير مني علي بن أبي طالب رضي الله عنه»^(٣).

فتراه يحتج لصواب فعله، بفعل العدو الألد له ولكل أسياده، ومن كانوا يجهدون لطمس كل فضيلة له، وتشويه سمعته، ومحو آثاره، ألا وهو أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام».

الخوارج.. وقريش.. وخزاعة:

وملاحظة هامة، لا بد منها هنا، هي: أن عبد المطلب كان قد عقد مع خزاعة حلفاً، بقي النبي «صلى الله عليه

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٥٣

(٢) الإشتقاق ص ١٤٥.

(٣) الأخبار الطوال ص ٢٨٤ و ٢٨٥.

وآله» يعمل على الوفاء به. كما أن خزاعة قد كانت عيبة نصح لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وبسبب نقض قريش لصلح الحديبية، بالاعتداء على خزاعة، كان فتح مكة، فبقيت قريش تحقد على خزاعة بسبب ذلك كله أشد الحقد..

وقد قال معاوية: «إن نساء خزاعة لو قدرت على أن تقتلني، فضلاً عن رجالها فعلت»^(١).

وقد استمر هذا الحقد عشرات السنين، ففي سنة ١٣٠ هجرية حين هاجم أبو حمزة الحروري بلاد الحجاز: «اتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا عليهم الحرورية»^(٢).

وعلى حد تعبير أبي الفرج حول مهاجمة أبي حمزة لجمع الناس في قديد: «زعم بعض الناس: أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم، وأدخلوهم عليهم، فقتلوهم. وكانت المقتلة على قريش، وهم كانوا أكثر الناس، وبهم كانت الشوكة الخ»^(٣).

وفي نص آخر: إن أبا حمزة حينما واقع أهل المدينة بقديد، وقتل وأسر منهم الكثيرين: «كان إذا رأى رجلاً من قريش قتله، وإذا رأى رجلاً من الأنصار

(١) صفين للمنقري ص ٢٤٧.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٣٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٥٨ والكامل لابن

الأثير ج ٥ ص ٣٨٩ والأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ١٠٠.

(٣) الأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ١٠٠ والعقود الفضية ص ٢٠١.

أطلقه»^(١).

ويذكرون أيضاً: أن عتبان بن وصيلة يخاطب عبد الملك، فيقول:
فإنك إلا ترض بكر بن وائل يكن لك يوم بالعراق عصب
فلا خير إن كانت قريش عدى لنا يصيون منا مرة، ونصيب
كما أن شاعراً آخر منهم يفتخر بتحقيق النصر على قريش، فيقول:
ألم تر أن الله أنزل نصره وصلت قريش خلف بكر بن وائل
ولعل ذلك يرجع إلى أن الخوارج اليمانية القحطانية قد قويت شوكتهم،
ولأن الأنصار محبي علي «عليه السلام»، وأنصاره كانوا يمانية قحطانية أيضاً
مثلهم. أما قريش فكانت عدنانية.

هذا بالإضافة إلى أنهم كانوا ينفسون على قريش نفوذها وشوكتها، وما لها
من اعتبار، ثم ما استأثرت به لنفسها من امتيازات سياسية، واجتماعية،
واقتصادية بصورة عامة.

ولأن الأمويين كانوا من قريش - نعم.. ولأجل ذلك كله - صب أبو
حمزة جام غضبه على قريش حينما خرجت لحربه..

ومن جهة ثانية نلاحظ:

أن اليمانية في مصر كانوا على خلاف يمانية المدينة، حيث يقال: «إن يمانية
مصر كانوا يماثلون معاوية، وعمر بن العاص، فبلغ ذلك علماً عليه

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١١٣ والأغاني ج ٢٠ ص ١٠٢ والعيون والحدائق

السلام» الخ..»^(١).

وربما يكون سبب ذلك: هو أن أنصار الرسول قد سمعوا من الرسول ما قاله في علي «عليه السلام»، كما أنهم قد عاشوا مع علي وعرفوه، ورأوا كراماته وفضائله عن كثب.. فأحبوه، وأيدوه، وكانوا معه في سلمه وحربه، بخلاف يمانية مصر.

وهكذا كان الحال بالنسبة لربيعة اليمن فإنها هي وقبائل بني تميم كانت تنفس على قريش الخلافة والسلطان - كما سنرى - مع أن قبائل ربيعة كانت إلى جانب علي «عليه السلام» في حرب صفين، وقد أثنى عليهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وهذا يدل على أن الذين كانوا موضع الثناء من أجل الولاء هم من عدا سكان الجزيرة، وبعض اليمن ومن ربيعة.

في العهد العباسي:

ولم يكن نصيب العباسيين من الخوارج بأقل من نصيب أسلافهم الأمويين، حيث حاربهم الخوارج في عدد من المناطق.

فقد حاربوهم في عمان سنة ١٣٤هـ وقتل منهم العباسيون عشرة آلاف.

ثم حاربوهم في الجزيرة سنة ١٣٧هـ.

وفي نواحي الموصل سنة ١٤٨هـ.

وفي خراسان سنة ١٦٠هـ.

وفي الموصل والجزيرة سنة ١٦٨هـ حيث خرج فيها يسر التميمي،

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ١٩٤.

واستولى على أكثر ديار ربيعة، وعلى الجزيرة.

ثم خرج بالجزيرة سنة ١٦٩ هـ حمزة بن مالك الخزاعي.

وخرج الصحصح بالجزيرة، واستولى على أكثر ديار ربيعة. فوجه إليه الرشيد من قتله سنة ١٧١ هـ.

وفي سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن طريف بالجزيرة، فقتله يزيد بن مزيد^(١).

وقد كانت ثورته قوية، ومخيفة للحكم العباسي. حتى قال مسلم بن الوليد الأنصاري، يمدح يزيد بن مزيد الذي كان يكنى في الحرب بأبي الزبير - يمدحه على انتصاره على الوليد -:

لولا سيوف أبي الزبير وخيله نشر الوليد بسيفه الضحاكا
وفيه يقول:

لولا يزيد وأيام له سلفت عاش الوليد مع الغاوين أعواما
الآيات^(٢).

ويذكر من ثورات الخوارج هنا أيضاً:

«أتباع حمزة بن أكر، الذي عاش في سجستان، وخراسان، ومكران، وقهستان، وهزم الجيوش الكثيرة..

إلى أن قال: وكان ظهوره في أيام هارون الرشيد، سنة تسع وسبعين

(١) راجع: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٧ - ٣٣٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣

ص ١٦٧-١٦٩.

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٤٢ وراجع: وفيات الأعيان ج ٦ ص ٣٢٨.

ومائة. وبقي الناس في فتنته إلى أن مضى صدر من أيام خلافة المأمون»^(١).
نعم.. وقد حكم الخوارج - ولا سيما الإباضيون منهم - بعض البلاد مدداً
طويلةً نسيياً، أو قصيرة، ومن ذلك سيطرتهم على عسكر مكرم، في كرمان،
وحضر موت، وعمان، واليمن، وغير ذلك مما تقدم.

ومن أراد الاطلاع على المزيد فعليه بمراجعة كتب التاريخ وغيرها.
قال ابن خلدون: «وانقرضت كلمة هؤلاء بالعراق والشام، فلم يخرج
بعد ذلك إلا شذاذ متفرقون، يستلحمهم الولاة بالنواحي، إلا ما كان من
خوارج البربر بأفريقية الخ..»^(٢).

وقال المسعودي: «خرج منهم بديار ربيعة على بني حمدان، وذلك في
سنة ثمان عشرة وثلاثمائة. وهو المعروف بعرون، وخرج ببلاد كفتوتقي، وورد
إلى نصيبين، فكانت له مع أهلها حرب أسر فيها وقتل منهم خلق عظيم.
والمعروف بأبي شعيب، خرج في بني مالك وغيرهم من ربيعة، وقد كان
أدخل على المقتدر بالله.

وقد كان بعد العشرين والثلاثمائة للإباضية ببلاد عمان مما يلي بلاد
بروى وغيرها حروب، وتحكيم، وخروج، وإمام نصبوه؛ فقتل، وقتل من
كان معه..»^(٣).

هذا.. ويعدون في جملة ثورات الخوارج في العهد العباسي ثورة صاحب

(١) الفرق بين الفرق ص ٩٨ - ٩٩.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٦٩.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج ٣ ص ١٣٩.

الزنج التي استمرت حوالي أربعة عشر عاماً، وقالوا: إن قائد الثورة، وهو علي بن محمد كان خارجياً أزرقياً^(١).

ولكن الظاهر هو: أن ذلك غير دقيق؛ فإن هؤلاء إنما ثاروا بسبب الظلم الذي حاق بهم، لا من جهة قولهم بمقالة الخوارج.. وقد اختلف في رئيسهم. وقد وصل نسبه بعلي «عليه السلام». وربما يقال: بأنهم إسماعيلية. وقد تكون نسبتهم إلى الأزارقة تهدف إلى تهجين أمرهم، وحمل الناس على تصديق ما ينسبونه إليهم من أنهم قد ارتكبوا جرائم بشعة لا يرتكبها إلا الأزارقة من الخوارج، فنسبوهم إلى هذه النحلة من أجل ذلك.

الخوارج في الشمال الأفريقي:

قال ابن خلدون بالنسبة لـ: «خوارج البربر بإفريقية؛ فإن دعوة الخارجية فشت فيهم، من لدن مسيرة الظفري سنة ثلاث وعشرين ومائة، ثم فشت دعوة الإباضية والصفيرية منهم في هوار، ولماية، ونغزة، وفيلة، وفي مغراوة، وبني يفرن من زناتة، حسبما يذكر في أخبار البربر لبني رستم من الخوارج بالمغرب دولة في تاهرت من الغرب الأوسط نذكرها في أخبار البربر أيضاً.

ثم سار بإفريقية منهم على دولة العبيدين خلفاء القيروان أبو يزيد بن مخلد المغربي. وكانت له معهم حروب وأخبار نذكرها في موضعها.

ثم لم يزل أمرهم في تناقص إلى أن اضمحلت ديانتهم، وافتقرت جماعتهم، وبقيت آثار نحلته في أعقاب البربر الذين دانوا بها أول الأمر، ففي بلاد زناتة

(١) راجع: إسلام در إيران ص ٦٧.

بالصحراء منها أثر باق لهذا العهد في قصور ربع وواديه وفي مغراوة من شعوب زناتة ويسمّون الراهبية^(١). نسبة إلى عبد الله بن وهب الراهبي، أول من بوع منهم أيام علي بن أبي طالب. وهم في قصور هنالك مظهرين لبدعتهم لبعدهم عن مقال أهل السنة والجماعة. وكذلك في جبال طرابلس وزناتة أثر باق من تلك النحلة، يدين بها أولئك البربر في مجاورة لهم مثل ذلك^(٢).

وقالوا أيضاً: «وقد دخل مذهب الخوارج إلى المغرب في النصف الأول، من القرن الثاني الهجري في صورة الإباضية والصفورية. وانتشر بسرعة بين البربر، حتى أصبح المذهب القومي لهم»^(٣).

ويقول هنري ماسيه: «..وفي أيام آخر الخلفاء الأمويين كان الصفورية منتشرين في جميع بلاد الإسلام، بما في ذلك المغرب؛ حيث آزرُوا الإباضية في ثورة البربر العامة»^(٤).

وقد ثار الخوارج في المغرب (تونس وما حولها)، من صفورية وإباضية، وانضم كثير من البربر إلى الخوارج، واستولى الخوارج على القيروان.. حتى أخرجها (أخرجهم منها) منهم يزيد بن حاتم بن قبيصة، الذي أرسله المنصور العباسي، وقتلهم، بعد معارك دامت نحو خمسة عشر سنة.

(١) لعل الصحيح: الواهية أو الوهية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسبي. كما هو

الصحيح والراهبي تصحيف.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٦٩.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٣.

(٤) الإسلام ص ١٨٧.

وقد قيل: إن مجموع المعارك التي دارت بين الخوارج من لدن ظهورهم إلى أن قضي عليهم قد بلغت نحواً من (٣٧٥) معركة^(١).

ويقولون أيضاً: «..وقد تنازع الصفورية والإباضية على القيروان، التي كان يحكمها رجل إباضي، اسمه ابن رستم، وبعد ذلك بقليل استولى الخوارج على أفريقيا الشمالية كلها، ولم يتوصل العباسيون إلى إقرار النظام إلا في عام ٧٧٢ ميلادية»^(٢).

كما أن بعض أسر الخوارج قد حكمت تاهرت لأكثر من (١٣٠) عاماً، حتى أزالهم الفاطميون، فتفرقوا في صحراء تونس، والجزائر، وجربا. ولا يزالون يعيشون في هذه المناطق حتى الآن»^(٣).

ويقول ألفرد بل: «..ومن ناحية أخرى، عاشت دويلات صغيرة بربرية خارجية، بعد هزيمة سنة ١٢٤ هـ. وأمكن قيامها في النواحي الأقل تعرضاً لضربات الولاة العرب، مثال ذلك المملكة الصفورية، التي لم تعش إلا قليلاً جداً، والتي أنشأها أحد البربر، وهو أبو قررة في منطقة تلمسان وملوية، أو دولة بني مدرار في تافيلالت التي عاشت أطول منها»^(٤).

هذا ويلاحظ: أن مسلمي الجزائر: «لا يختلطون بالمسلمين من أهل السنة

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٨ و ٣٣٩.

(٢) الإسلام ص ١٨٨.

(٣) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٣ والإسلام تأليف هنري ماسيه ص ١٨٨

ومعجم البلدان ج ٢ ص ٨ والفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٤٩.

(٤) الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٤٩.

إلا لضرورات تجارتهم النافعة، وقلما يصاهرون أهل السنة؛ لأن هذا الزواج مما تبرأ منه الجماعة»^(١).

البربر.. والخوارج:

ولعل تمكن الخوارج من النفوذ إلى بلاد المغرب، أو بالأحرى إلى الشمال الأفريقي بصورة عامة، هو لأنهم تمكنوا من النفوذ إلى البربر، الذين أعانوهم على السيطرة على القيروان..

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة، أهمها: وجه الشبه الكبير الذي كان قائماً في ذلك الحين بين البربر والخوارج في عقليتهم، وظروف ونمط حياتهم، ووضعهم الثقافي العام..

يقول ياقوت - وإن كان في كلامه تحامل شديد، يصل إلى حد الشتم والسباب -: «..البربر أجفى خلق الله، وأكثرهم طيشاً، وأسرعهم إلى الفتنة، وأطوعهم لداعية الضلالة، وأصغاهم لنمق الجهالة. ولم تخل جباههم من الفتن وسفك الدماء قط.

ولهم أحوال عجيبة، واصطلاحات غريبة. وقد حسن لهم الشيطان الغوايات، وزين لهم الضلالات، حتى صارت طبائعهم إلى الباطل مائلة، وغرائزهم في ضد الحق جائلة؛ فكم من ادّعى فيهم النبوة، فقبلوا.

وكم زاعم فيهم: أنه المهدي الموعود به؛ فأجابوا داعيه، ولمذهبه انتحلوا. وكم ادّعى فيهم من مذاهب الخوارج؛ فإلى مذهبهم بعد الإسلام انتقلوا..

(١) الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٥٠ ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٠.

ثم سفكوا الدماء المحرمة، واستباحوا الفروج بغير حق، ونهبوا الأموال، واستباحوا الرجال..»^(١).

وهذه الصفات - عموماً - هي بعينها من مميزات الخوارج، وخصائصهم، كما سنرى..

إلا أننا نعتقد: أن السبب الأهم في فشوّ مذهب الخوارج بين البربر، هو سداجة البربر، وسطحيتهم، ثم الشعارات البراقة، التي كان الخوارج يرفعونها، باسم الدين والإسلام، كما أن لظروف البربر أثراً في ذلك أيضاً.. ولأجل ذلك رأينا: أنه بعد ظهور الفاطميين كان البربر وكتامة، الذين تشيعوا - كانوا - دعامة حكم الفاطميين، ولعل بعض الحملات التي وجهها إليهم ياقوت أنفأ، وغيره سببها هذا الأمر فيهم.

كما أننا نرى البعض يشير هنا إلى المعاملة السيئة، التي كان البربر يعانون منها، من قبل الحكم الأموي، قد سهّل لدعوة الخوارج بشعاراتها البراقة، أن تجد السبيل إلى نفوسهم، بيسر وسهولة^(٢).

خارجي يحكم مصر:

ورغم أن الخوارج لم يكن لهم ذلك الانتشار الكبير في مصر، إلا أن بعض من ينسب إليهم قد استطاع أن يصل لأعلى المراتب فيها، يقول ابن حزم؛ عن عنبسة بن إسحاق، الذي ولي مصر في زمن المتوكل أربع سنين:

(١) معجم البلدان ج ١ ص ٣٦٩ وراجع: المهدية في الإسلام ص ١٨٥.

(٢) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٥٨ و ١٥٩.

«..وكان يتهم بمذهب الخوارج، لشدة عدله، وتحريره للحق، وهو آخر من ولي مصر..»^(١).

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٢٠٤.

الفصل الثاني:

القتال من أجل الملك..

بداية:

قد قرأنا في الفصل السابق: أن علياً «عليه السلام» قد وصفهم بأن الشيطان قد زين لهم أنهم ظاهرون.. وأنهم كانوا ينطلقون في حروبهم له مما يجدونه في أنفسهم من حقد وضغينة.. وأن الأمانى قد غرتهم، وأن أنفسهم الامارة وأمانيتهم قد زينت لهم المعاصي.. وأن الهوى قد صدهم عن الحق. وأن النزق قد طمح بهم.. إلى غير ذلك من كلماته «عليه السلام»، التي بينت لنا دوافعهم لخوض تلك الحرب ضد أهل الإيمان والإسلام، وضد الأخوة والآباء والأبناء.. والأصدقاء..

إن إصرارهم على خوض تلك الحرب، وقولهم المتقدم ذكره: يرى علي أنا نخافه؟! رغم إقامة الحجة عليهم، وانقطاع عذرهم، ليدل دلالة واضحة على أن ما يسعون إليه كان بنظرهم أهم من الالتزام بحقائق الدين، وأحكامه وشرائعه..

ولا شك أن الدنيا وحطامها، والحصول على الأموال والغنائم كان أحد أهدافهم من حروبهم التي خاضوها.. ولكنه ليس هو الهدف الوحيد، بل هناك هدف آخر مهم جداً أيضاً، وهو الذي يجلب لهم المال، والسبايا ذوات الجمال.. ألا وهو الوصول إلى الحكم، والإمساك بالسلطان. وسنجد في هذا الفصل شواهد عديدة على ذلك، فإلى ما يلي من مطالب.

الأهداف الباطلة:

وفي عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه بعد أن قتل بعض فرسان الخوارج، نجد عبد الله بن وهب الراسبي يبرز للقتال، ويعلن أنه إنما يفعل ذلك لأجل هدفين اثنين هما:

١ - أخذ ثار من قتل من أصحابه.

٢ - إزالة دولة أمير المؤمنين، وصيرورة الأمر إلى أصحابه الخوارج، فإنه جعل يرتجز بين الصنفين، ويقول:

أنا ابن وهب الراسبي الشاري أضرب في القوم لأخذ الثار
حتى تزول دولة الأشرار ويرجع الحق إلى الأخيار^(١)

ألا عيهم في سبيل الحكم:

والخريت بن راشد أيضاً كان يسعى إلى الدنيا، حيث إنه كان يحاول إرضاء كل الفرقاء، ولا يلزم نفسه بشيء؛ فقد قال لمن معه من الخوارج: «إنا على رأيكم، وإن علينا لم ينبغ له أن يحكم!!»

وقال للآخرين، من أصحابه: حكم، ورضي، فخلعه حكمه الذي ارتضاه. وهذا كان الرأي الذي خرج عليه من الكوفة، وإليه كان يذهب. وقال سرّاً للعثمانية: أنا والله على رأيكم. قد - والله - قتل عثمان مظلوماً.

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٩٠ ونقل أيضاً

عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي.

فأرضى كل صنف منهم.

وقال لمن منع الصدقة: شدوا أيديكم على صدقاتكم، وصلوا بها أرحامكم»^(١).

مع أنه قد علل خروجه على أمير المؤمنين بما يدل على أنه كان حرورياً خارجياً، حيث قال لأmir المؤمنين «عليه السلام» أول خروجه عليه، وعصيانه له: «..لأنك حكمت، وضعفت عن الحق، وركنت إلى القوم الذين ظلموا، فأنا عليك زار، وعليهم ناقم، ولكم جميعاً مبين»^(٢).

يوليه، فينصرف عن خارجيته:

وقد كاتب عبد الملك بن مروان شبيباً الخارجي - في الطاعة، على أن يوليه اليمامة، ويهدر له ما أصاب من الدماء، فاتهموه في هذه المكاتبة^(٣). وبلغ زياداً عن رجل يدعى أبا الخير، من أهل البأس والنجدة أنه يرى رأي الخوارج؛ فدعاه؛ فولاه جندي سابور، وما يليها. ورزقه أربعة آلاف درهم في كل شهر، وجعل عمالته في كل سنة مئة ألف.

-
- (١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩٦ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٨. وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ١٤٠ و ١٤١ وتاريخ الدولة العربية ص ٨١.
- (٢) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٨٧ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤١١ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٤١٧ وشرح نهج البلاغة ج ٣ ص ١٢٨ وراجع: كتاب الغارات ج ١ ص ٣٣٣.
- (٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٧.

فكان أبو الخير يقول: ما رأيت شيئاً خيراً من لزوم الطاعة، والتقلب بين أظهر الجماعة^(١).

ندماء الملوك:

وقد كان زياد بن أبيه يبعث إلى الجماعة منهم، فيقول: «ما أحسب الذي يمنعكم من إتياني إلا الرحلة» (أي عدم وجود ما يركبونه). فيقولون: أجل.

فيحملهم، ويقول: اغشوني الآن، واسمروا عندي.

وقد مدحه عمر بن عبد العزيز على ذلك، فراجع^(٢).

وقد صار سميرة بن الجعد نديماً للحجاج، وغرّته مباهج القصر، فلما عاتبه قطري بن فجاءة على ذلك، حمل سلاحه، ولحق به، دون أن ينذر الحجاج بذلك^(٣).

مدائحهم للطواغيت:

وقد مدح الطرماح وهو خارجي الوالي من قبل بني أمية، خالد بن عبد الله القسري^(٤).

(١) راجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٦١ و ٢٦٢.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٦١ و ٢٦٢.

(٣) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و راجع

أيضاً: مروج الذهب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

(٤) راجع: الأغاني ج ١٠ ص ١٥٨.

وسياقي: أن ابن الكواء يفد على معاوية، ويأخذ جائزته، ويمدحه، ويبين له أيضاً حالات أهل الأمصار.

صداقات ومحبة:

كما أن المنذر بن الجارود العبدى، الذي كانت ابنته زوجة لعبيد الله بن زياد قد كان من أكرم الناس على ابن زياد، ولكنه حينما أجار عليه ابن مفرغ لم يقبل منه^(١).

كما أنه كان قريباً إلى معاوية، ويحضر مجلسه^(٢).

بيعتهم لابن زياد:

وحينما ظهر أمر ابن زياد قال الناس لعبيد الله بن زياد: «أخرج لنا إخواننا من السجون، وكانت مملوءة من الخوارج.

قال: لا تفعلوا.

فأبوا، فأخرجهم.

فجعلوا يبايعونه، فما تكامل آخرهم حتى أغلظوا إليه، ثم عسكروا.

وقيل: خرجوا يمسحون الجدر بأيديهم، ويقولون: هذه بيعة ابن مرجانة

الخ...»^(٣).

(١) راجع: الأغاني (ط ساسي) ج ١٧ ص ٥٦.

(٢) راجع: الأغاني ج ١٣ ص ٤٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٤٦ و ٥٤٧.

وفاء حروري للعرش الأموي!!:

وكان عقفان حرورياً خرج في أيام يزيد بن عبد الملك في ثلاثين رجلاً، فأراد أن يرسل إليه جنداً فقليل له إن قتل عقفان بهذه البلاد اتخذها الخوارج دار هجرة.

فبعث لكل رجل من أصحاب عقفان بعض قومه ليكلمه ويردّه، فلما بقي عقفان وحده بعث إليه يزيد أخاه، فاستعطفه، وردّه.

فلما ولي هشام الخلافة ولاه أمر العصاة بعد أن أراد أن يوليه إمرة مصر. ولما ولي عقفان أمر العصاة، وعظم أمره قدم ابنه من خراسان عاصياً، فشده وثاقاً، وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه، وقال: لو خائنا عقفان لكتم أمر ابنه عنا، فاستعمله على الصدقة فبقي عقفان على الصدقة، إلى أن مات هشام، وولي الخلافة مروان الجعدي الحمار^(١).

الوصول إلى الحكم هدفهم:

ومما يدل على أن الخوارج كانوا طامعين في الوصول إلى الحكم: أن زعيمهم وخليفتهم الأول، عبد الله بن وهب الراسبي، قد قال لرسول علي «عليه السلام»:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم وفي رسالة الخوارج لعلي «عليه السلام» نجدهم يطلبون منه أن يبايع

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥١ وفي هامشه عن الكامل في التاريخ.

لابن وهب الراسبي^(١). فلو أنه بايع له، انحلت عقدتهم تجاهه.

وقد صرح أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: بأنهم غرتهم الأمانى، وزينت لهم المعاصي، ونبأتهم بأنهم ظاهرون^(٢).

الهرب في الحروب، والتفرق، والبغضاء:

وإن هروبهم في الحروب، ثم اختلافاتهم، وما كان ينشأ فيما بينهم من احقاد ليدل دلالة واضحة: على حبهم للدنيا، وطلبهم لها.

وقد قال زيد بن جندب في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة:

قل للمحليين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب

كنا أناساً على دين ففرقنا طول الجدل وخلط الجد باللعب

ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم عن الجدل وأغناهم عن الخطب

إني لأهونكم في الأرض مضطرباً مالي سوى فرسي والرمح من نشب^(٣)

يقتلون إخوانهم للخلاص من السجن!!:

والأدهى من ذلك كله: أننا نجدهم مستعدين لأن يقتل بعضهم بعضاً

اختياراً وقد فعلوا ذلك من دون أي مبرر، في مقابل أن يطلق ابن زياد سراحهم من السجن، وكان منهم طواف بن غلاق.

(١) العقود الفضية ص ٤٩.

(٢) ذكرنا مصادر هذا النص حين الكلام حول وصف علي «عليه السلام» لهم.

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٥.

وقد تبادلت الخوارج بعد ذلك اللوم. وندم طواف بن غلاق وأصحابه على فعلتهم بإخوانهم، وأخذوا ييكون على ما فعلوه بأصحابهم. ثم عرضوا الدية والقود على أولياء المقتولين، فأبوا^(١).

الغدر والخيانة وتطبيق الأحكام انتقائياً:

ويستظهر البعض: أن شبيباً الخارجي قد قتل على يد الخوارج أنفسهم، حيث إنهم حينما هزموا وكان شبيب يعبر الجسر، قطع بعض أنصاره الجبال^(٢)؛ فغرق شبيب بسبب ذلك.

ويقول البعض: إن هذه الرواية أقرب إلى التصديق من رواية نزو فرسه على فرسٍ أنثى كانت أمامه، فنفرت منه، فوقع.

ثم هو يقول: «وكان بين الجماعة التي يقودها نفر لم يكونوا له مخلصين تمام الإخلاص. وهو أمر من السهل جداً أن يوجد في قوم لا لواء لهم يعترفون به غير الله تعالى، أخذ هؤلاء عليه: أنه كان يستثني قومه أن يطبق عليهم ما يأمر به دين الخوارج»^(٣).

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥١٦ و ٥١٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ص ١٤٤

وراجع: العقود الفضية ص ١٠٨ و ١٠٩ لكن فيه: أن ابن زياد إنما سجن الأحرار

والموالي وفتن بعضهم بعضاً، وقتل الأحرار الموالى.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج ٢ ص ٩٧٥ فما بعدها.

(٣) الخوارج والشيعة ص ٩٨.

القعود عن الحرب، والفرار:

إنهم كانوا يدّعون: أن الفرار من الحرب ذنب يوجب الخروج من الدين. وكذلك القعود عن جهاد العدو.

وقد كان هروبهم هذا هو السمة المميزة لهم في كثير من حروبهم. وقد أشار زيد بن جندب إلى هذا الأمر في شعره المتقدم..

ثم إن الكثيرين منهم قد ركنوا إلى الدنيا، فلا يعملون بما يدعون: أنه دينهم وعقيدتهم، بل لقد أظهروا في أكثر من موقع، وأكثر من مناسبة: أنهم طلاب بقاء، لا طلاب موت وفناء.

فهذا أبو خالد التناني يتخلف عن الخروج للحرب، خوفاً على بناته، لأنهن ضعاف، ويخشى عليهن الفقر والعري بعده^(١). فهو إذن.. لا يرى أن الله هو الكافي له ولهن.

وقد سجل لنا التاريخ فرارهم من الحرب في العديد من المواطن، التي يطول المقام بذكرها^(٢).

ويحمس البهلول الشيباني الخائفين من الموت، المتخاذلين بقوله:

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ١٦٧ وراجع: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٧٦ و ٢٦١.

(٢) الأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ١٠٩ و ١١٣ والبرصان والعرجان ص ١٧٦ والعقد

الفريد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١٠١ و ١٢١ وج ٤

ص ٢٧١ و ١٦٦ والخوارج والشيعة ص ٩٦ و ١٠١ والعقود الفضية ص ٢٢٠.

فلا التقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل
 وكان عمران بن حطان - ماح عبد الرحمن بن ملجم لقتله علياً - من
 قعدة الصفرية. وكان يهرب من مكان إلى آخر، تخفياً من عيون الحجاج^(١).
 وقد التجأ إلى بيت روح بن زباب، الذي كان سمير عبد الملك بن
 مروان، مدعياً أنه من الأزدي، وكاد أن يقع في يد عبد الملك، فغادر منزل ابن
 زباب، وخلف رقعة في كوة عند فراشه، فيها أبيات من جملتها:
 يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمنٍ وإن لقيت معدياً فعدناني
 لو كنت مستغفراً يوماً لطاغية كنت المقدم في سري وإعلاني^(٢)
 فهو يعتبر مضيفه طاغية لا يستحق أن يستغفر له، رغم أنه بقي في
 منزله تلك المدة الطويلة.

ودخل الطرماح على عبد الملك، وعنده الفرزدق، وهو مقبل عليه، فقال
 الطرماح: يا أمير المؤمنين من هذا الذي أهلك عني الخ..
 والظاهر: أنه الطرماح بن عدي، وهو الطرماح الأكبر، وهو خارجي^(٣).

(١) خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٣٨ والأغاني (ط ساسي) ج ١٦ ص ١٥٢ و ١٥٤.

(٢) الأغاني (ط ساسي) ج ١٦ ص ١٥٣ وراجع: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢١٤ و ٢١٥

والكامل في الأدب ج ٣ ص ١٧٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٩٢ - ٩٤.

(٣) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٥٥ - ٥٦.

وكان أصحاب قطري بن الفجاءة، يخشون أن يلبسهم العار لكثرة هروبه من وجه المهلب، فخاطبه أحدهم:

أيا قطري الخير إن كنت هارباً ستلبسنا عاراً وأنت مهاجر

إذا قيل قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحتى متى هذا الفرار مخافةً وأنت ولي والمهلب كافر^(١)

وحينما أرسل الحجاج من ينادي في أصحاب شبيب: من جاءنا منكم فهو آمن.. كان كل من ليست له بصيرة في دين الخوارج، ممن هزه القتال وكرهه ذلك اليوم يجيئ فيؤمن.

وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب: من جاءنا فهو آمن. فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه^(٢).

وبعضهم «جيء به ليقتل، فاستثاره منظر الجلاد والنطع؛ فأخذ يستنجد عاطفة الخليفة، ليعفو عنه، ويتركه لأطفاله»^(٣).

وقد اعترف عمرو بن الحصين بخذلانه أصحابه، حينما قال:

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٧٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٧٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٦ ص ٢٧٧.

(٣) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨٥.

كم من أولي مقعة صحبتهم شروا فخذلتهم ولبس فعل الصاحب^(١)
وقال آخر منهم، كان قد خذل أصحابه أيضاً:
إخوان صدق أرجيهم وأخذهم أشكوا إلى الله خذلاني لأنصاري^(٢)
ولا مبرر لهذه الشكوى فقد كان بإمكانه أن ينصرهم ويشد أزرهم.
وكان رجل من الخوارج قد قال قصيدة، فكان منها:
ومنا يزيد والبطين وقعنّب ومنا أمير المؤمنين شبيب
فسار البيت، حتى سمعه عبد الملك بن مروان، فأمر بطلب قائله؛ فأتى به،
فلما وقف بين يديه، قال: أنت القائل:
ومنا أمير المؤمنين شبيب؟!
قال: لم أقل هكذا يا أمير المؤمنين.
قال: فكيف قلت؟!
قال: قلت: ومنا أمير المؤمنين شبيب.
فضحك عبد الملك، وأمر بتخية سبيله. فتخلص بحيلته وفطنته؛ لإزالة
الإعراب عن الرفع إلى النصب^(٣).

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨١.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨١.

(٣) المحاسن والمساوي ج ١ ص ٢١٨ وفي هامشه عن: المحاسن والأضداد ص ١٣٠ ومعجم

الأدباء ج ١ ص ٢٥ والمستجدات من فعاليات الأجواد ص ٢٤٤ وسير أعلام النبلاء ج ٤

وذكروا: أن خارجياً كان قد خرج على ابن عامر - وذلك في زمن معاوية - «فضيق عليه الخناق، حتى اضطره إلى طلب الأمان، فمنحه إياه، ولما علم معاوية بالأمر، كتب إلى واليه، يأمره بقتله، وقتل أصحابه، فلم يستجب لأمره، وردّ عليه متذرّعاً: إني قد جعلت لهم ذمتك»!!^(١).

كما أن سهم بن غالب الهجيمي، الذي خرج على زياد، عاد فطلب الأمان من زياد، فلم يؤمنه، وظل يطلبه حتى قتله^(٢).

كما أن الذين أجبروا أمير المؤمنين «عليه السلام» على قبول التحكيم في صفين، قد احتجوا بقولهم: «كنا قد طالت الحرب علينا، واشتد البأس، وكثر الجراح، وحل الكراع»^(٣).

فهم حباً بالراحة قد أفسدوا حياة الأمة بأسرها بموقف أرعن، حين أجبروا علياً «عليه السلام» على قبول التحكيم، ثم حاولوا إجباره على التراجع عنه..

رأي ابن خلدون:

وأخيراً.. فإنه يتضح مما قدمناه عدم صحة قول ابن خلدون: «الخوارج المستميتون في شأن بدعتهم، لم يكن ذلك لنزعة ملك، ولا سياسة، ولم يتم

ص ١٤٧ وعن وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٥٦ وعن عيون الأخبار ج ٢ ص ١٥٥.

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ١٢٢ عن الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤١٧ و ٤١٨.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ١٢٣.

(٣) بهج الصباغة ج ٧ ص ١٦١ عن ابن ديزيل في صفينه، وبقية المصادر في الفصول المتقدمة.

أمرهم لمزاحمتهم العصبية القومية»^(١).

نعم.. إن هذا لا يصح، إذ قد:

اتضح مما سبق: أنهم كانوا يريدون الملك، وأن يكون لهم الحكم كما صرح به أحد زعمائهم، وبينه تاريخهم، وما إلى ذلك.

قد زين لهم الشيطان أنهم ظاهرون ومنتصرون، كما صرح به سيد الوصيين علي أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»..

إن عدم وصولهم إلى ما يريدون ليس بسبب مزاحمتهم العصبية القومية كما ادعاه، وإنما بسبب سياساتهم الخرقاء، وسلوكهم الأرعن، وإجرامهم، ومزاعمهم الباطلة، وعقائدهم الفاسدة، التي تجعل الناس كلهم ضدهم، لأنهم يكفرون كل من عداهم. كما أنهم يستحلون قتل حتى أطفال ونساء مخالفيهم من المسلمين، وبأبشع الطرق والأساليب، كما أوضحناه في أكثر من مورد من هذا الكتاب.

كما أن استماتتهم إنما كانت لدوافع أخرى، كالحقد الذي يجدونه في أنفسهم، وطموح الترق بهم، وللحصول على بعض حطام الدينا أحياناً أخرى. إذن.. فلم تكن الإستماتة لأجل بدعتهم كما ادعاه ابن خلدون، وإن كنا لا نستبعد ذلك بالنسبة لبعض الأفراد من المخدوعين والسذج، والبسطاء منهم كما أشرنا إليه..

(١) مقدمة ابن خلدون ج ٢ ص ٦٩ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٨.

الفصل الثالث:

مفارقات، وتناقضات في مواقف الخوارج..

بداية:

إن من يراجع عقائد الخوارج، ومذاهبهم، يجد مفارقات كبيرة بينها وبين ما كانوا يتخذونه من مواقف عبر العصور..

فبينما نجدهم يكفرون جميع من عداهم، وينقمون على خلفاء الجور، ويحاربونهم بكل ضراوة وعنف.. ويستحلون حتى قتل النساء والأطفال، والشيوخ، وبصورة بشعة ولا إنسانية، فإنهم في ظروف أخرى يتعاملون مع أولئك الحكام، ويبايعونهم، ويعينونهم، ويكونون إلى جانبهم..

وإذا كان مذهبهم يقوم في الأساس على البراءة من علي «عليه السلام»، ومن كل ما يمت إليه بصلة أو رابطة، فإننا نجدهم يتعاملون مع بعض ولده ويؤيدونهم، رغم أن دعوة ولده لا تختلف عن دعوته، وأن خطه هو نفس خطه «صلوات ربي عليه وسلامه وبركاته»..

وقد تقدمت نماذج كثيرة تكفي للإعلان بالاختلاف بين ما يدعون أنهم يعتقدون وبين ما يمارسونه..

ونذكر فيما يلي أنموذجاً آخر من هذه المفارقات في مواقفهم، والمناقضة لما قرروه في اتجاهاتهم وعقائدهم: وقد يجد المتبع لهذه الدراسة نماذج أخرى ذكرت في موضعها ولم نشر إليها هنا، فإننا لسنا في صدد تتبع ذلك واستقصائه.

بل نذكر ما نذكره هنا على سبيل النموذج والمثال.

فنقول:

موقفهم من الإمام الحسن عليه السلام:

إن من الواضح: أن أساس نحلة الخوارج يقوم على البراءة من أمير المؤمنين «عليه السلام» وتكفيره.. وعدم الاستجابة لأية دعوة أو خطة فيها تأييد لنهجه «صلوات الله وسلامه عليه»..

وواضح: أنه «عليه السلام» هو الذي أوصى لولده الإمام الحسن «عليه السلام» بالخلافة^(١)؛ تنفيذاً لأمر الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، الذي قال: الحسن والحسين إمامان، قاما أو قعدا^(٢).

(١) راجع: مقاتل الطالبين ص ٥٥ و ٥٦ وراجع: ص ٥٢ و ٣٤ والفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ١٥١ ومناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٣١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٣٦ - ٤٠ وراجع: ص ٣٠ وج ١ ص ٥٧ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٦٤ عن كشف الغمة، والعقد الفريد ج ٤ ص ٤٧٤ و ٤٧٥ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٢٤٩ والمناقب للخوارزمي ص ٢٧٨ وتيسير المطالب ص ١٧٩ والأغاني ج ٦ ص ١٢١ وقاموس الرجال ج ٥ ص ١٧٢ وإثبات الوصية ص ١٥٢ وغير ذلك.

(٢) راجع: الفصول المختارة ص ٣٠٣ والإرشاد للمفيد ج ٢ ص ٣٠ والتعجب ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٤١ - ١٦٣ والطرائف ص ١٩٦ والمستجدات من الإرشاد ص ١٥٧ وغوالي اللآلي ج ٣ ص ١٣٠ وج ٤ ص ٩٣ والصوارم المهرقة ص ٩٥ وبحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢ و ١٦ و ٤٣ و ٦٨ و ٢٧٨

كما أن الإمام الحسن المجتبي، قد كان مع أبيه في كل آرائه ومواقفه، يؤيده ويعينه، ويشد من أزره. ولم يفارق نهجه وخطه قيد أنملة، حتى حينما حارب الخوارج في النهروان وقتلهم، وأباد خضراءهم.

ولكننا مع ذلك كله، ومع أنه لم يمر على هذه الواقعة التي كان لها الأثر العميق في الخوارج سستان بعد.. نجد الخوارج ينخرطون في جيش الإمام الحسن «عليه السلام»، ويكونون معه في حربه ضد معاوية، فقد جاء في النص التاريخي:

«خف.. ومعه أخلاط من الناس: بعضهم شيعة له، ولأبيه، وبعضهم محكّمة - (أي خوارج) يؤثرون قتال معاوية بكل حيلة، وبعضهم أصحاب فتن، وطمع في الغنائم الخ..»^(١).

إذن.. فقد ساعد الخوارج الإمام الحسن «عليه السلام» الذي كان أبوه وكان هو مع أبيه من أشد الناس عليهم، وأعظمهم نكاية فيهم؟!

موقفهم من زيد بن علي عليه السلام:

ثم إنهم قد بايعوا زيد بن علي «عليه السلام»، حينما قام في وجه الحكم الأموي كما يرويه السيد أبو طالب، يحيى بن الحسين، بن هارون الحسيني،

و ٢٩١ وج ٣٥ ص ٢٦٦ وج ٣٦ ص ٢٨٩ و ٣٢٥ وج ١٦ ص ٣٠٧ وج ٢١

ص ٢٧٩ وألقاب الرسول وعترته ص ٤٩.

(١) راجع: أعيان الشيعة ج ١ ص ٥٦٨ والإرشاد ص ١٩٣ وكشف الغمة ج ٢ ص ١٦٥.

في كتاب: «الدعامة»^(١).

هذا، وقد رثى شاعر الخوارج، حبيب بن جدرة الهلالي، زيدا «رحمه الله»، فقال:
يا با حسين والأمور إلى مدى أولاد درزة أسلموك وطاروا
يا با حسين لو شراة عصابة علقته كان لوردهم إصدار^(٢)

قال المبرد: تقول العرب للسقاط والسفلة: أولاد درزة^(٣).

وقيل: هم الخياطون، فإن زيدا لما خرج كان معه خياطون من الكوفة^(٤).
وقال أيضاً:

أولاد درزة أسلموك مبللاً^(٥) يوم الخميس لغير ورد الصادر
تركوا ابن فاطمة الكرام تقوده بمكان مسخلة لعين الناظر^(٦)
هذا مع العلم: بأن زيدا هو حفيد علي «عليه السلام» الذي حاربهم، وأباد

(١) الحور العين ص ١٨٥ و ١٨٦.

(٢) الحور العين ص ١٨٧ والكامل في الأدب ج ٤ ص ١١٢ بتقديم البيت الثاني على الأول كتاب: أبو الحسين زيد الشهيد ص ٩٨ عن نسمة السحر عن بعض التواريخ، وربيع الأبرار ج ٢ ص ١٩٣ وراجع: لسان العرب ج ٥ ص ٣٤٨.

(٣) الكامل في الأدب ج ٤ ص ١٢ وراجع: لسان العرب ج ٥ ص ٢٤٨ وربيع الأبرار ج ٢ ص ١٩٣ و ١٩٤ وفيه قال: هم خياطون من أهل الكوفة، خرجوا ثم انهزموا أسرع شيء.

(٤) أبو الحسين زيد الشهيد ص ٩٨.

(٥) لعل الصحيح: مبللاً.

(٦) الحور العين ص ١٨٧.

خضراءهم، وكانت دعوته شيعية علوية خالصة.. غير أن حقدهم على الأمويين، وكذلك عدم قطعهم ببطلان ما كان عليه علي «عليه السلام» وولده، قد جعلهم يتجاوزون كل الاعتبارات، ثم أن يعينوا تلك الفئة التي تنتمي إلى ذلك الرجل الذي لا يمكنهم أن يغفروا له ما فعله بهم، ولا أن ينسوه على مرّ الأيام..

معاونتهم لأبي مسلم الخراساني:

كما أن شيان بن سلمة، زعيم الفرقة الشيبانية منهم قد أعان أبا مسلم الخراساني القائم بأمر الدعوة العباسية، وعلي بن الكرمان في الحرب ضد الوالي الأموي نصر بن سيار^(١)، تلك الحرب التي انتهت بالإطاحة بالحكم الأموي، وتوطيد الأمر للعباسيين..

معاونتهم لابن الزبير:

هذا.. وقد أعانوا ابن الزبير أيضاً في حربه ضد الأمويين رغم أنهم لم يتأكدوا بعد من توجهاته، وذلك بعد أن بلغهم خروج مسلم بن عقبة إلى المدينة، وقتله أهل حرة، وأنه مقبل إلى مكة؛ فقالوا: يجب علينا أن نمنع حرم الله منهم، ونمتحن ابن الزبير؛ فإن كان على رأينا بايعناه؛ فلما صاروا إليه عرفوه أنفسهم وما قدموا له؛ فأظهر لهم ابن الزبير: أنه على رأيهم؛ فقاتلوا

(١) راجع: الخطط للمقرئ ج ٢ ص ٣٥٥ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٧ والمثل

والنحل ج ١ ص ١٣٢ والخور العين ص ١٧٢ والفرق بين الفرق ص ١٠٢ وراجع

أيضاً: العيون والحدائق ص ١٦٦ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٦٥.

معه أهل الشام حتى مات يزيد، وانصرف الجيش الشامي عن مكة. ثم امتحنوا ابن الزبير، فصرفهم إلى العشي؛ لأنه لم يكن عنده من يمتنع به منهم. وفي العشي خرج إليهم، وقد لبس سلاحه؛ فرفض ما دعوه إليه، من البراءة من عثمان، وتكفير أبيه الزبير؛ ففارقوه، وكان ذلك سنة ٦٤ هـ. وكان فيهم نافع بن الأزرق، ونجدة، وبنو ماحوز، وغيرهم من زعماء الخوارج^(١). وبعد ذلك كتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوه إلى أمره فلم يستجب له. ويلاحظ: أن ابن الزبير الذي اتخذ سبيل التقية قد سكت عن علي «عليه السلام» الذي حاربه هو وأبوه من قبل، ولم يذكره كما ذكر عثمان وطلحة والزبير. ولعل مساعدتهم لابن الزبير لم تكن بالأمر الذي يثير عجباً كثيراً، بعد إعلانهم: أن هدفهم أولاً هو الدفاع عن حرم الله تعالى، ضد الذين كان عداؤهم لهم لا رجعة عنه، لأن كفرهم لديهم كان أمراً غير قابل للريب والشك إطلاقاً.

(١) راجع فيما تقدم: العقد الفريد ج ٢ ص ٣٩١ - ٣٩٥ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٧٦ - ٢٨٢ والكامل لابن الأثير ج ٤ ص ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و راجع ص ١٢٣ و ١٢٤ وأنساب الأشراف ج ٤ ص ٩٥ و ٩٩ و ٢٨ و ٤٧ و ٥٤ و ٥٨ و ١٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٤٣٦ - ٤٣٩ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٤ و ١٤٥ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢٣٩ و راجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٢٢ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٨ و ٢٩ و ٤٤ عن بعض من تقدم، وعن ابن كثير، وابن أبي الحديد، والمسعودي، و راجع: العقود الفضية ص ٢٢ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨٣ و ٨٤ والغدير ج ١٠ ص ٥٢.

وعلى كل حال، فإن النص التاريخي يقول: إنه كان قد دخل «في طاعة ابن الزبير رؤوس الخوارج: نافع بن الأزرق، وعطية بن الأسود، ونجدة الخ..»^(١).

ويقول المعتزلي: «..إن عبد الله بن الزبير استنصر على يزيد بن معاوية بالخوارج، واستدعاهم إلى ملكه؛ فقال الشاعر:

يا ابن الزبير أتهوى فتية قتلوا ظلماً أباك ولما تنزع الشكك^(٢)

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية يا طيب ذاك الدم الزاكي الذي سفكوا

فقال ابن الزبير: لو شايعني الترك والديلم على محاربة بني أمية لشايعتهم، وانتصرت بهم..»^(٣).

وقد قيل له؛ حينما كان الخوارج يقاتلون معه أهل الشام: «أتقاتل بهذه المارقة؟

فقال: لو أعانتني الشياطين على أهل الشام لقاتلتهم بهم..»^(٤).

وقال الذهبي: «وكانت الخوارج وأهل الفتن قد أتوه وقالوا: عائد بيت الله.

ثم دعا إلى نفسه، وبايعوه، وفارقه الخوارج»^(٥).

(١) سنن البيهقي ج ٨ ص ١٩٣ والغدير ج ١٠ ص ٥٢.

(٢) الشكك: جمع شكة، وهي السلاح.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١٣١ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٨٢.

(٤) أنساب الاشراف ج ٤ ص ٤٩ وراجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٨٢.

(٥) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٧٣ وراجع: تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧

وهكذا يتضح: أنه كما أن الخوارج لم يكن يهمهم من أجل القضاء على الأمويين حتى أن يعينوا زيد بن علي، وأبا مسلم، وابن الزبير بالذات.. كذلك ابن الزبير.. فإنه لم يكن يهمه من أجل الوصول إلى أهدافه، وتحقيق مآربه بالحكم والسلطان: أن يستعين حتى بالشياطين، فضلاً عن الخوارج، كما صرح به، حسبما تقدم..

نعم.. ولا غرابة في ذلك. فإنه قد أظهر للخوارج أولاً: أنه منهم، وجعل شعاره حينما اتصل بهم نفس شعارهم، وهو: «لا حكم إلا لله»^(١).

كما أنه قد قطع الصلاة على النبي أربعين جمعة بغضاً منه بأهل بيته «صلى الله عليه وآله»^(٢).

وقبل ذلك، فإنه هو الذي حارب أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» مع أبيه وغيره من الناكثين..

إلى غير ذلك مما لا مجال لاستقصائه، مما يؤكد فيه تلك الخصيصة التي أشرنا إليها آنفاً.

ص ٤١٠ وتاريخ الإسلام ج ٣ ص ١٧٠ و ١٧١.

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٣٦٠ وج ٢ ص ٤٦ وأوائل المقالات ص ٢٣٣ والإختصاص ص ١٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٦٩ ومناقب أمير المؤمنين ج ٢ ص ٣٤٠ و ٣٤١ وبحار الأنوار ج ٣٢ ص ٥٤٤ وج ٣٣ ص ٣٣٨ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٦١ و ٣٩٥ وج ٣٨ ص ١٨٣ وج ٤٢ ص ٢٧١.

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣١٦ والصوارم المهرقة ص ٩٧ والأمالى هامش ص ٣٤٧.

معونتهم للأمويين:

بل نجد: أنهم قد أعانوا حتى الأمويين، حينما كانت دعوتهم موافقة لعصبيتهم، فقد قال ابن خلدون، وهو يتكلم عن حركة الضحاك بن قيس: «..وولى مروان على العراق النضر بن سعيد الحرشي، وعزل به عبد الله بن عمر بن عبد العزيز؛ فامتنع عبد الله بالحيرة، وسار إليه النضر، وتحاربا أشهراً، وكانت الصفرية مع النضر عصبة لمروان بالطلبة بدم الوليد، وأمه قيسية الخ..».

ثم ذكر كيف أن الضحاك والخوارج قد استفادوا من هذا الخلاف، وحاربوهم، ثم ما جرى منهم^(١).

كما أن شيان الخارجي قد صالح نصر بن سيار، العامل الأموي المعروف في خراسان^(٢). ليتمكن من مواجهة العباسيين وغيرهم.

وقال ابن قتيبة الدينوري: «وسار مصعب بن الزبير بجماعة أهل البصرة، نحو المزار، وتحلف عنه المنذر بن الجارود، وهرب منه نحو كرمان في جماعة من أهل بيته، ودعا لعبد الملك بن مروان»^(٣).

والأزارقة أيضاً قد قبلوا بموادعة المهلب ثمانية عشر شهراً ليتفرغ لحرب المختار^(٤).

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٦٤.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٢٠.

(٣) الأخبار الطوال ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

(٤) الأخبار الطوال ص ٣٠٤ و ٣٠٥.

وقد عرفنا كذلك: أن شبيب بن يزيد الخارجي قد قصد أولاً الشام، وطلب من عبد الملك: أن يفرض له في أهل الشرف، فلما رفض طلبه، خرج عليه، واستولى على ما بين كسكر والمدائن. وقد هزم للحجاج عشرين جيشاً في مدة سنتين^(١).

وقد اتهم بمكاتبة عبد الملك بعد أن خرج عليه، ووعد عبد الملك بولاية اليمامة، ويهدر له ما أصاب من الدماء^(٢).

والخريت أيضاً قد قال للعثمانية: «إنا - والله - على رأيكم، قد - والله - قتل عثمان مظلوماً»^(٣).

وسميرة بن الجعد قد أصبح سميراً للحجاج^(٤).

وكان زياد يرسل إلى جماعة منهم فيحملهم إليه ويسمرون عنده، وقد مدحه عمر بن عبد العزيز على ذلك^(٥).

وعمران بن حطان أيضاً، قد نزل ضيفاً على روح بن زباب، وكان أثيراً عند عبد الملك فلما اطلع على أمره ارتحل عنه^(٦).

(١) راجع: الفرق بين الفرق ص ١١١ والفتوح لابن أعمش ج ٧ ص ٨٤ و ٨٥.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٣٤٧.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩٦ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٨.

(٤) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و راجع: مروج الذهب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

(٥) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٦١ و ٢٦٢.

(٦) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٩٢ و ٩٥ ومصادر أخرى تقدمت.

وتقدم: أن عقفان الحروري خرج في أيام يزيد بن عبد الملك في ثلاثين رجلاً، فأرسل يزيد إليهم أهلهم فردوهم، وبقي عقفان وحده؛ فبعث إليه يزيد أخاه، فاستعطفه ورده.

فلما ولي هشام الخلافة ولّاه أمر العصاة، بعد أن أراد أن يوليه إمرة مصر. ولما ولي عقفان أمر العصاة، وعظم أمره قدم ابنه من خراسان عاصياً، فشده، وثاقاً وبعث به إلى الخليفة هشام، فأطلقه هشام لأبيه. ثم استعمل عقفان على الصدقة، فبقي على الصدقة إلى أن مات هشام^(١).

وفي المقابل نجد سليمان بن هشام الأموي قد انضم إلى الضحاك بن قيس، وكان معه جيش من أربعة آلاف^(٢).

خارجيان حاربوا الحسين، ثم استشهدا معه:

وقد ذكروا: أن أبا الحتوف ابن الحارث بن سلمة الأنصاري العجلاني، كان مع أخيه سعد في الكوفة، ورأيهما رأي الخوارج.

فخرجا مع عمر بن سعد لحرب الحسين «عليه السلام».

فلما كان اليوم العاشر، وقتل أصحاب الحسين، وجعل الحسين ينادي: ألا ناصر فينصرنا، فسمعتة النساء والأطفال، فتصارخن. وسمع سعد وأخوه أبو الحتوف النداء من الحسين، والصراخ من عياله، قالوا إنا نقول: لا حكم إلا لله، ولا طاعة لمن عصاه. وهذا الحسين ابن بنت نبينا محمد، ونحن نرجو شفاعته

(١) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٥١ وفي هامشه عن الكامل في التاريخ.

(٢) الخوارج والشيعة ص ١٠٣.

جده يوم القيامة، فكيف نقاتله وهو بهذا الحال، لا ناصر له ولا معين؟!
 فما لا بسيفهما مع الحسين على أعدائه، وجعلا يقاتلان قريباً منه حتى
 قتلا جمعاً وجرحا آخر، ثم قتلا معاً في مكان واحد. وختم لهما بالسعادة الأبدية
 بعد ما كانا من المحكّمة. وإنما الأمور بخواتيمها^(١).

وإذا كان ميلهما إلى الحسين «عليه صلوات ربي وسلامه» قد كان بسبب
 وضوح الأمر لهم، وظهور مظلوميته لديهم، وموافقة ذلك لمنطق العقل والإحتياط
 للدين.

فإن مساعدتهما للأمويين، وخروجهما في جيش عمر بن سعد، لا يمكن
 تفسيره على أساس ديني، ولا منطقي على الإطلاق، فإن الخوارج الذين لا
 يقبلون بالقعود عن محاربة السلطان الظالم، لا يمكن أن يكون يزيد - بنظرهم -
 محقاً في حربه للحسين، ولا في تأمره على الأمة، في أي من الظروف والأحوال.
 فلا بد من تفسير هذا الخروج معهم، والعون لهم على أنه قد كان لأجل
 الدنيا، ولا شيء وراء ذلك على الإطلاق، أو بغضاً بكل من هو من ولد علي
 «عليه السلام» وحقداً.

ثم تداركهما الله بلطف منه، وأنار بصيرتهما، فختم لهما بالسعادة، وأكرمهما
 بالشهادة.

(١) الكنى والألقاب ج ١ ص ٤٥.

الباب السابع:

واقع الخوارج..

الفصل الأول:

الخوارج في البلاد والقبائل..

تأثير علي عليه السلام في خوارج الكوفة:

لقد ظهر الخوارج - أول ما ظهروا - في شرقي الدولة الإسلامية، في مناطق العراق، وخصوصاً في منطقة البصرة والكوفة، ثم بدأوا يظهرين في بقية المناطق.

غير أن نظرة فاحصة نلقيها على كل من خوارج البصرة والكوفة تعطينا: أن ثمة فروقاً فيما بينهما في كل من المنطقتين. ولعل ذلك يرجع إلى تأثير علي «عليه السلام» في أهل الكوفة؛ لأنه قد عاش فيما بينهم برهة، وعرفوه عن كثب، ولم يكن - والحالة هذه - من السهل تضليلهم في شأن علي «عليه السلام»، وفي سلوكه، وسيرته ومواقفه.

هذا بالإضافة إلى تأثير المبادئ الصافية التي أشاعها عليه الصلاة والسلام فيما بينهم، حيث تركت لها أثراً بارزاً في عقلية وحياة الكثيرين منهم، وإن كان يختلف ذلك ويتفاوت، بسبب اختلاف الظروف، والحالات بالنسبة لفردٍ وآخر، وفريق أو قبيلة. بالنسبة إلى فريق أو قبيلة أخرى.

خوارج البصرة أكثر عدداً:

وعلى هذا الأساس أيضاً يمكن تفسير ظاهرة قلة الخوارج في منطقة الكوفة بالنسبة إلى خوارج البصرة. فإن أهل البصرة كانوا يعانون من عقدة

ما جرى لهم في حرب الجمل، التي سجل فيها علي «عليه السلام» نصراً ساحقاً وحاسماً، وكانت لهم فيها هزيمة قبيحة وفاضحة ومنكرة. والبصريون أيضاً لم يعيشوا مع علي، ولا عرفوا الكثير عنه، وعن مبادئه، ومواقفه، وسلوكياته.

خوارج الكوفة أكثر استعداداً للحوار:

والظاهرة التي نلمح إليها بصورة عابرة هنا هي:

أن خوارج الكوفة - بفعل تأثير علي عليه الصلاة والسلام فيهم أيضاً كانوا - فيما يظهر - أكثر استعداداً للحوار، وأكثر تفاعلاً معه.

فلا عجب إذن، إذا كثرت فيهم الراجعون إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، والمتراجعون عن مواقفهم منهم. أو الشاكون والمترددون بعد حوار موضوعي بناءً ومقنع، بخلاف حال خوارج منطقة البصرة الذين كانوا أكثر اندفاعاً نحو الجريمة وأشدّ امعاناً في اللجاج والعناد.

ومهما يكن من أمر، فإن البصرة والكوفة كانتا معقلهم الأساس في بداية ظهورهم، ثم إنهم كثروا بعد ذلك، وظهروا في مناطق مختلفة، ثم انحسروا ليستقر بهم الأمر في مناطق بعيدة عن مراكز القرار، غرباء عن مواقع الحركة السياسية والحضارية، والثقافية، حتى كان آخرهم لصوصاً سلابين على حد تعبير أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

مناطق الخوارج:

ومهما يكن، فإن الخوارج قد انتشروا في العديد من المناطق في شرق الدولة الإسلامية، مثل: كرمان، وفارس، وغيرها.

وقد استولوا في بعض الفترات على اليمامة، وحضر موت، واليمن، والطائف.
ويقول ابن خلدون: «وكان بنو نواحي البحرين وعمان إلى بلاد حضر موت،
وشرقي اليمن، ونواحي الموصل آثار تفشي وعروق في كل دولة، إلى أن خرج
علي بن مهدي من خولان باليمن، ودعا إلى هذه النحلة، وغلب يومئذ من
كان من الملوك باليمن، واستلحم بني الصلحي القائمين بدعوة العبيديين
من الشيعة، وغلبوهم على ما كان بأيديهم من ممالك اليمن، واستولوا أيضاً
على زبيد ونواحيها من يد موالي بني نجاح، ومولى ابن زياد..

إلى أن قال: ويقال: إن باليمن لهذا العهد شيعة من هذه الدعوة ببلاد
حضر موت، والله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء..»^(١).

وقال المجلسي: «صاروا نحواً من عشرين فرقة. وكبارها ست: الأزارقة
أصحاب نافع بن الأزرق، وهم أكبر الفرق، غلبوا على الأهواز وبعض
بلاد فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير.

والنجدات، رئيسهم نجدة بن عامر الحنفي.
والبهيسية أصحاب أبي يهس هيصم بن جابر، وكان بالحجاز، وقتل
في زمن الوليد.

والعجاردة أصحاب عبد الكريم بن عجرد.
والإباضية أصحاب عبد الله بن إباض قتل في أيام مروان بن محمد.
والثعالبة أصحاب ثعلبة بن عامر»^(٢).

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٧٠.

(٢) بحار الأنوار (ط قديم) ج ٨ ص ٥٧٢.

وقال المسعودي: «..وذكرنا مواضعهم من الأرض في هذا الوقت مثل من سكن منهم من بلاد شهرزور، وسجستان، واصطخر، من بلاد فارس، وبلاد كرمان، وأذربيجان، وبلاد مكران، وجبال عمان، وهراة من بلاد خراسان، والجزيرة، وتاهرت السفلى، وغيرها من بقاع الأرض»^(١).

وقال المعتزلي: «..ويقال: إن في عُمان وما والاها، من صحار وما يجري مجراها قوماً يعتقدون فيه ما كانت الخوارج تعتقده فيه، وأنا أبرأ إلى الله منهما»^(٢).

والخلاصة: أن الخوارج كانوا متواجدين بشكلٍ وبآخر في فترات تاريخية تختلف وتتفاوت في العديد من المناطق مثل: فارس، ومكران، وعُمان، واليمنية، ونواحيها إلى حضرموت، وهجر، والموصل، وعامة أرض اليمن، والجزيرة، وسجستان، وخراسان، وكرمان، وقهستان^(٣).

وهذه الأربعة الأخيرة كانوا على مذهب عطية، كما أن «عامة الشيبانية بجرجان، ونسا، وأرمينية»^(٤).

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٩٣.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٨ ص ٢٨٢.

(٣) راجع فيما تقدم، كلاً أو بعضاً، المصادر التالية: جمهرة أنساب العرب ص ٣٢٢

والفرق بين الفرق ص ٨٥ و ٩٨ و ٩٩ وتاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٧٢ و ٢٧٣

والبحر الزخار ج ١ ص ٤٢ وأنساب الأشراف ج ٤ ص ٢٨ والخور العين ص ٢٠٢

والملل والنحل ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ و ١٢٤ وراجع: نظرة عامة في تاريخ الفقه

الإسلامي ص ١٧٤ والعقود الفضية ص ٦٦ عن الموسوعة العربية الميسرة.

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٣.

وقد وصف الأصمعي الأمصار في زمنه، فقال: البصرة كلها عثمانية، والكوفة كلها علوية، والشام كلها أموية، والجزيرة خارجية، والحجاز سنة»^(١).
والتعليل الذي أورده ابن عبد ربه هو: «والجزيرة خارجية، لأنها مسكن ربيعة، وهي رأس كل فتنة»^(٢).

وعلى حسب نص المعتزلي: «وأما الجزيرة فحرورية مارقة، والخارجية فيهم فاشية، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى»^(٣).
وقال محمد بن علي العباسي زعيم الحركة العباسية لدعائه: «أما الكوفة وسوادها، فهناك شيعة علي وولده، وأما البصرة وسوادها فعثمانية، وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كأعلاج، ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى»^(٤).

ونقل عن الأصمعي أيضاً ما يقرب من هذا^(٥).

وقال الأشعري: «..والكور الغالب عليها الخارجية: الجزيرة، والموصل، وعمان، وحضر موت، ونواح من المغرب، ونواح من خراسان.

(١) العقد الفريد (ط دار الكتاب العربي) ج ٦ ص ٢٤٨.

(٢) العقد الفريد ج ٦ ص ٢٤٨.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٩٣..

(٤) معجم البلدان للحموي ج ٢ ص ٣٥٢ وأحسن التقاسيم ص ٢٩٣ وعيون الأخبار

لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠٤ والسيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ٩٣ وراجع:

الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٠٢.

(٥) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٦٧ والعقد الفريد ج ٦ ص ٢٤٨.

وقد كان لرجل من الصفرية سلطان في موضع يقال له: سجلهاسة، على طريق غانة»^(١).

وجاء في سياق كلام أحمد أمين المصري: «كانوا فرعين: فرعاً بالعراق وما حولها. وكان أهم مركز لهم البطائح، بالقرب من البصرة، وقد استولوا على كرمان، وبلاد فارس، وهددوا البصرة.. إلى أن قال: وفرعاً بجزيرة العرب، استولوا على اليمامة وحضرموت، واليمن والطائف»^(٢).

لا بد من الدقة:

إننا نعتقد: أن ما يذكرونه من تواجد الخوارج في المناطق المشار إليها تعوزه الدقة، والموضوعية..

ولعلنا نلمس بعض الميل إلى تضخيم أمر الخوارج، واعتبارهم ثواراً حقيقيين تجسدت فيهم آمال الجماهير، فانسأقت وراءهم، حيث استهوتها شعاراتهم، وبهرتها مواقفهم وبطولاتهم، لاسيما وأنها لمست فيهم الصلابة في الدفاع عن الدين والحق، وعن المظلومين.

ولكننا إذا راجعنا وقائع التاريخ، لاسيما تاريخ الخوارج، نجد: أنهم بسبب ما ظهر منهم، قسوة وعنف قد أثاروا جواً من الرعب والخوف والإحباط لدى عامة الناس الأبرياء. إلى حد لم يعد يمكن اعتبار استيلائهم على بعض البلاد

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٩١.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

يمثل استجابة لحالة شعبية، أو يعكس رضى عامة الناس، أو يدل على قبولهم للعقيدة الخارجية. فإن الناس كانوا يحبون السلامة.

وكانت شراذم الخوارج لا ترحم أحداً، ولا ترثي لحال أحد، فهي تستحل دماء الناس حتى الطفل الصغير، والشيخ الكبير لأنفه الأسباب، بل وبدون سبب على الإطلاق. ولم تقتصر حالة الخوف هذه على القرن الأول الهجري، بل استمرت إلى ما بعد كسر شوكة الخوارج بعد عشرات، بل مئات السنين من ذلك، حتى لنجد: أن الفضل بن شاذان المتوفي سنة ٢٦٠هـ.ق «كان برستاق بيهق، فورد خبر الخوارج، فهرب منهم، فأصابه التعب من خشونة السفر؛ فاعتل ومات»^(١).

الخوارج في إفريقيا:

والظاهر: أن إفريقية لم تعرفهم إلا في عهد العباسيين، غير أنهم يقولون: إن عكرمة هو سبب نشر الصفرية في بلاد المغرب، مما يعني: أنهم انتشروا في المغرب في وقت متقدم أي منذ عهد الدولة الأموية أيضاً. وقد انتشر مذهب الإباضية منهم في شمال إفريقية، ثم في الساحل الشرقي لإفريقية^(٢).

وقال الذهبي: «..وخوارج المغرب إباضية، منسوبون إلى عبد الله بن يحيى بن إباض، الذي خرج في أيام مروان الحمار، وانتشر أتباعه بالمغرب»^(٣).

(١) إختيار معرفة الرجال ص ٥٤٣.

(٢) راجع: دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٥٣.

وكان مخلص بن كيداد رأس الإباضية، قد ظهر على أغلب المغرب، ولم يبق لبني عبيد سوى المهديّة^(١).

وقد قال الذهبي عن مخلص هذا: «كاد أن يمتلك العالم»^(٢).

ونص آخر يقول عن الإباضية: «هي فرقة خارجية، لاتزال قائمة في بلاد طرابلس، وفي زنجبار، وعمان»^(٣).

ويقول آخر: «وهناك إباضيون حتى اليوم في عمان، والجزائر، وزنجبار»^(٤).

وقد تقدم قول الأشعري، حول تواجد الخوارج في نواح من المغرب، وأنه «كان لرجل من الصفرية سلطان في سجلماسة، على طريق غانة».

الخوارج في القبائل وبني تميم:

إن مراجعة النصوص التاريخية تعطي: أن غالبية الخوارج كانوا من بني تميم^(٥).

ويذكر المؤرخون هنا: أنه قد كان في الأزدي، وهمدان، وبكر، وغيرهم خوارج^(١) أيضاً.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٥٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ١٥٣.

(٣) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٧٤.

(٤) العقود الفضية ص ٦٦ عن الموسوعة العربية الميسرة.

(٥) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٧ و ٦٨ عن العبر ج ٣ ص ١٤٥ وعن تاريخ

الأمم والملوك ج ٥ ص ٥١٦ وعن فجر الإسلام ص ٢٥٦.

وذكرت بعض المصادر: أن أهل عمان إباضية، وأئمتهم من الأزد. ومن الإباضية باليمن طائفة من همدان في مغارب همدان. وفي حضرموت طائفة من الخوارج، من بشق، بطن من همدان^(٢).

ويستظهر الجاحظ: أن بني صريم - وهم من بني تميم - كانوا من الخوارج أيضاً^(٣).

والظاهر هو: أن أكثر الخوارج كانوا من بني تميم، من ربيعة اليمن^(٤). ولعل ذلك يفسر لنا ما ورد، من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد وصف مسجداً لبني تميم بأنه بيعة^(٥).

وكان الخوارج في البربر أيضاً، فإن بني برزال وبني واشين إباضية^(٦)، ويقول الذهبي عن البربر: «ثم كان الذين أسلموا خوارج وإباضية، حاربوا

(١) جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٤ والأخبار الطوال ص ١٩٧ وتاريخ الدولة العربية ص ٧٨ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٨.

(٢) الحور العين ص ٢٠٢ و ٢٠٣.

(٣) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٦.

(٤) راجع: تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٣٩٧ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص ٦٨ و ٧١

وضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٢ والخوارج والشيعة ص ٧٤ ودائرة المعارف الإسلامية

ج ٨ ص ٤٧٠ وتعليقات الدكتور مشكور على كتاب: المقالات والفرق ص ١٣٠.

(٥) المصنف للصنعاني ج ٣ ص ١٥٣.

(٦) جمهرة أنساب العرب ص ٤٨٨.

مرات، وراموا الملك، إلى أن سار إليهم داعي المهدي، فاستمألهم، وأفسد عقائدهم»^(١).

دور العرقية في مواقف ربيعة:

ويقولون: إن ربيعة اليمن كانت تتحرك على أساس عرقي في هذا المجال، وبذلك فسروا قول الأصمعي: «..والجزيرة خارجية، لأنها مسكن ربيعة. وهي رأس كل فتنة»^(٢).

وتقدم: أن علي بن عبد الله بن العباس قد اعتبر الجزيرة خارجية مارقة، ومسلمين أخلاقهم كأخلاق النصارى..

وقال هارون الرشيد ليزيد بن مزيد: «ما أكثر الخلفاء من ربيعة؛ قال: بلى، ولكن منابرهم الجذوع»^(٣).

فيرى البعض: أن «..من أعظم هذه الأمور التي حفزتهم على الخروج غير الحق الذي اعتقدوه: أنهم كانوا يحسدون قريشاً على استيلائهم على الخلافة، واستبدادهم بها دون الناس.

والدليل على ذلك: أن أكثرهم من القبائل الربعية التي قامت بينها وبين القبائل المضرية الإحن الجاهلية، التي خفف الإسلام من حدتها، ولم يذهب بكل قوتها، بل بقيت منها آثار غير قليلة مستمكة في النفوس»..

(١) سير أعلام النبلاء ج ١٨ ص ٤٢٩.

(٢) روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص ٦٧ والعقد الفريد ج ٦ ص ٢٤٨.

(٣) العقد الفريد ج ٦ ص ٢٤٨.

إلى أن قال: «وإذا كان كذلك؛ فلا بد وأن نتصور: أن الخوارج وأكثرهم ربيعون رأوا الخلفاء من مضر، فنفروا من حكمهم، واتجهوا في تفكيرهم نحو الخلافة تحت ظل هذا النفور، من حيث لا يشعرون الخ..»^(١).

ويقول أيضاً: «..والحق أن مبادئهم مظهر واضح لتفكيرهم، وسداجة عقولهم، ونظراتهم السطحية، ونقمتهم على قريش، وكل القبائل المضرية..»^(٢). أما بروكلمان، فيقول عن حركة الخوارج: «أطلعت رأسها الآن في الجزيرة الشمالية، بين قبائل ربيعة، التي كانت تنفس على قريش بالخلافة»^(٣).

هذا.. ولربما يمكن الاستشهاد لما أشار إليه هؤلاء بما كان من أبي حمزة الخارجي، حينما غزا المدينة، حيث كان يقتل القرشي، ويدع الأنصاري، كما ذكره المؤرخون.

ربيعة مظلومة:

ولكننا لا نستطيع أن نوافق هؤلاء على مبالغاتهم هذه في اتهام ربيعة، وتأثير العرقية، فيها وإن كنا لا ننكر وجود تأثير للعرقية بدرجة ما.. ولعل ربيعة الذين كانوا من سكان الجزيرة هم الذين اتجهوا نحو نحلة الخوارج.. دون سائر قبائل ربيعة، فإن تعميم الكلام لربيعة كلها بعيد عن الإنصاف والموضوعية، ولعل هذا التصميم على الإجحاف في حق ربيعة، قد جاء على

(١) راجع: تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٩ و ٧٠.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٧١.

(٣) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ١٦٤.

سبيل المضادة والإدانة لموقف علي «عليه السلام».

وذلك لأن عماد عسكر علي «عليه السلام» كان ربيعة ومضر، وإن كان جيشه «صلوات الله وسلامه عليه» لم يخل من بعض القبائل اليمانية، مثل كندة، ومذحج، وهمدان، وطى، وغيرهم.

وقد استمر وفاء ربيعة لمبادئها بصورة أزعجت الحكم الأموي، فقد يقول المرزباني: «قال أبو عبيدة: ولما قتل علي بن أبي طالب أراد معاوية الناس على بيعة يزيد؛ فتناقلت ربيعة، ولحقت بعبد القيس في البحرين، واجتمعت بكر بن وائل إلى خالد بن المعتمر^(١).

فلما تناقلت ربيعة تناقلت العرب أيضاً؛ فضاق معاوية بذلك ذرعاً، فبعث إلى خالد؛ فقدم عليه؛ فلما دخل عليه رحب به وقال: كيف ما نحن فيه؟ قال: أرى ملكاً طريفاً، وبغضاً تليداً.

فقال معاوية: قل ما بدا لك، فقد عفونا عنك، ولكن ما بال ربيعة أول الناس في حربنا، وآخرهم في سلمنا؟^(٢).

و «قال المرزباني: كان حميداً بليغاً، اجتمعت عليه ربيعة بعد موت علي، لما حلف معاوية أن يسبي ربيعة، ويبيع ذراريهم لمسارعتهم إلى علي، فقال خالد^(١):

(١) راجع: الخوارج في العصر العباسي ص ٦٧ عن المعتزلي في شرح نهج البلاغة (ط الحلبي)

ج ١ ص ٥٠٢ وكتاب صفين للمنتقري ص ٢٠٥ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٩٠٩.

(٢) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ٩٢.

أما في ابن حرب حلقة في نساءنا ودون الذي ينوي سيوف قواضب
 سيوف نطاق والقناة فتستقي سوى بعلمها بعلاً وتبكي الغرائب
 فإن كنت لا تغضي على الحنث فاعترف بحرب شجى بين الله والشوارب

قال فيه أيضاً، وقد ذكر له علياً:

معاوي لا تجهل علينا فإننا نذلك^(٢) في اليوم العصيب معاوياً
 ودع عنك شيخاً قد مضى لسبيله على أي حاله مصيباً وخاطياً^(٣)

وقال علي «عليه السلام» لربيعة في صفين: «أنتم درعي ورمحي»^(٤).
 وحينما طعن الإمام الحسن «عليه السلام»، من قبل المتمردين عليه في
 جيشه، «دعا ربيعة وحمدان، فأطافوا به، ومنعوه؛ فسار، ومعه شوب من
 غيرهم»^(٥).

(١) هو خالد بن ربيعة، بن مر، بن حارثة.

(٢) في الإصابة: يد لك.

(٣) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ٣٧ والإصابة ج ١ ص ٤٦٠. والقضية في
 كتاب صفين للمنقري ص ٢٩٤ ولكن باختلاف كثير، فلتراجع.

(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٦ وصفين للمنقري ص ٤٠٢ والأخبار الطوال ص ١٨٦.

(٥) كشف الغمة للأربلي ج ٢ ص ١٦٦ وراجع: الأخبار الطوال ص ٢١٧ والإرشاد
 للمفيد ص ٢٠٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٦ ص ٤١.

وجاء في كتاب من أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى ابن عباس: «..وانته إلى أمري ولا تعده، وأحسن إلى هذا الحي من ربيعة..»^(١).

وفي حرب صفين قال «عليه السلام»:

«..أما بعد، يا معشر ربيعة، فأنتم أنصاري، ومجيبو دعوتي، ومن أوثق حي في العرب في نفسي»^(٢).

وفي مقام آخر في صفين، يسأل «عليه السلام»: «لن هذه الرايات؟ قلنا: رايات ربيعة.

قال: بل هي رايات الله، عصم الله أهلها وصبرهم، وثبت أقدامهم»^(٣).

وقال عمرو بن العاص لمعاوية في صفين: «إن أصبحت ربيعة متعطفين حول علي تعطف الإبل حول فحلها، لقيت منهم جلاداً صادقاً، وبأساً شديداً». إلى أن قال النص التاريخي: «فلما نظر معاوية إليهم قد أقبلوا قال:

إن قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد وكانت النتيجة: أن فر معاوية عن سراقه إلى بعض مضارب العسكر، خوفاً من ربيعة»^(٤).

(١) كتاب صفين للمنقري ص ١٠٥.

(٢) كتاب صفين للمنقري ص ٢٨٧.

(٣) كتاب صفين للمنقري ص ٢٨٨.

(٤) كتاب صفين للمنقري ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

وفي نص آخر: «وذكروا: أن علياً كان لا يعدل بريعة أحداً من الناس»^(١).
وقد أساءت له مضر^(٢) وخذلته بسبب ذلك، ووقفوا على الحياد حتى قال:
«أليس من العجب أن ينصرني الأزد وتخذلني مضر»؟!^(٣).

وقال المسعودي: «..ولعلي في ربيعة كلام كثير، يمدحهم فيه، ويرثيهم،
شعراً، ومنثوراً. وقد كانوا أنصاره وأعوانه، والركن المنيع من أركانه، فمن
ذلك بعض قوله يوم صفين».

ثم يذكر الأبيات التي يذكر ويمدح فيها حضين بن المنذر:
لمن راية سوداء يخفق ظلها إذا قيل قدمها، حضين تقدا
ومن جملتها قوله:

جزى الله قوماً قاتلوا في لقاءه لدى الموت قدماً، ما أعز وأكرما
وأطيب أخباراً، وأكرم شيمة إذا كان أصوات الرجال تغمغا
ربيعة أعني، إنهم أهل نجدة وبأسٍ إذا لاقوا خميساً عرمرما^(٤)
كما أننا نجده في حرب الجمل، قد اشتد حزنه عليه الصلاة والسلام

(١) كتاب صفين للمنقري ص ٣٠٨.

(٢) كتاب صفين للمنقري ص ٣٠٨.

(٣) عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٤٦.

(٤) مروج الذهب ج ٣ ص ٤٨ والأبيات موجودة في تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٢٦

وكتاب صفين للمنقري ص ٢٨٩.

على من قتلهم طلحة والزبير من ربيعة، قبل وروده «عليه السلام» البصرة؛ وكان يكثر من قوله:

يا لهف نفسي على ربيعة ربيعة السامعة المطيعة^(١)

ولما أراد أهل الكوفة، بعد موت يزيد بن معاوية «لعنه الله» تعالى أن يؤمروا عليهم عمر بن سعد «لعنه الله»، حتى ينظروا في أمرهم، جاءت نساء همدان، وربيعة، وكهلان، والأنصار، والنخع إلى الجامع الأعظم صارخات، باقيات، معولات، يندبن الحسين، ويقلن: أما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين، حتى أراد أن يكون أميراً علينا، على الكوفة؟!.. فبكى الناس، وأعرضوا عنه^(٢).

وحينما أراد ابن عامر انتخاب ثلاثة آلاف من الشيعة لحرب الخوارج، نجد أن قائده شريك بن الأعور قد ألحَّ على فرسان ربيعة (أي أخرج الأكثر منهم) الذين كان رأيهم في الشيعة، وكانت تحجبه العظماء منهم^(٣).

ومهما يكن من أمر؛ فإن النصوص المتقدمة، تفيدنا أمرين:

أحدهما: أن ربيعة كانت في جانب أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكان لمواقفها النضالية أثراً عميقاً على معاوية، وعلى سائر خصوم علي «عليه السلام»، وكانت درع علي «عليه السلام» ورمحه.

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦٩.

(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٥ ومقتل الحسين للمقرم ص ٢٤٦ عنه.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ١٤٨ وراجع: الكامل لابن الأثير ج ٤ ص ٤٣١.

الثاني: أن الحكام الأمويين والعباسيين، كانوا - على حد سواء - يكونون الحقد والبغض لربيعة، بما لا مزيد عليه. حتى إن هشام بن عبد الملك يرفض الاستعانة بربيعة، ويقول: «لا حاجة لي فيه؛ لأن ربيعة لا تسد بها الثغور»^(١). وتقدم: أن تثاقل ربيعة عن البيعة ليزيد، قد نشأ عنه تثاقل العرب عنها، وهذا ما لا يمكن معاوية أن يغفره، أو أن يتغاضى عنه على الإطلاق. وتقدم أيضاً: أنهم كانوا أول الناس في بغض معاوية وحربه، وآخر الناس في سلمهم.

وأن معاوية قد حلف أن يسبي ربيعة، ويبيع ذرايعهم لمسارعهم إلى علي «عليه السلام».

كما أن العباسيين وأنصارهم يشنون حملات شعواء على ربيعة، حتى إن الأصمعي يعتبر ربيعة رأس كل فتنه وتقدم رأي علي بن عبد الله بن العباس فيها. وتقدمت محاورة الرشيد مع يزيد بن يزيد.. الأمر الذي يدل على أن ربيعة كانت مصدر متاعب كبيرة لأولئك الحكام، الأمويين والعباسيين على حد سواء، وأنهم كانوا يرونها مصدر كل بلاء وشر لهم.

وفي كلام الرشيد المتقدم: أن أكثر منابرهم الجذوع ما يفيد: أن طلاب الحكم والسلطان في ربيعة كانوا كثيرين، وإن كانت نهاياتهم هي القتل والصلب في أكثر، أو في جميع الأحيان..

وطبيعي: أن طلبهم للحكم والسلطان، وما يلزم ذلك من حركات مسلحة،

(١) الأخبار الطوال ص ٣٤٠ وراجع ص ١٤١.

وثورات لم يكن ليحظى بإعجاب السلطات الحاكمة، ولا ليروق لها. وهكذا.. فإننا بعد كل ما تقدم لا يمكن أن نطمئن إلى صحة تعليلاتهم التي حاولوا بها توجيه كثرة الخوارج من ربيعة، ما دام أن أصل القول بأن يكون غالب الخوارج منهم محل شك وريب كبيرين.

وإن كنا لا نستبعد أن يكون بعض الربيعيين قد انضموا إلى صفوف الخوارج، رغبة في حرب الأمويين لأسباب عديدة، أهمها ما يروونه من انحراف الأمويين عن الإسلام.. ثم اضطهادهم لهم بسبب نصرتهم لعلي.. وكذلك بسبب يمانيتهم؛ فقد قال هشام بن عبد الملك:

«لا حاجة لي في اليمانية - وكان هشام يبغض اليمانية، وكذلك سائر بني أمية»^(١).

فلأجل قحطانيتهم، ولأجل أن الخوارج اليمانية قد قويت شوكتهم. ولأن الأنصار محبي علي «عليه السلام» كان أكثرهم من اليمانية أيضاً. - نعم من أجل ذلك كله - ازداد كره الأمويين وغيرهم من أعداء علي «عليه السلام» لهم، فصاروا يصفونهم بالخارجية ربما ليجدوا السبيل لملاحقتهم، والقضاء عليهم.

(١) الأخبار الطوال ص ٣٤٠.

الفصل الثاني:

تركيبه الخوارج..

ما لا بد للباحث من معرفته:

إن من الأمور الواضحة والمعروفة: أنه إذا كانت فئة من الفئات ذات كيان متكامل، ولها شخصيتها وأصالتها، ويعرف كل واحدٍ من أفرادها موقعه، وحجمه، وواجباته، ثم هي تملك القيادة الحكيمة والمجربة، والموثوق بها..

وفوق ذلك كله.. لها أطروحة تُعرَفُ أوَّلها وآخرها، وقد اجتمعت عليها قلوبها، ومشاعرها، وارتبطت بها ارتباطاً وجدانياً وعاطفياً، بالإضافة إلى توفر القناعة الكافية بها، من خلال ما رضىته لنفسها من أدلة وشواهد.. ويكون كل آحاد تلك الفئة على استعداد لتقديم التضحيات الجلى بالمال وبالنفس في سبيلها، حيث يملكون قدراً كافياً من الوعي لتلك المبادئ، والمعرفة بآفاقها والانصهار فيها.

نعم.. إن فئة لها هذه المواصفات، يمكن الاعتماد عليها، والتعامل معها على أساس ثابت، ولا توجد مشكلات خطيرة في ذلك..

وأما حين يكون لكل واحد من أفراد تلك الفئة له أهداف، وطموحات، تختلف عن أهداف وطموحات الباقين. ولا يرتبط بالآخرين إلا من خلال، ما يجد فيهم من وسيلة ناجحة يمكن استخدامها في سبيل تحقيق ذلك، وكذلك حين لا يكون ثمة أطروحة جامعة واضحة المعالم، أو كانت ولكن

لا يوجد قدر كاف من الاستيعاب لها، والتفاعل معها، والانصهار بتعاليمها، ولا يريد أحد منهم أن يقدم في سبيلها شيئاً، بل يريد لها هي أن تكون من أجله وفي خدمته، وأداة لتحقيق مآربه الشخصية، وإذا لزم الأمر، فلا مانع من التضحية بها في سبيل تلك المآرب.

وحين يكون كل واحد من الناس لا يعرف موقعه ولا حجمه، بل هو الذي يعطي الحجم لنفسه، ويستولى - إذا قدر - على جميع المواقع، أو على أي موقع تسنح له الفرصة ويواتيه الظرف للاستيلاء عليه.

وكذلك حين يكون مستوى الوعي متدنياً إلى حد لا يمكن لهم تمييز الخطأ من الصواب، والحق من الباطل، بل يصبح المعيار في ذلك هو الأهواء، والمصالح الخاصة، والانفعالات والعواطف، والطموحات والأمانى.

وكذلك حين يكون التباين بين أفراد هذه الفئة هو الحاكم والمهيمن، فلا يجد أحدهم ولا يحس بشيء يربطه بأخيه، أو يدفعه لأن يتكامل معه..

وحين لا يكون من هو في الموقع القيادي قد جمع المواصفات المطلوبة، ولا حصل على درجة كافية من الإعداد، ولا بلغ ذلك المقام بصورة طبيعية، من دون طفرة، أو استئثار ظالم..

وحين يكون الجهل والتخلف، والنزق، والأهواء، والانفعالات هو المهيمن على كل المواقف والحركات..

نعم.. إنه حين يكون الأمر كذلك، فلا بد أن نتوقع لهذه الفئة كل شر وبلاء، وتعب وعناء، وأن تكون عرضة للزلازل الخطيرة، ولفجائع العظيمة. ما دام أنها لا بد وأن تجد نفسها إما ألعوبة في أيدي أصحاب المهارات والخبرات،

والذين يملكون الثروة ومصادرها، والإعلام وأدواته، والسلطة وقدراتها. ولا يحجزهم حاجز عن الظلم في سبيل الحصول على الأطماع، ولهم باع طويل في المكر والخيانة والخداع.

أو تجد نفسها قد أقدمت على أمور مهلكة، وتتخذ مواقف لا تنسجم مع منطق الحكمة والتعقل، وتندفع في متاهات ومنحدرات خطيرة، لا تستطيع الخلاص منها.

وذلك بسبب فقدان الوعي الكافي، وعدم التروي، وقلة التدبر، وعدم التفكير بالعواقب..

هذا كله بالإضافة إلى أنه حين تتضارب مصالح الأفراد، وأهواؤهم، فإنهم لا بد أن تحدث الانقسامات، والتباينات فيما بينهم، إن لم ينته ذلك إلى التدابر والتناحر، وإلى التهاثر، والجدال والقتال..

ومن ذلك كله نعرف: أنه يفترض في أي باحث يريد دراسة حياة الأمم والمجتمعات والشعوب والفئات، ولكي يحصل على نتائج أقرب إلى الواقع أن يبحث في تركيبة ذلك المجتمع أو تلك الفئة، ويرصد كل تلك الحالات فيه وفيها، بدقة وأناة.

وذلك هو ما حدانا إلى الإشارة هنا إلى نبذة توضح لنا التركيبة الاجتماعية، والفئوية للحوارج.

ولسوف يتضح: أن تأثير هذه التركيبة لم يزل يظهر بوضوح في مجمل مواقفهم، وحركاتهم، وحالاتهم، حتى بالنسبة إلى تعاملهم مع بعضهم، فضلاً عن تأثير ذلك في عقائدهم، ومفاهيمهم، وفكرهم، وفقههم، وأدبهم، وغير

ذلك.. فإلى ما يلي من مطالب..

العمريون والخوارج:

قد تقدم في بعض الفصول: أن الخوارج كانوا معجبين جداً بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وكانوا يعظمونه أشد التعظيم، وقد أعلنوا في النهروان لعل وأصحابه بالقول: لسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر بن الخطاب..

ولعل هذا القول قد صدر من عرب الخوارج، الذين نالوا في عهد عمر ما لم يكن يخطر لهم على بال في مجال التفضيل على سائر القوميات، والانتفاءات. وقد وجدوا في تاريخهم معه: أنه يأمر عامله على الكوفة بأن يقرب دار ابن ملجم من المسجد، ليعلم الناس القرآن.. وابن ملجم هذا هو قاتل علي أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»..

فهو إذن.. يتعاطف مع هذا المبغض والحاقد على علي «عليه السلام» كما أن هذا الخليفة بالذات هو الذي هاجم علياً وزوجته، فاطمة الزهراء «عليها السلام»، بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأسقط جنينها، وأهانها، وضررها. الأمر الذي انتهى باستشهادها «صلوات الله وسلامه عليها»..

فلا عجب بعد هذا إذا رأيناهم يتعاطفون مع ذرية عمر، وتتعاطف ذرية عمر معهم، حتى أن ولده عبد الله بن عمر كان يصلي خلف نجدة الحروري، والحجاج..

وقد بايع أحد أحفاد عمر، الضحاك بن قيس الخارجي، وبقي والياً على واسط من قبل الضحاك هذا^(١).

(١) الخوارج والشيعة ص ١٠٢.

وقد مال عبد الله بن محمد (حفيد عبد الله بن عمر)، وابن حفيد عمر بن الخطاب إلى الخوارج أيضاً^(١). فيا سبحان الله - ذرية بعضها من بعض!!

تعقيب على سياسات عمر العنصرية:

ومن المعلوم: أن عمر بن الخطاب قد انتهج سياسات خاصة تجاه غير العرب.. تتمثل في تفضيل العرب عليهم في مختلف الجهات. ومنها: العطاء، والإرث، والزواج، والمناصب، وحتى في الصلاة، والعبادة ثم في تشييع جنائزهم بعد موتهم.. وما إلى ذلك..

وقد لاقت هذه السياسات رضى لدى العرب، الذين أحبوا عمر لأجلها، وانقادوا له، واتخذوه مثلاً أعلى، وأصبح قوله وفعله فيهم كالشرع المتبع، بل ويؤوّل الشرع والدين ليتوافق مع ما يريده عمر، أو يميل إليه.. وقد أوضحنا هذه السياسات بصورة معقولة ومقبولة في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي»، فليرجع إليه من أحب التفصيل.

ولأجل هذه السياسات وما نشأ عنها رجحنا أن يكون الخوارج الذين أحبوا عمر، وعظموه، هم خصوص العرب منهم.. أكثر من الموالي، الذين لم يكن لهم أي شأن في حكومة الذين سبقوا أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكانوا محرومين من أبسط حقوقهم.

الخوارج عرب وموالي:

ومهما يكن من أمر.. فإن ملاحظة تركيبة الخوارج تعطينا: أنهم كانوا في

(١) الخوارج والشيعة ص ١٠٩ عن تاريخ الأمم والملوك (ط ليدن) ج ٢ ص ١٠١٢.

وقت ما خليطاً من الأعراب والموالي .. «الموالي أشجع الخوارج، وأشدّهم جسارة»^(١).

ولعل ذلك يرجع إلى حالة نفسية نشأت عن معاملة الفاتحين والمتسلطين للموالي قبله «عليه الصلاة والسلام». حيث كانوا يحتقرونها، ويحرمونهم من أبسط الحقوق..

وعلى كل حال، فقد خرج أبو مريم على أمير المؤمنين «عليه السلام» «في أربع مائة من الموالى والعجم، ليس فيهم من العرب إلا خمسة من بني سعد، وأبو مريم سادسهم»، ففضى عليهم أمير المؤمنين، ولم يسلم منهم سوى خمسين قد استأمنوا إليه، وأربعين من جرحاهم، داواهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأطلق سراحهم^(٢).

بل لقد زعم اليزيدية - وهم شعبة من الإباضية، كما يقال -: «أن الله تعالى سيعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء. وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى.

وهم يتولون المحكمة الأولى، والإباضية، ويبرؤون من غيرهم من الخوارج»^(٣).

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٢٦٢ وراجع: الكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٣.

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤٨٦ وراجع: بحار الأنوار (ط قديم)

ج ٨ ص ٥٧٠ والكامل لابن الأثير ج ٣ ص ٣٧٣ ونسب قريش للزيري ص ٤٨٦.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٣٦ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧١ والفرق بين الفرق

عصبية العرب الخوارج ضد إخوانهم:

ومراجعة التاريخ تعطينا: أنه قد كان بين هذين الفريقين من الخوارج - العرب والموالي - منافسة قوية، وعصبية عرقية طاغية، إلى درجة أنها تسببت بمشاكل كبيرة فيما بينهم.

ويكفي أن نذكر: أن الحرب التي دارت بين قطري بن الفجاءة ومن معه من العرب من جهة، وبين عبد ربه الصغير، ومن معه من القراء، وجلّهم من الموالي والعجم، وكان منهم هناك - أي في مدينة «جيرفت» ثمانية آلاف - من جهة أخرى..

إن هذه الحرب قد أسفرت عن ألفي قتيل، وانتهت بإخراج العجم للعرب من مدينة «جيرفت». وأقام عبد ربه بها، كما سيأتي في ما يلي من فصول^(١).

وقد يستفاد من بعض النصوص: أن عصبية العرب لجنسهم، كانت أشد وأعمق، وكانوا يحتقرون الموالي إلى درجة كبيرة^(٢).

والظاهر: أن سبب ذلك هو شدة تأثير سياسات الخليفة الثاني فيهم، حيث كانوا يحترمونه، ويقدرونه كثيراً كما قلنا.

ومن شواهد ذلك ما روي: من أن رجلاً من الموالي خطب امرأة خارجية،

ص ٢٧٩ والخور العين ص ١٧٥ وستأتي إن شاء الله مصادر أخرى.

(١) ستأتي مصادر عديدة لذلك، وراجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٩٣ وشرح نهج

البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٤.

(٢) راجع: فجر الإسلام ص ٢٦٢ أيضاً.

فقالوا لها: «فضحتنا»^(١).

وقد أنكر قطري بن الفجاءة: أن يكون قد أفسد ابنه بشيء من هذه الأعاجم، ومن هذه السبايا، وقال مخاطباً جرموز المازني: «معاذ الله، أمه الوجناء بنت الجبناء...».

ثم قال: «يا جرموز، إن به العلامة التي بنا أهل البيت» يعني الوضح^(٢). وربما تكون عبارته الأخيرة تشير إلى وجود شك في انتساب ولده إليه كما لا يخفى.

الهمج والرعا في الخوارج:

ومن جهة ثانية، فقد كان الخوارج حشوة، ومن رعا الناس، ومن العبيد... فقد قال جارية بن قدامة لأبي مريم: «ويحك، أَرْضَيْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَقْتُلَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْعَبِيدِ؟! وَاللَّهِ، لَتُنَّ وَجَدُوا أَلَمَ الْحَدِيدِ لِيُسْلِمَنَّكَ»^(٣).
وحينما أخرج عبد ربه الصغير قطرياً من جيرفت، وصار بإزائهم، قال عبيدة بن هلال لقطري: «إِنْ أَقَمْتَ لَمْ أَمِنْ، هَذِهِ الْعَبِيدُ عَلَيْكَ»^(٤).

(١) راجع: فجر الإسلام ص ٢٦٢ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٦٩ عن مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦١ و ١٦٢ وفيه: أن ذلك هو سبب الخلاف الذي أحدثه نافع بن الأزرق.

(٢) البرصان والعرجان ص ٦٧ و ٦٨.

(٣) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤٨٦.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٤ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٩٣.

كما أن المهلب بن أبي صفرة، الذي حارب الخوارج في عهد الزيريين والأمويين على حد سواء، قد «دسّ الجواسيس إلى عسكر الخوارج؛ فاتوه بأخبارهم، ومن في عسكرهم؛ فإذا حشوة^(١) ما بين قصّاب، وصباغ، وداعر، وحداد؛ فخطب المهلب الناس؛ فذكر لهم من هناك، وقال للناس: أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم»؟^(٢).

وقال المهلب لعسكره في خطبة له أيضاً: «..فألقوهم بجذّ وحد، فإنها هم مهنتكم وعبيدكم، وعار عليكم الخ»^(٣).

ولما اختلف أمر الخوارج، قال المهلب لأصحابه في جملة كلام له: «..وإنما بين أيديكم عبد ربه في خشارٍ من خشار الشيطان»^(٤).

ومما يصدق قول المهلب: أن زعماءهم كانوا من هؤلاء، فإن عبد ربه الصغير، كان معلم كتاب، وعبد ربه الكبير كان بائع رمان^(٥).

كما أن عبيدة بن هلال الشكري، أحد زعمائهم، قد اتهم بامرأة حدادٍ كان يدخل عليها بلا إذن، فدبر هو وقطري بن الفجاءة الحيلة للخلاص

(١) الحشوة: رذال الناس.

(٢) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣١٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٤٧.

(٣) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣١٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٤٨.

(٤) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٩٥ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣ وشرح نهج البلاغة

للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٦.

(٥) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٤.

من الورطة، فكان لهما ما أراداً^(١).

فإذا كان الزعيم الكبير فيهم يتهم بامرأة حداد، فلا بد أن يكون المحيط الذي يعيش فيه لا يستغرب ولا يأبى دخوله على بيت الحداد فيهم، فقد يدل ذلك على أن قيادتهم كانوا في مستويات لا تبتعد كثيراً عن مستوى الحداد، وبائع الرمان.

وحينما أرسل أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه» معقلاً لقتال الخريت الخارجي، قال معقل لمن معه: «وأبشروا في قتالكم بالأجر، إنها تقاتلون مارقة مرقت من الدين، وعلوجاً كسروا الخراج، ولصوصاً، وأكراداً»^(٢).

ويقول المؤرخون:

«اجتمع على الخريت الناجي علوج من أهل الأهواز كثير، أرادوا كسر الخراج، ولصوص، وطائفة أخرى من العرب، ترى رأيه، وطمع أهل الخراج في كسره؛ فكسروه، وأخرجوا سهل بن حنيف من فارس الخ...»^(٣).

وقد تحدثنا في فصل: «زهد الخوارج حقيقة أم خيال» عن أطماع الخوارج، وتأثيرها في اندفاعهم في الحروب، واتخاذ المواقف القوية والصارمة.

كما أن في سائر فصول الكتاب شواهد أخرى تدل على واقع الخوارج،

(١) راجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٣

وقد ذكرنا هذا الحديث في فصل زهد الخوارج.

(٢) البداية والنهاية ج ٧ ص ٣١٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩٥.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٦٧ وتاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٩٣.

وحقيقة تركيبتهم، ومستوياتهم الفكرية، وطموحاتهم..

لحقوا بالخوارج فراراً من الحجاج:

وقد انضم إلى شبيب في بعض البلاد ناس كثيرون، بعضهم كان الحجاج يطلبهم بهال، أو تباعات (ثارات) (١).

تركيبة الخوارج عند الجاحظ:

قال الجاحظ: «العلة التي عمت الخوارج بالنجدة، استواء حالاتهم في الديانة، واعتقادهم أن القتال دين؛ لأننا حين وجدنا السجستاني، والخراساني، والجزري، واليامي، والمغربي، والعماني، والأزرق، منهم والنجدي، والإباضي، والصفري، والمولى والعربي، والعجمي والأعرابي، والعبيد، والنساء، والحائك والفلاح.. كلهم يقاتل مع اختلاف الأنساب، وتباين البلدان، علمنا: أن الديانة سوت بينهم، ووفقت بينهم في ذلك» (٢).

ونحن لا نوافق الجاحظ على زعمه: أن الديانة هي الباعث لهم على القتال، فإن الوقائع قد أثبتت: أن المطامع والأهواء قد كان لها تأثيرها القوي في اندفاعهم في الحرب. بالإضافة إلى التهور والحماس من قبل أحداث تغرهم الشعارات البراقة، وتستهوهم المظاهر الخادعة، ويهتمون باتخاذ المواقف الحادة. وليس لديهم أحلام أي عقول تهيمن على سلوكهم، وتحدّ من طغيان الهوى، وتغلب دواعي الهياج، ولا توجد حدود وضوابط تحكم تصرفاتهم،

(١) الخوارج والشيعة ص ٩٤.

(٢) رسائل الجاحظ ج ١ ص ٥١.

وتضبط مواقفهم، وترشد حركتهم.

وتقدم وسيأتي بعض الحديث عن شجاعتهم إن شاء الله تعالى.

خلاصة لها سبق:

وبعد.. فإننا إذا أردنا تلخيص ما تقدم في نقاط جامعة، فإن النتيجة تكون هي أن الخوارج كانوا خليطاً من فئات شتى، ويمكن أن نجملها وفقاً لما جاء في النصوص المتقدمة على النحو التالي:

١ - عرب.

٢ - عجم.

٣ - موالي.

٤ - عبيد ومهنة.

٥ - حشوة من الناس، ما بين قصاب.

٦ - وصباغ.

٧ - وداعر.

٨ - وحداد.

٩ - خشار.

١٠ - معلم كتاب.

١١ - بائع رمان.

١٢ - علوج.

١٣ - لصوص.

- ١٤ - أكراد، سجستاني، خراساني، جزري، يمني، مغربي، عماني، و..
و.. الخ..
١٥ - شباب أحداث.
١٦ - أعراب جفاة.
١٧ - مطلوبون بهال.
١٨ - مطلوبون بشارات.
١٩ - حائك.
٢٠ - فلاح.

الفصل الثالث:

مميزات.. وخصائص..

الغباء.. والسطحية:

وبعد.. فإن نظرة فاحصة على بعض ما كان للخوارج من مميزات وخصائص؛ تجعلنا نخرج بحقيقة: أنهم كانوا، حتى بعد مرور عشرات بل مئات السنين لايزالون أعراباً جفاةً، يهيمن عليهم الجهل. والأمية والقسوة، ومن سماتهم الغلظة، والجفاء، ويتميزون بسذاجة وسطحية، جعلتهم يفقدون المناعة الكافية في مقابل خصومهم، الذين وُجد فيهم من يعرف كيف يستغل هذه الجهالة وتلك السذاجة، ويستفيد من تلکم السطحية؛ كحربة ماضية، وسيف قاطع ضدهم، فترى المهلب كان يكثر من الأكاذيب، التي تفرق كلمتهم، وتشتت شملهم حتى عرف بذلك^(١) وحتى ليقول الزمخشري:

«راح يكذب، لقب المهلب، لأنه كان يضع الحديث أيام الخوارج، فإذا رأوه قالوا: راح يكذب.

قال وائلة السدوسي:

(١) راجع: ترجمة المهلب في: وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤٦ وفي تهذيب التهذيب ج ١٠

ص ٣٣٠ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٣١٩ و ٣١٨ والإصابة ج ٣ ص ٣٦ وتقريب

التهذيب ج ٢ ص ٢٨٠.

أعور مشنوء يخالف قوله كما وصفوه: إنه راح يكذب^(١)

نعم.. هذا هو حالهم، مع أن من شأن المواجهة الطويلة مع الخصوم أن تصقل الفكر العقائدي لأية فرقة كانت، وتؤثر على سلوكها، وأخلاقياتها، وتركز فيها - ولو شكلياً - حالة من النضج التنظيمي، والسلوكي، والفكري والسياسي، وإدراك المناورات السياسية.. ولكن الخوارج لم يدخلوا تحت هذه القاعدة؛ حيث إنهم، رغم تطاول الزمن عليهم، ومرور عشرات بل مئات السنين على ظهورهم، لم يسجلوا تقدماً يذكر في أي من هذه المجالات.

لا جامعة فكرية أو عقائدية:

ومن جهة أخرى.. فإن من المعلوم والواضح: أن الخوارج لم تكن تجمعهم أصالة فكرية عقائدية، لعدة أسباب وعوامل، نذكر منها:

- ١ - إنهم كانوا شكاكاً.
- ٢ - إنهم كانوا أصحاب أطماع دنيوية، وإن كانت ملونة بلون الإيمان وملبسة بلباس الدين.
- ٣ - إن الشيطان قد غرهم، وزين لهم المعاصي.
- ٤ - إن الشيطان قد زين لهم أنهم ظاهرون ومنتصرون.
- ٥ - إنهم محكومون لعصبياتهم القبلية، ولمفاهيمهم الجاهلية.
- ٦ - إنهم خيابون عيابون، حسبما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام».

(١) ربيع الأبرار ج ٢ ص ٣٦٩ و ٣٧٠ وراجع: فجر الإسلام ص ٢٦١ عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٣٨٦ ومصادر ذلك كثيرة، ولذا فلا حاجة إلى إيرادها.

٧ - إنهم كانوا أخلاطاً من الناس، لا تجمعهم رابطة، ولا يهيمن عليهم سلطان.

٨ - إن مواقفهم كانت عفوية، ومرتبلة، لم يكن يسبقها تخطيط دقيق، لأنها كانت في الأكثر استجابة لحالات من الحق والحق، الذي أعمى بصائرهم قبل أبصارهم.

٩ - ثم هناك حالة الجفاء والغلظة التي كانت تقلل من فرص التفاهم والانسجام فيما بينهم.

١٠ - يضاف إلى ذلك: جهلهم الذريع، وأميتهم القاتلة، فلم يكونوا يستضيئون بنور العلم، ولا يستندون إلى ركن وثيق.

وهذا ما جعل الشعارات البراقة تستهويهم، وتدفع بهم إلى مزيد من التصلب والجرأة. وإن كانوا لا يفقهون كثيراً مما ترمي إليه تلك الشعارات، وليس لديهم القدرة على التعمق فيها، ولا على مناقشتها.

ويكفي أن نذكر: أنه قد «ظل صوت التحكيم يتردد في سماء معارك الخوارج، ويردده شعراؤهم، بعد أن استحوذ على عقولهم ومشاعرهم طوال العصر الأموي. فكانوا يشحذون به حماس عساكرهم، ويلهبون عواطف أصحابهم في كل موقعة، وعند كل لقاء»^(١).

ولكن، هل درسوا هذا الشعار؟!

وهل فهموا ما قاله علي «عليه السلام» وأصحابه لهم حوله؟!

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٧.

وهل أعدوا أجوبة على تلك النقوض التي أوردوها عليهم؟! هذا ما لم يكن أبداً.

فكل تلك الأمور، وسواها مما لم نذكر تجعلنا نفهم بعمق حقيقة أنه لم يكن يجمعهم جامع فكري، يحقق لهم أدنى حالة من الانسجام في مفاهيمهم، ولا كان يهيمن عليهم أصالة فكرية أو عقائدية تفيد في صقل شخصيتهم الإنسانية الفاعلة والمؤثرة في صياغة حياة اجتماعية أو دينية أو سياسية معقولة أو مقبولة.

بل إن ملاحظة تركيبيهم، وخصائصهم، وواقعهم لا تدع مجالاً للشك. في أنه لم يكن ثمة تقارب في الأغراض والمآرب التي كانوا يتوخون تحقيقها في مجمل مواقفهم وحركاتهم.

ولأجل ذلك، ثم بسبب التدني الفاضح في مستوى وعيهم، كان من الطبيعي أن تكثر الانقسامات بينهم، فسرعان ما يتفرقون شيعاً، وأحزاباً لأتفه الأسباب^(١).

حتى إنهم حينما حُكِّموا في صفين سأل عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقليل له: القراء.

فقال: «بل هم الخيابون العيابون»^(٢).

وحينما كتب نافع إلى ابن إباح، وابن الصفار يدعوها ومن معها إلى

(١) فجر الإسلام ص ٢٦١ وراجع ص ٢٥٩ وراجع: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٣.

(٢) المصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٠.

مقالته، لم يقرأ ابن الصّفّار كتابه على أصحابه، خشية أن يتفرقوا، ويختلفوا. فلما قرأه ابن إياض وقع الخلاف بينه وبين ابن صّفّار^(١).

ويقول آخر: «لم تكن للخوارج قط - كما رأينا - أية وحدة حقيقية في أعمالهم السياسية، أو العسكرية. ولم تكن لهم كذلك مجموعة متسقة من المبادئ. وتظهر لنا مذاهبهم وكأنها آراء خاصة^(٢)».

ويقول البعض: عرف الخوارج بعصبيتهم العربية، فقد انتشر مذهبهم في القبائل الربعية التي كان لها نزاع مع القبائل المضرية، وكان معظمهم من عرب البادية الربعيين. وقد عرفوا بالتعصب والحماسة، والإندفاع السريع في آرائهم. كما عرفوا بتمسكهم بظواهر الألفاظ، لا يتجاوزونها إلى المرمى والموضوع، وعرف عن الخوارج أيضاً التشديد في العبادة، وبالإخلاص الشديد لعقيدتهم، والشجاعة في حروبهم، وكانوا كثيراً ما يختلفون. ولعل هذا هو السبب في إخفاقهم في كثير من المعارك رغم شجاعتهم^(٣).

أضف إلى ذلك: «..أن الخوارج لم يكونوا يحتملون السلطة عليهم مدة طويلة»^(٤).

مواصفات الخوارج بنظر البعض:

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد: أن البعض قد أجمل بعض خصائصهم

(١) الكامل في التاريخ ج ٤ ص ١٦٨ والعقود الفضية ص ١٢٣.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٤.

(٣) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٥٤ و ٥٥ بتصرف وتلخيص.

(٤) الخوارج والشيعة ص ٧٢.

وصفاتهم بقوله: «كان في جملة الخوارج لدد، واحتجاج، على كثرة خطبائهم وشعرائهم، ونفاذ بصيرتهم، وتوطين أنفسهم على الموت»^(١).

وقال آخر: «فهم كثيرو الخلاف على الرؤساء، كثيرو التفرق شيعاً وأحزاباً، محدودو النظر، ضيقو الفكر في نظرهم إلى مخالفيهم. وهم مع ذلك شجعان إلى أقصى حدود الشجاعة، صرحاء في أقوالهم وأفعالهم.. إلى أن قال: ثم هم لغلبة بداوتهم أبعد عن التطور الديني والعلمي، والاجتماعي..»

إلى أن قال: وظلت حياتهم في معيشتهم، ونظرتهم للحياة، وحروبهم، ونحو ذلك حياة بسيطة بدوية، لم تتغير كثيراً بتغير الزمان»^(٢). ونقول:

إننا لا نوافق على بعض ما ذكره، ونذكر على سبيل المثال ما يلي:

١ - قول المبرد: كان في جملة الخوارج لدد واحتجاج.. لا يصح إذ إن هذا اللدد والإحتجاج قد ظهر مدى ضعفه حين آثار أمير المؤمنين «عليه السلام»، وابن عباس وصعصعة وغيرهم القضايا معهم، وحاججهم فيها. إلا أن يكون مراده: أن حجتهم على الأمويين كانت ظاهرة وموفقة وقوية. ولكنه أمر غير صالح للتنويه به، فإن حال الأمويين في الفساد والإفساد

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٢٠.

(٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٣ و ٣٣٢ وراجع: فجر الإسلام ص ٢٥٩ و ٢٦١ و ٢٦٣ و ٢٦٤.

أظهر من الشمس وأبين من الأمس، وإن أي إنسان يتهيأ له أن يفصح عن مراده في شأنهم، فإنه سيكون ظاهر الحجة عليهم، ولسوف يخصمهم، ويثبت فساد طريقته، وعوارها.

على أن ما أثر عن الخوارج من خطابة وشعر واحتجاج، لا يحمل في طياته معاني متميزة، ولا يعبر عن براعة خاصة، تنتج لهم الحجج والمعاني، وتظهر لهم المعاني القرآنية، أو تشير إلى تعمق ما في أمور الفقه، وفي حقائق الدين والإيمان، أو التاريخ أو ما إلى ذلك.

بل هي مجرد عفوية وبداهة الإنسان العربي، وارتجال البدوي، الذي لا يحمل كلامه شيئاً لافتاً من المعارف واللطائف، بل تجد فيه بعض الجماليات العفوية التي تختزنها حياة أعراب البادية، أو حماس رعا عهدهم بالموارم، والمآثر.. قد وجدوا الجرأة على المبالاة ببطولات صنعها لهم حب المقامرة، القائم على أساس تبني الخصوم، وتوجيه ضربات خاطفة، يعقبها الإمعان في الهرب، والتحاشي للاشتباك المباشر، الذي غالباً ما ينتج لهم مرّ الهزيمة، والخيبة الأليمة.

٢ - وحديث المبرد: عن نفاذ بصيرتهم، وعن توطينهم أنفسهم على الموت، وحديث غيره عن شجاعتهم هو الآخر حديث مبالغ فيه، أو غير مفهوم على حقيقته على الأقل، فأين كانت شجاعتهم وقد كانوا - فيما يذكره أكثر المؤرخين - أربعة آلاف فارس في النهروان. ويقابلهم مثلهم تقريباً في جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي كان غير راغب كثيراً في مواجهتهم، وهم كانوا مستميتين؟!.

نعم.. أين كانت هذه البصيرة، وتلك الشجاعة، وذلك التوطين آنئذ؟! وكيف قتلوا بأجمعهم، ولم ينبج منهم عشرة، ولم يستشهد من أصحاب علي «عليه السلام» عشرة؟!!

وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق، وسيأتي إن شاء الله بعض الحديث عن شجاعتهم المزعومة في فصل مستقل.

٣ - وعن نفاذ بصيرتهم نقول: قد تقدم بما لا مزيد عليه: أنهم في حربهم لأمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا شكاكاً، لا يملكون حجة، ولا يهتدون سبيلاً.

٤ - وأما عن صراحتهم إلى أقصى حدود الصراحة، فقد تقدم كيف أنهم يتسترون على علاقة أحد زعمائهم بامرأة حداد..

وقد ذكرنا في هذا الكتاب الشيء الكثير مما يدل على ممارساتهم للتقية إلى حدود مشينة.

وسيرة عمران بن حطان خير شاهد على ما نقول. وقد ذكرنا في هذا الكتاب بعضاً من فصولها..

بداوة الخوارج:

أما فلهوزن، فيحاول هو وغيره إنكار بداوتهم، واعتبار هجرتهم إلى المدن كافية في نزع هذه الصفة عنهم، وصيرورتهم حضريين^(١).

ولكنه غفل عن أن ذلك بمجرد لا يكفي في تغيير طبيعتهم وعقليتهم،

(١) راجع: الخوارج والشيعة ص ٣٣ وقضايا في التاريخ الإسلامي.

ما لم يصل إلى حدّ التفاعل والانصهار في المجتمع الجديد، ولتبدل جهلهم إلى علم، وقسوتهم وشدتهم بالمرونة واللين، إلى غير ذلك مما لا مجال لذكره.

التقليد والمحاكاة:

هذا.. ولم يكن للخوارج تلك الأصالة الراسخة أو الاستقلالية الفكرية، بل كانوا يتخذون سبيل التقليد والمحاكاة حتى لعدوهم..

يقول ابن رسته: «أول من حذف الدواب يزدجرد، حين ورد أصبهان قاصداً لخراسان مرّ بمرج وكانت الدواب ترطم فيه، وتتعلق أذناها بالطين فحذفها، ثم حذف المهلب بن أبي صفرة في محاربة الخوارج، فنظرت إليه الخوارج، وحذفوا أيضاً دوابهم»^(١).

وقد قدمنا: كيف أنهم كانوا يحاولون تقليد ومحاكاة علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في أحواله وأعماله، فتجدهم يصدرون التعليمات بعدم البدأة بالقتال، مع أنهم في عامة حروبهم، وجل انتصاراتهم قد اعتمدوا فيها على عنصر البيات للعدو، ومهاجمة جنده، وهم غارون، ثم يعمدون إلى الفرار إلى جهة لا يتيسر معرفتها أو الوصول إليها بالسرعة المطلوبة، ولا سيما لجيش منظم يحمل أثقالاً مرهقة، تعجزه عن اللحاق بعصابات من الناس؛ تعمل على قاعدة اضرب واهرب. ولهم أيضاً حالات أخرى من التقليد والمحاكاة له «عليه السلام» في أمور لا تخرج في مضمونها عن هذا السياق الذي ذكرناه.

(١) الأعلام النفيسة ص ١٩٩.

الفصل الرابع:

شجاعة الخوارج..

شجاعة الخوارج، وسر بعض انتصاراتهم:

لقد عرف الخوارج - كما زعموا - بالشجاعة والإقدام، وبالصرامة في أقوالهم وأعمالهم^(١)، وكان الموالي - كما تقدم - أشجع الخوارج وأشدّهم جسارة. كما أن الملاحظ هو: أن خوارج الكوفة أقوى شكيمة، وأشدّ مراساً من خوارج البصرة^(٢).

وقد ذكر الجاحظ للخوارج امتيازات في حروبهم، وهي التالية:

١ - صدق الشدة عند أول وهلة.

٢ - إنهم يصبرون على طول السرى، بحيث لا يظن أن أحداً يقطع تلك المسافة في ذلك المقدار من الزمان؛ فيفاجئون عدوهم، وهم غارون، فيوقعون بهم.

٣ - إن ضرب المثل بهم واستشهادهم بالقتل يرعب غيرهم.

٤ - إنهم لا سلب لهم، ليرغب الجند في لقاءهم، أو يثقل حركتهم في التنقل، كما هو الحال في جند غيرهم.

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٢ وراجع: فجر الإسلام ص ٢٦٣ و ٢٦٤.

(٢) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص ١٢٤ عن الخربوطي في كتابه: تاريخ العراق ص ٩٢.

ولكن الخوارج إذا ولّوا فقد ولّوا، وليس لهم بعد الفرار، إلا ما لا يعدّ.
والخوارج والأعراب - والخوارج منهم - ليست لهم رماية على ظهور الخيل^(١).

٥ - ويعرف عنهم قوتهم على كثرة الركض^(٢).

وزعموا: أنهم يسيرون في ليلة ثلاثين فرسخاً وأكثر^(٣).

نعم.. إن ذلك هو بعض ما اعتبروه أسباباً فيما سجلوه من انتصارات
على بعض الجيوش التي كانت تتصدى لحربهم.

الخوارج ليسوا شجعاناً:

ولكننا بدورنا نشك فيما يذكرونه من شجاعتهم، فإنهم كانوا طامعين
بالدنيا، محبين للحياة، حتى إن فارسهم قطري بن الفجاءة قد اعترف في
شعر له بما أصابه من خوف شديد من خصمه المهلب بن أبي صفرة^(٤).

ويعترف عمرو بن الحصين بخذلانه لأصحابه، فيقول:

كم من أولي مقّة صحبتهم شروا فخذلتهم ولبّس فعل الصاحب^(٥)

وقال آخر منهم كان قد خذل أصحابه:

(١) رسائل الجاحظ ج ١ ص ٤١ - ٤٦.

(٢) المحاسن والمساوئ ج ٢ ص ٣٩١.

(٣) المحاسن والمساوئ ج ١ ص ٢١٧ وفي هامشه عن المحاسن والأضداد ص ١٢٩ و ١٣٠.

(٤) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨٦.

(٥) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨١.

إخوان صدق أرجيهم وأخذهم أشكوا إلى الله خذلاني لأصحابي^(١)
وقال زيد بن جندب في الاختلاف الذي وقع بين الأزارقة:
قل للمحليين قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناساً على دين ففرقنا طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم عن الجدال وأغناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطرباً مالي سوى فرسي والرمح من نشب^(٢)
وحين حبسهم زياد بن أبيه، قبلوا بأن يقتل بعضهم بعضاً، مقابل أن
يخرجهم زياد من السجن، وهكذا كان، ثم ندموا، وأخذوا ييكون على ما
فعلوه بإخوانهم. ثم عرضوا الدية والقود على أولياء المقتولين، فرفضوا^(٣).
هذا كله.. عدا عن طلبهم الأمان من أعدائهم، واسترحامهم^(٤).

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨١.

(٢) البيان والتبيين ج ١ ص ٤٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٥ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٩٤ ونسب الأبيات فيه إلى الصلت بن مرة.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٥١٦ و ٥١٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٤ وراجع: العقود الفضية ص ١٠٨ و ١٠٩ لكنه زعم أن زياداً قد سجن الأحرار والموالي، ثم فتن بينهم فقتل الأحرار الموالى.

(٣) مع وجود الفتنة لا بد من حصول القتل في الطرفين لا في جانب واحد.

(٤) راجع: الخوارج في العصر العباسي ص ٢٢ و ١٢٣ و ٢٨٥ ونقل أيضاً الكامل في

بل إن التحكيم في صفين قد كان سببه أن الحرب طالت عليهم، واشتد البأس، وكثرت الجراح، وحل الكراع^(١).

وحين نادى الحجاج في أصحاب شبيب: من جاء منكم فهو آمن.. كان كل من ليست له بصيرة في دين الخوارج ممن هزّه القتال وكرهه ذلك اليوم يجيء فيؤمّن.

وقبل ذلك كان الحجاج نادى يوم هزم شبيب: من جاءنا فهو آمن. فتفرق عن شبيب ناس كثير من أصحابه^(٢).

شهرة فرار الخوارج في الحروب:

وفي بعض المواقع طلب عمرو القنا من أصحابه: أن لا يترجلوا، ولا يعقروا دوابهم، فقالوا له: «إنا إذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار»^(٣). وفرارهم في المواقف الصعبة مشهور عنهم^(٤).

التاريخ ج ٣ ص ٤١٧ و ٤١٨.

(١) راجع: بهج الصباغة ج ٧ ص ١٦١ عن ابن ديزيل في صفين، وتقدمت مصادر أخرى لذلك في بعض الفصول.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٧٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط دار المعارف بمصر) ج ٦ ص ٢٧٧.

(٣) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٤٠٢.

(٤) راجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ١٨٥ و ٣٣٧ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٤٣ و ٣٤٨ و

٣٢٥ و ٣٩٦ و ٤٠٢ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٥ والعقود الفضية ص ٢٢٠

وقد قيل فيهم: إنهم إذا ولّوا فقد ولّوا، وليس لهم بعد الفرّ كرّ إلا ما لا يعد^(١).

مع أن الفرار عندهم يوجب الكفر.

وقد قال البهلول الشيباني يحمس المتخاذلين الخائفين من الموت منهم بقوله:

فلا التّقدم في الهيجاء يعجلني ولا الحذار ينجيني من الأجل

وكان أصحاب قطري بن الفجاءة يخشون أن يلبسهم العار من كثرة هروبه من وجه المهلب، حتى خاطبه أحدهم بقوله:

أيا قطري الخير إن كنت هارباً ستلبسها عاراً وأنت مهاجر

إذا قيل: قد جاء المهلب أسلمت له شفتاك الفم والقلب طائر

فحتى متى هذا الفرار مخافة وأنت ولي والمهلب كافر^(٢)

وقد تقدمت أبيات زيد بن جندب وفيها:

قل للمحليين: قد قرت عيونكم بفرقة القوم والبغضاء والهرب

وتقدم بعض شعر عمرو بن الحصين وغيره في ذلك.

والأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ١٠٩ و ١١٣ والبرصان والعرجان ص ١٧٦

والعقد الفريد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١٠١

و ١٢١ و ج ٤ ص ٢٧١ و ١٦٦ والخوارج والشيعة ص ٩٦ و ١٠١.

(١) الحيوان للجاحظ ص ٤١ - ٤٦.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٧٥.

العدة والعدد لدى الخوارج:

ونحن لا ننكر ظهور بعض نفحات الشجاعة فيهم، وأنهم قد حققوا أحياناً بعض الانتصارات، بسبب إقدامهم، ونكول خصومهم عنهم. وهي أمور طبيعية، ولها أسبابها الموضوعية والمعقولة، خصوصاً في حالات تبييت العدو، مع عدم وجود دوافع قوية لدى الناس لحربهم لأكثر من سبب كما سنرى.

نعم، إننا لا ننكر ذلك، غير أننا نقول:

إن الخوارج كانوا يخفقون في تحقيق النصر حتى وهم يملكون مقوماته من العدة والعدد، فقد أظهر تاريخهم: أنهم كانوا يحصلون على الأموال اللازمة من جباياتهم للبلاد التي كانوا يسيطرون عليها^(١).

وتقدم: أن الجاحظ يذكر: أن قطري بن فجاعة كان يشتري السيف بعشرين ألف درهم.

ومما يشير إلى حسن استعدادهم، وتوفر مقومات العمل العسكري الذي من شأنه أن يحقق لهم انتصارات قوية، قول المؤرخين عن حرب المهلب وقطري بن فجاعة: «فخرج إليهم المهلب، فلما أحسّ به قطري يمم نحو كرمان. فأقام المهلب بالأهواز.

ثم كرّ قطري عليه، وقد استعد؛ فكان الخوارج في جميع حالاتهم أحسن عدة ممن يقاتلهم، بكثرة السلاح، وكثرة الدواب، وحصانة الجُنّ، فحاربهم

(١) راجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٣٩ وغيرها..

المهلب، فنفاهم إلى رام هرمز^(١).

فترى: أنهم رغم كونهم أحسن عدة؛ فإنهم لم يتمكنوا من تحقيق النصر، بل كانت الهزيمة من نصيبهم.

وفي مورد آخر: شخص إليهم عمر بن عبيد الله إلى أرجان، وكان عليهم الزبير بن علي السليطي، فقاتلهم، وألح عليهم حتى أخرجهم عنها، فألحقهم بأصبهان، فجمعوا له، وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور، فسار إليهم عمر بن عبيد الله، فقاتلهم، وهزمهم أيضاً^(٢)، ثم لقيهم مرة أخرى فهزمهم كذلك. وهذا ما يجعلنا نبحث عن أسباب تلك النفحات في غير هذا الاتجاه، فما هي يا ترى؟!

أسباب بعض نفحات الشجاعة فيهم:

ونستطيع أن نذكر من أسباب ذلك:

١ - أنهم كانوا يخوضون حروبهم غالباً على قاعدة اضرب واهرب. فكانوا يباغتون عدوهم - خصوصاً بالليل، وهو ما يسمونه بالبيات، فيضربون ضربتهم، ثم ينحسرون عن ساحة القتال، بل عن المنطقة كلها بسرعة فائقة، قبل أن يتمكن عدوهم من التقاط أنفاسه، وإعادة تنظيم صفوفه، هذا بالإضافة إلى ما كانوا يقومون به من عمليات اغتيال مؤثرة^(٣) تثير الفزع والخوف

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٤٧ و ٣٤٨.

(٢) راجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٧.

(٣) راجع: كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٤١ فما بعدها.

لدى عامة الناس.

بل لقد أطلقوا على المهلب لقب الساحر^(١)، حين رأوا أنه قد أفشل بحذره وتدبيره خططهم، ولم يقع في مأزق البيات، وجعلهم غير قادرين على تحقيق نصر يذكر.

إذن، فلم يكن لهم انتصارات كبيرة، يمكن نسبتها إلى تأثير عنصر الشجاعة فيهم. بل كانوا يمتنون بالهزائم المتتالية، كما تقدمت الإشارة إليه في الأشعار التي يخاطب فيها ذلك الرجل قطري بن فجاءة. وكما تدل عليه الوقائع التاريخية، التي تظهر هزائمهم المتتالية في مقابل المهلب، وفي مقابل عمر بن عبيد الله، وغير ذلك.

٢ - قد كانت هناك اتهامات متبادلة، فيما بين أجهزة السلطة التي تحارب الخوارج تتمحور حول أمر واحد، وهو أن يكون ثمة تعمد لمطاولتهم في الحرب من قبل قادة الحرب باعتبار أن قتالهم أصبح سبباً للشهرة، وللحصول على المال.

وقد قال عبد بن صبح للمهلب حين وجّه ولده المغيرة إلى قتال فارس: «أيها الأمير، إنه ليس برأي قتل هذه الأكلب، والله، لأن قتلهم لتقعدن في بيتك، ولكن طاولهم، وكُل بهم...»^(٢).

(١) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٥١ وفيه: لأنهم كانوا يدبرون الأمر، فيجدونه قد سبق

إلى نقض تدبيرهم، وراجع ص ٣٤١.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٦٥.

وكان الحجاج يتهم المهلب بن أبي صفرة بذلك، فقد كتب إليه يقول له: «إنك لتحب بقاءهم لتأكل بهم»^(١). وكتب إليه أيضاً: «ولكنك اتخذت أكلاً، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم»^(٢).

ويمكن تأييد هذه الحقيقة بما يظهره التاريخ من حسد، ومن منافسات^(٣) على مقام تولي قتالهم، ليفوز بالمقام وبالسمعة، وبالموقع، وما إلى ذلك.. فراجع. ٣ - قد كانت هناك جماعات يتم إجبارها على قتال الخوارج، دون أن يكون لديها قناعة في حرب كهذه، لأن الخوارج كانوا يرفعون شعار الاعتراض على الحكم في ظلمهم للناس، وجورهم، ومخالفاتهم لأحكام الدين، ويتظاهر الخوارج بالعبادة والزهد، والعزوف عن الدنيا، ويركزون على هذه النواحي في أشعارهم وخطبهم، ومجادلاتهم، فكان لذلك تأثيره في بعض الناس، من حيث إنه يقلل من حدة الاندفاع إلى قتالهم، بل هو يثير في الكثيرين ميلاً إلى مسالمتهم، بل والإنصواء تحت لوائهم، لحرب الأمويين.

ومن شواهد ذلك: أن أحد زعماء الخوارج وهو عبد الله بن يحيى: «رأى في اليمن جوراً ظاهراً، وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة..»، فجمع

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٧٣.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٧٧.

(٣) راجع: الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٥٣ و ٣٥٨ و ٣٥٩ وراجع أيضاً ص ٣٦٢ و

٣٦٣ و ٣٦٤ ففيها نصوص تدل على ذلك.

أصحابه وبادر إلى محاربة الحاكمين^(١).

٤ - إن الناس لا يرون في الأمويين وفي غيرهم من الحكام باستثناء علي «عليه السلام» وأهل بيته من وما يستحق التضحية معه بالنفس، ولا يجدون ربح الشهادة في حربهم للخوارج، والتعرض لسيوفهم. فلا توجد دوافع قوية ولا حتى ضعيفة لدى الكثيرين في هذا الاتجاه.

٥ - قد عرف عن الخوارج عدم مبالاتهم بما يرتكبونه من جرائم، وإنه ليس لديهم ما يحّد من اندفاعهم في هذا الاتجاه، بل تجددهم قد حاولوا تشريع ذلك، وتأسيس أصول عقيدية من شأنها أن تحتم عليهم التعاطي بهذا المستوى من العنف، وتسهّل عليهم سفك الدماء، دون أن يكون لديهم أية روادع إيمانية أو إنسانية، أو وجدانية وضميرية، بل هم يرون أن تنكيلهم بخصومهم حتى بالنساء والأطفال عبادة يثابون عليها، وتدخلهم الجنة بزعمهم.

وعلى كل حال، فإن نظرة فاحصة لمنطلقاتهم الفكرية تعطي أنهم لا يملكون أية ثوابت تحدد لهم اتجاه مسيرة تعاملهم مع الآخرين. بل هي مجرد لمعات تطلقها مشاعر من الهوى والعصبية، تنضح بالجهل، وتتسم بالارتجال، وتفويض بالجفاء والغلظة، وتتسرّب بالبداءة والأعرابية، فيرتكبون جرائمهم، باندفاع، ويتظاهرون بالرضا، وبالإقتناع بذلك.

وأما الذين يحاربون الخوارج، فهم في غالبيتهم من عامة الناس العاديين

(١) الأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ٩٧ وج ٦ ص ١٤٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي

الذين يريدون التصدي لحرهم، فتحكم حركتهم المبادئ، وقيم أخلاقية، وإنسانية، وتكليف شرعي، وقيود وحدود.

وعلى الأقل لم تصبح الجريمة هي القيمة لديهم، وهي الفرض الشرعي عليهم، وإن كان حكامهم الذين يسوقونهم لهذه الحرب عتاةً وطغاةً وجبارين، لا يرجعون إلى دين، ولا ينطلقون من ضمير أو وجدان.

ومن الطبيعي أن تكون حركة هذا النوع من الناس محدودة.

وهم حتى لو طلب منهم حكامهم ممارسة هذا النوع من الجريمة، فسيجدون في أنفسهم الكثير من الحرج والتردد في امتثال الأوامر التي يصدرونها إليهم.

وحين تدور رحى حرب بين فريقين، لهما هذه النظرة المختلفة، فإن الفريق الأول سيكون جارحاً ومؤثراً في الفريق الثاني نفسياً وروحياً، حتى على صعيد الانطلاق في حركة المواجهة على أرض الواقع.

وقد أشار المهلب إلى هذا الأمر حين خطب أصحابه محرضاً لهم على قتال عدوهم، فقال: «قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج، إنهم وإن قدروا عليكم فتنوكم دينكم وسفكوا دماءكم»^(١).

ويتعمق الشعور بالعقدة لدى هذا الفريق الثاني، حين يفرض عليه أن يحارب إخوانه، وأبناء عشيرته، وقومه، ولن يجد في نفسه ذلك الاندفاع القوي نحو ذلك.

أما الفريق الآخر، فهو قد تجاوز موضوع النسب والعشيرة، حين انساق

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٣١٥.

وراء تصورات اعتبرها عقيدة لنفسه، فرضت عليه الحكم بكفر الطرف الآخر، ولزوم التخلص منه.

ومما يشير إلى وجود العقدة العشائرية مذكوره المبرد، من أن الخوارج قاتلوا خصومهم يوماً إلى الليل، دون كلل أو ملل، ثم قالوا: من أنتم؟! قالوا: تميم.

قالت الخوارج: ونحن بنو تميم.

فلما أمسوا افترقوا.

وفي اليوم التالي تقاتل فريقان حتى اعتموا، فقالت الخوارج: ارجعوا.

فقالوا: بل ارجعوا أنتم.

فقالوا: ويلكم من أنتم؟

فقالوا: تميم.

قالوا: ونحن تميم^(١).

٦ - إن الخوارج كانوا - في الأكثر - من القبائل العراقية، التي تعتبر رابطة الدم هي الأقوى. وكان الحجاج، وغيره من الحكام يمارسون ضغوطاً على الناس ليدفعوهم إلى حرب إخوانهم..

يضاف إلى ذلك، عوامل أخرى كانت تفرض عليهم هذه الحرب، مثل:

دفع شريهم.

أو لأجل الحفاظ على تجارتهم، وزراعتهم.

(١) راجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٧٥ و ٣٧٦.

أو تزلفاً وطمعاً.

وقليلون جداً أولئك الذين كانوا يحاربونهم تديناً، أو إيماناً بلزوم تثبيت العرش الأموي.

ومما يشهد لما ذكرناه: النصوص الدالة على أن قتال أهل البصرة لهم، ومساعدة التجار للمهلب بالأموال قد كان بهدف الحفاظ على تجارتهم، بسبب انقطاع موارد الأهواز وفارس، فراجع^(١).

وقد كان اندفاعهم أحياناً لحرب الخوارج، بسبب الخوف منهم كما هو الحال في عهد يزيد، وابن الزبير^(٢).

وشاهد آخر، وهو: أننا نجد أمير المؤمنين «عليه السلام»، يقول لهم: «أفتذهبون إلى معاوية، وأهل الشام، وتتركون هؤلاء يخلفونكم في دياركم وأموالكم»؟! (٣).

وإن كنا نجد نصاً آخر يفيد: أنه «عليه السلام» يرى قتال معاوية أهم فقد جاء عنه «عليه السلام» أنه قال: «بلغني قولكم: لو أن أمير المؤمنين

(١) راجع على سبيل المثال: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣١٢ و ٣١٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٤٦ و ١٨١.

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٧٠ و ٢٧١.

(٣) المصنف للصنعاني ج ٣ ص ١٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٨ ص ١٧٠ عن صحيح

مسلم، وتيسير المطالب في أمالي الإمام علي بن أبي طالب ص ٣٥ وكنز العمال ج ١١ ص ٢٨٠ ورمز إليه بـ (عب، ما، وخشيش، وأبو عوانة، وابن أبي عاصم، ق.).

سار بنا إلى هذه الخارجة التي خرجت علينا؛ فبدأنا بهم، إلا أن غير هذه الخارجة أهم على أمير المؤمنين، سيروا إلى قوم يقاتلونكم كيما يكونوا في الأرض جبارين ملوكاً، ويتخذهم المؤمنون أرباباً، ويتخذون عباد الله خولاً، ودعوا ذكر الخوارج، قال: فنادى الناس الخ..»^(١).

ونقول:

لعل هذا القول منه «عليه السلام» قد كان بعد قتل الخوارج في النهروان، ولم يعد للخوارج أي شأن، وصاروا يخرجون على شكل شراذم ضعيفة، وغير قادرة على تحقيق نصر يذكر، وبإمكانهم دفعها بأعداد يسيرة.. فكان الناس يتخذون ذلك ذريعة للتهرب من التوجه لما هو أهم، وخطره أعظم. ولكنهم حينما نجم قرن الشيطان، وظهر الخوارج، وصاروا يفسدون في الأرض.. حاول أهل الكوفة أن يحسموا أمرهم، ويدفعوا غائلتهم، فكان أهل الكوفة يصرون على أمير المؤمنين «عليه السلام» بالبداة بالخوارج؛ لأنهم لا يستطيعون أن يسيروا إلى حرب معاوية، ويبقى هؤلاء بين أظهرهم. يقول النص التاريخي: «فقام إليه الناس، فقالوا: يا أمير المؤمنين، علام تدع هؤلاء وراءنا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا، سر بنا إلى القوم، فإذا فرغنا مما بيننا وبينهم سرنا إلى عدونا من أهل الشرك الخ..»^(٢).

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦١ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٦٨ وراجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ١٨٠ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٨ والفخري في الآداب السلطانية ص ٩٤ والكامل لابن الأثير ج ٣

وعند الدنيوري: «أندع هؤلاء على ضلالتهم، وتسير؛ فيفسدوا في الأرض، ويعترضوا الناس بالسيف؟! سر إليهم بالناس، فإن تابوا وقبلوا، فإن الله يحب التوابين، وإن أبوا فأذنهم بالحرب، فإذا أرحت الأمة منهم سرت إلى الشام»^(١).
فإن هذا الكلام قد كان في بداية ظهور الخوارج، وقتلهم بن خباب، وإفسادهم في الأرض، كما قلنا.

الشجاعة واليأس:

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أن سرّ إقدام ابن وهب الراسبي على طلب مبارزته مع علمه أن من يبارز أمير المؤمنين لن يكون مصيره سوى البوار والفناء هو أحد الأمرين:

- ١ - يأس من الحياة حين لا بد من مواجهة الموت في ساحات القتال.
 - ٢ - أو أنه كان يطمع طمعاً كاذباً، حيث منته نفسه أمراً يستحيل عليه تحقيقه، وهو أن ينتصر على أمير المؤمنين «عليه السلام».
- فإنه «عليه السلام» حينما طلب منه الراسبي البراز: تبسم ثم قال:
«قاتله الله من رجل ما أقل حياءه! أما أنه ليعلم: أني حليف السيف، وحديل الرمح، ولكنه أيس من الحياة، أو لعله يطمع طمعاً كاذباً»^(٢).

ص ٣٤٢ وراجع ص ٣٤٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٩١ و ٩٠ والإمامة

والسياسة ج ١ ص ١٤٧.

(١) الأخبار الطوال ص ٢٠٧.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي، وكشف الغمة ج ١

وربما يكون هذا أيضاً هو حال الخارجين على حكومات الجبابة، فإما هم يطمعون بالنصر.. أو أنهم لا بد لهم من مواجهة الموت، لأن أولئك الحكام لن يتركوهم وشأنهم، بل لا بد أن يقتلوهم، إما في معركة أو بدونها، وقد قال المهلب بن أبي صفرة لأصحابه وهو يحذرهم من الخوارج: «..فإن القوم خائفون وجلون، والضرورة تفتح باب الحيلة»^(١).

الباب الثامن:

ذلك مبلغهم من العلم..

الفصل الأول:

الجهل.. والعلم..

الجهل والجفاء:

لا ريب في أن الخوارج كانوا يعانون من الجهل الذريع، ومن السفاهة القاتلة ما يفوق حد الوصف. وكانوا في الأكثر أعراباً جفاةً، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ونذكر من شواهد ذلك ما يلي:

١ - إن أبا حمزة حينما دخل المدينة في سنة ١٣٠ هـ. «بلغه: أن أهل المدينة يعيبون أصحابه، لحداثة أسنانهم، وخفة أحلامهم»^(١).

فقام خطيباً في أهل المدينة، فكان مما قال: «يا أهل المدينة، بلغني أنكم قلتم، تنتقصون أصحابي: شباب أحداث، وأعراب جفاة، ويلكم الخ..»^(٢).

(١) الأغاني ج ٢٠ ص ١٠٥ والعقود الفضية ص ٢٠٩ وراجع ص ٢١٥.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٣٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٦ ص ٥٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ١١٥ وراجع ص ١١٩ وج ٢ ص ٢٦٧ والأغاني (ط ساسي) ج ٢٠ ص ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧ ونهج البلاغة ج ١ ص ٨٣ والعقود الفضية ص ٢٠٧ والعقد الفريد ج ٤ ص ١٤٤ والبيان والتبيين ج ٢ ص ١٢٤ ولم يذكر: أنهم عيروه بأصحابه شباب الخ..

٢ - وعن علي «عليه السلام»: «..وأنتم معاشر أخفاء (صغار خ. ل) الهام، سفهاء الأحلام»^(١).

وقد ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أيضاً قوله: «يخرج قوم في آخر الزمان أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام»^(٢).

ومن المضحك: أنهم قد رووا عكس ذلك أيضاً عن النبي «صلى الله عليه وآله»، فقد روي: أنه جاءته صدقة بني تميم، فقال: هذه صدقة قومي، وسمعتة يقول: «ضخم الهام، رجح الأحلام، وأشد على الرجال في آخر الزمان»^(٣). ولا ريب في أن هذا الحديث فيه تحريف ووضع، وأخلق به أن يكون قد وضع من قبل الخوارج، الذين عرف عنهم: أنهم إذا احبوا أمراً صيره حديثاً، كما سنرى.

ومن الواضح: أن بني تميم ليسوا هم قوم رسول الله «صلى الله عليه

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٣ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٤ والمصنف للصنعاني ج ١٠ ص ١٥٧ ومنحة المعبود ج ٢ ص ١٨٥ ومسند الطيالسي ص ٢٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٩٢ ونهج البلاغة (بشرح محمد عبده) الخطبة رقم ٣٥ وبهج الصباغة ج ٣ ص ١١٠ عن الطبري، والموفقيات ص ٣٢٧ ونور الأبصار ص ١٠٢.

(٢) خصائص الإمام علي «عليه السلام» للنسائي ص ١٤٠ وسنن أبي داود ج ٤ ص ٢٤٤ والسنن الكبرى ج ٨ ص ١٧٠ ومستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٤٨ ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٥٧ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٩٠.

(٣) البرصان والعرجان ص ٣٠٩ وقال في هامشه: أنظر صحيح مسلم ١٩٥٧.

وآله» ولا ميزة لهم من حيث القرابة عن غيرهم من سائر قبائل العرب..
 كما أن اللافت هنا هو: أن أكثر الخوارج الأولين قد كانوا من بني تميم،
 فوضعت هذه الرواية على لسان النبي «صلى الله عليه وآله» في مدحهم!!
 ويلاحظ: أنها قد جاءت على نسق العبارة المروية عن النبي «صلى الله
 عليه وآله»، وعن علي «عليه السلام» في ذمهم، وهي الرواية المتقدمة.
 ٣ - قال رجل من أصحاب أمير المؤمنين لعبد الله بن وهب الراسبي،
 زعيم خوارج النهروان: «أنت - والله - ما فهمت في دين الله ساعة قط. وما
 زلت جلفاً جافياً مذ كنت»^(١).

٤ - قال الحسن البصري: «العامل على غير علم كالسالك على غير
 طريق. والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح، فاطلبوا العلم طلباً
 لا تضروا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم، فإن قوماً طلبوا
 العبادة، وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمد.
 ولو طلبوا العلم لم يدهم على ما فعلوا»^(٢). يريد بذلك الخوارج.
 ٥ - وحينما أرسل علي بن عبد الله بن العباس دعاته، وصف لهم البلاد،
 فكان مما قاله لهم: «..وأما الجزيرة فحرورية مارقة، وأعراب كاعلاج،
 ومسلمون أخلاقهم كأخلاق النصارى»^(٣).

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٢٦.

(٢) جامع بيان العلم ج ١ ص ١٦٥.

(٣) معجم البلدان لياقوت ج ٢ ص ٣٥٢ وأحسن التقاسيم ص ٢٩٣ وعيون الأخبار

ونظير ذلك ورد عن الأصمعي أيضاً، فراجع^(١).

٦ - وما أحسن ما وصفهم به رئيس معتزلة بغداد، بشر بن المعتمر، حيث ذكر خلوهم من العلم والفهم، وذكر حرقوص بن زهير، أحد زعمائهم، المقتول في النهروان، فقال:

ما كان من أسلافهم أبو الحسن ولا ابن عباس ولا أهل السنن
 غر مصابيح الدجى مناجب أولئك الأعلام لا الأعارب
 كمثل حرقوص، ومن حرقوص؟ فقعة قاع حولها قصيص
 ليس من الخنظل يشتر العسل ولا من البحور يصطاد الورل
 هيهات ما سافلة كعالية ما معدن الحكمة أهل البادية^(٢)
 الفقعة: الرخو من الكمأة.

والقصيص: شجر تنبت الكمأة في أصلها.

٧ - وقال لهم عمر بن عبد العزيز: «فاتقوا الله، فأنتم جهال، تقبلون من الناس ما رد عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتردون عليهم ما قبل، ويأمن عندكم من خاف، ويخاف عندكم من آمن عنده، وشهد النخ...»^(٣).

الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٢٠٤ والسيادة العربية والشيعة والإسرائيليات ص ٩٣

والحاضرة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج ١ ص ١٠٢.

(١) روض الأخيار ص ٦٧ والعقد الفريد ج ٦ ص ٢٤٨.

(٢) الحيوان للجاحظ ج ٦ ص ٤٥٥.

(٣) العيون والحدائق ص ٤٦ ومروج الذهب ج ٣ ص ١٩٢.

٨ - وفي حرب شيبان الخارجي مع مروان يقول النص التاريخي: «فصبر معه جماعة من الأعراب، فلحقوا بأهاليهم»^(١).

٩ - وقال الحسن البصري في كلام له عن العلم، ويشير به إلى الخوارج: «إن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيا فهم على أمة محمد، ولو طلبوا العلم لم يدهم على ما فعلوا»^(٢).

وقد أشار عدد من المؤلفين والمؤرخين إلى ما كان عليه الخوارج من البداوة والجهل والجفاء، فراجع..^(٣).

قصر ظهري اثنان:

وهؤلاء هم الجهال المتنسكون، الذين قال عنهم أمير المؤمنين «عليه السلام»: «قصر ظهري اثنان عالم متهتك، وجاهل متنسك»^(٤).

وقد ابتلى بهم أمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد كانت الضربة التي تلقاها «صلوات الله وسلامه عليه» من هؤلاء الجهال المتنسكين، الذين كانوا يرون

(١) العيون والحدائق ص ١٦٢.

(٢) جامع بيان العلم ج ١ ص ١٦٥.

(٣) راجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٦٥ وفجر الإسلام ص ٢٥٩ و ٣٦١ وضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٢ وبعدها وتاريخ المذاهب الإسلامية ص ٦٨ و ٦٩ والخوارج في الإسلام لعمر أبي النصر ص ١٨ وقضايا في التاريخ الإسلامي ص ٣٧ عن تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥١٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٢ ص ١١١ و ١٠٦ وج ١ ص ٢٠٨ وميزان الحكمة ج ٦ ص ٥٠٩.

أنفسهم أعلم من باب مدينة علم النبي «صلى الله عليه وآله»، أشد وأقوى من كل الضربات، فلو أنهم لم يقفوا ذلك الموقف البغيض في صفين وبعدها، وتركوا الأمور تجري على حسب ما يريد «عليه السلام»، لتغير وجه التاريخ، ولربما كان قد عم الإسلام العالم، ولم يكن قد بقي ثمة مبرر لمهادنة الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية، ثم استشهاده، ولا كان ثمة أثر لفاجعة كربلاء، ولا لغير ذلك من مصائب ورزايا تعرضت لها الأمة الإسلامية، والبشرية جمعاء، حيث إنها لم تكن لتوجد من الأساس.

نعم.. لقد كان هذا الجهل المركب، واعتقادهم أنهم أعلم من أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومعه تظاهرهم بالنسك والزهد، من أشد المصائب وأنكاهها. قال ابن الجوزي: «..وقد كانت الخوارج تتعبد، إلا أن اعتقادهم: أنهم أعلم من علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وهذا مرض صعب»^(١). وقال: «..ولا أعجب من اقتناع هؤلاء بعلمهم، واعتقادهم أنهم أعلم من علي رضي الله عنه»^(٢).

الخوارج.. يرجعون إلى تلامذة علي عليه السلام:

وبعد.. فإن الكل كانوا يعرفون: أن أهل البيت «عليه السلام» هم معدن العلم، وموضع الرسالة.. والكل يعلم أيضاً اختصاص ابن عباس بعلي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ومشاركته له في حروبه - حتى حروب

(١) تلييس إبليس ص ٩٣.

(٢) تلييس إبليس ص ٩٥.

النهروان ضد الخوارج - ودفاعه عن قضاياه، وكونه علوياً بكل ما لهذه الكلمة من معنى، وقد أحس الخوارج بحاجتهم إلى الإمام بشيء من الأحكام، إذ لم يعد جائزاً لهم هذا الاستغراق في ظلمات الجهل حتى بأبده البديهيّات.

وهم يدّعون: أنهم يحاربون الأمويين بدوافع دينية، فلم يجدوا أمامهم سوى ذلك الذي كرهوه، وحاربوه، وشيعته وأوليائه، فلجأوا إليهم في ذلك، ولذلك نلاحظ: أن نجدة الحروري الخارجي كان يسأل ابن عباس عن مسائل أشكلت عليه، ويعتمد على إجابته فيها.. فقد روى يزيد بن هرمز، قال: «كتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس يسأله عن أشياء، فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه، وحين كتب جوابه، فقال ابن عباس: لولا أردته عن شريع فيه، ما كتبت إليه، ولا نعمة عين.

قال: فكتب إليه: إنك تسألني عن سهم ذوي القربى الذي ذكر الله عز وجل من هم؟ وإنا كنا نرى قرابة رسول الله هم، فأبى ذلك علينا قومنا. وسأله عن اليتيم متى ينقضي يتمه، وأنه إذا بلغ النكاح، وأونس منه رشد دفع ماله، وقد انقضى يتمه.

وسأله هل كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقتل من صبيان المشركين أحداً، فقال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يقتل منهم أحداً. وأنت فلا تقتل، إلا أن تكون تعلم ما علم الخضر من الغلام الذي قتله. وسأله عن المرأة والعبد، هل كان لهما سهم معلوم إذا حضروا الباس، وأنه لم يكن لهم سهم معلوم، إلا أن يجزن من غنائم المسلمين»^(١).

(١) مسند أحمد ج ١ ص ٢٤٨ و ٢٤٩ وج ٤ ص ٨٣ ومجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٤١ وسنن

وحسب نص البلاذري عن عبد الله بن هرمز قال: كنت كاتب عبد الله بن عباس إلى نجدة، وكتب إليه يسأله عن النساء، هل كنّ يحضرن الحرب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ وهل كان يضرب لهنّ بسهم؟! وهل كان للعبد في المغنم سهم؟ ومتى كان يضرب للصبي؟ ويسأله عن سهم ذوي القربى. فكتب إليه: أن النساء كنّ يحضرن الحرب مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيرضخ لهنّ بسهم..

وأنه لا سهم للعبد في المغنم.

وأنه كان لا يضرب للصبي بسهم حتى يحتلم.

وأن عمر بن الخطاب عرض عليه أن يزوج من سهم ذوي القربى أيمننا، ويقضي عن غارمنا، فأبينّا إلا أن يسلمه إلينا، وأبى ذلك علينا^(١).

وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن عمر الركاء قال: «بينما ابن عباس في المسجد الحرام، وعنده نافع بن الأزرق، وناس من الخوارج، يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة في ثوبين مصبوغين موردين، أو ممصّرين حتى دخل وجلس، فأقبل عليه ابن عباس، فقال: أنشدنا، فأنشده:

النسائي ج ٢ ص ١٧٩ والخراج لأبي يوسف ص ٢٤ - ٢٥ والأموال لأبي عبيد ص ٤٦٣ وجامع البيان ج ١٥ ص ٦ وأحكام القرآن للجصاص ص ٦٢ و ٦٠ والسنن الكبرى ج ٦ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ و سنن أبي داود بيان مواضع الخمس وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٢ ص ٢١٢ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٨.

(١) الأغاني ج ١ ص ٣٤ و ٣٥ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٢٨ و ٢٢٩.

أمن آل نعم أنت غادٍ فمبكر غداة غدٍ أو رائح فمهجر

حتى أتى على آخرها. فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام، فتتناقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش، فينشدك الخ..»^(١).

قال المبرد: «وكان نافع بن الأزرق ينتجع عبد الله بن العباس، فيسأله، فله عنه مسائل من القرآن وغيره، قد رجع إليه في تفسيرها، فقبله وانتحله، ثم غلبت عليه الشقوة»^(٢).

ثم ذكر المبرد شطراً من تلك المسائل، فراجع.

وروي: أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في آية: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٣)، فقال ابن عباس: هو الذي لا كفؤ له، أي لا ينظر إلى النار برحمته. وأهل الجنة ينظرون إليه في ثوابه، وكرامته ورحمته، ولا يرونه بأبصارهم^(٤).

وروي الزبيريون: أن نافعاً قال له: ما رأيت أروى منك قط.

فقال: ابن عباس: ما رأيت أروى من عمر، ولا أعلم من علي^(٥).

(١) أنساب الأشراف ج ١ ص ٥١٧.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٢٢.

(٣) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة القيامة.

(٤) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٠٥ عن الجامع الصحيح (للربيع بن حبيب) ج ٣

ص ٢٧ رقم ٨٥٥.

(٥) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢٣٠.

ولعله إنما ذكر له عمر ليرضيه بذلك، وإلا، فإن عمر، لم يكن معروفاً بالرواية فضلاً عن أن يكون أروى الناس.

رواية الخوارج عن مسلمة أهل الكتاب:

وقد ذكر الحارثي الإباضي: أن مسلم بن أبي كريمة، المتوفى في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٣٥ هـ، وثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة^(١) قال: «من لم يكن له أستاذ من الصحابة، فليس هو على شيء من الدين، وقد من الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن سلام، وهم الراسخون في العلم. وعلى آثارهم اقتفينا، وبقولهم اقتدينا، وعلى سيرتهم اعتمدنا وعلى منهاجهم سلكنا»^(٢).

فهو يجعل عبد الله بن سلام من الراسخين في العلم، الذين اقتفى الخوارج آثارهم.

مع أن الراسخين في العلم هم خصوص الأئمة من أهل البيت «عليهم السلام»، وحتى ابن عباس فإنه ليس منهم.

(١) راجع: العقود الفضية ص ١٣٩.

(٢) العقود الفضية ص ١٤٠.

الفصل الثاني:

رجال ينسبون إلى الخوارج..

بداية:

قد ذكرنا في بعض فصول الكتاب سعي الخوارج لتزوير الحقيقة، وأنهم يكذبون حتى في ما لا يصح ولا يمكن الكذب فيه، حتى زعموا: أن علياً «عليه السلام» ندم على قتل الخوارج، وأنه بكى عليهم.. وغير ذلك من أباطيل. وزعموا: أن عائشة أيدتهم.

وكذلك ابن عباس.

وعدوا صعصعة بن صوحان منهم.

وكذلك أبا الهيثم بن التيهان.

إلى غير ذلك مما لا يرجع إلى أساس، وتكذبه الشواهد القاطعة، والبراهين الساطعة..

ولكن ذلك لا يعني أن لا يكون هنالك من مال إليهم، وأيدهم ومالهم، إما خوفاً منهم، أو بغضاً منه بعلي، أو اعتقاداً.

ونذكر هنا طائفة من هؤلاء وأولئك مع التذكير بأن عدداً منهم هم من زعماء الخوارج الذين قادوا الحروب، وليس لديهم أثارة من علم، ولا سبيل هدى.. فنقول:

عكرمة من الخوارج:

وقد كان عكرمة من الخوارج وكان أمره في ذلك أشهر من أن يذكر^(١).
 وكان يحدث برأي نجدة الحروري، وخرج إلى المغرب، وكان أول من
 أحدث فيهم رأي الصفرية^(٢)، فالخوارج بالمغرب عنه أخذوا^(٣).
 وفي نص آخر: وقف على باب المسجد فقال: ما فيه إلا كافر، وكان يرى

(١) راجع: ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ و ٩٥ و ٩٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦ وفجر الإسلام ص ٢٦١ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١٢٢ وتنقيح المقال ج ٢ ص ٢٥٦ والأعلام للزركلي ج ٤ ص ٢٤٤ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٢٤ و ٤٢٥ والعقود الفضية ص ٦٥ والطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ عن الكافي. وعن المعارف لابن قتيبة، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ والمغني في الضعفاء ج ٢ ص ٤٣٨ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ٩٦ والمعارف ص ٤٥٧ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ والضعفاء الكبير للعقيلي ج ٣ ص ٣٧٣ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ١٧ ص ١٤٤ و ١٥٢ و ١٥١ وراجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٠ و ٢١ و ٣٠ وراجع: ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٦ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٣٢٧ وراجع: مختصر تاريخ مدينة دمشق ج ١٧ ص ١٤٢ و ١٥١ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٢٥ و ٤٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢١ ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٦ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٢٥ و ٤٢٦.

رأي الإباضية^(١).

وكان يتهم بالكذب^(٢).

وليس يحتج بحديثه، ويتكلم الناس فيه^(٣)، وكذبه على ابن عباس معروف ومشهور^(٤).

وقد أوثقه عبد الله بن عباس عند باب الحش، ف قيل له: ألا تتقي الله؟ فقال: إن هذا الخبيث يكذب على أبي^(٥).

(١) سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٢ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٥ و ٩٦.

(٢) الطبقات الكبرى ج ٥ ص ٢٨٨ و ٢٨٩ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و قاموس الرجال ج ٦ ص ٣٢٧ والمغني في الضعفاء ج ٢ ص ٤٣٩ والمعارف ص ٤٣٨ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ١٧ ص ١٤٩ و ١٥١ والمنتخب من ذيل المذيل ص ١٢٢.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٢٩٣ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٤ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٢٥.

(٤) راجع ما قاله ابن المسيب لمولاه: برد. وما قاله ابن عمر لمولاه: نافع. وذلك في المصادر المتقدمة، ترجمة عكرمة.

(٥) ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٩٤ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٣٢٧ والمعارف ص ٤٥٦ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٣٠ والضعفاء الكبير ج ٣ ص ٣٧٤ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج ١٧ ص ١٥١ وفتح الباري (المقدمة) ص ٤٢٥ ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٦٥ و ٢٦٦.

وكان يتختم بالذهب، ويغني، ويُتهم في أمر الصلاة، واللعب بالنرد..
فراجع ترجمته..

أبو عبيدة، معمر بن المثنى:

إن البعض ينسب إلى أبي عبيدة، معمر بن المثنى: أنه كان يرى رأي الصفرية
من الخوارج^(١).

وتقدم قول أبي حاتم السجستاني: «كان يكرمني بناءً على أني من خوارج
سجستان»^(٢).

غير أن أبا عبيدة لم يكن له شأن يذكر في العلوم الإسلامية الرئيسية،
فقد قال عنه الذهبي: «..لم يكن بالماهر بكتاب الله، ولا العارف بسنة رسول
الله، ولا البصير بالفقه، واختلاف أئمة الاجتهاد، بل وكان معافً من معرفة
حكمة الأوائل، والمنطق، وأقسام الفلسفة»^(٣).

إذن، فلم يكن قوله بنحلتهم مؤشراً للسذج من الناس على صحتها

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦ وسير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٤٤٦
ونشوار المحاضرة ج ٣ ص ٢٩١ وفجر الإسلام ص ٢٦٥ ونقل أيضاً عن
المعارف ص ٥٤٣ والبيان والتبيين ج ٣ ص ٢٦٤ - ٢٦٦ وج ١ ص ٣٤١ و ٣٤٣
و ٣٤٦ والأمالى للسيد المرتضى ج ١ ص ٦٣٦ ونور القبس ص ١١٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ١٤٧ وعن أنباء الرواة ج ٣ ص ٢٨١ ونشوار المحاضرة
ج ٣ ص ٣٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ٤٤٧.

وسلامتها. ولا يفيد ذلك في تأييدها.

إتهام إمام المالكية:

وبعد، فقد اتهم مالك بن أنس، إمام المذهب المالكي: بأنه يرى رأي الخوارج^(١).
ويذكر الزبيريون: أن مالك بن أنس المدني كان يذكر عثمان وعلياً،
وطلحة، والزبير، ويقول: والله ما اقتتلوا إلا على الشريد الأعفر^(٢).

ولكن البعض قد أنكر بشدة نسبة الإمام مالك إلى مذهب الخوارج،
فقد نقل: أن أبا حيان كتب على هامش الكامل في سنة ٧١٧هـ: أن الرجل
الموصوف بأنه خارجي هو: مالك بن أنس بن مالك بن مسمع البكري، ثم
البصري، أحد رؤساء أهل البصرة، وفقهائهم، وعبادهم.

وقال أبو حيان: إن مالكا كان على الخوارج أشد من الموت الزؤام،
والداء العقام. وقد سئل عن أهل حروراء، فقال: أحسب قول الله تعالى:
﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٣)
فيهم نزلت^(٤).

(١) راجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦
والعقود الفضية ص ٦٥ وتقوية الإيمان ص ٥٥ عن الجرح والتعديل لجمال الدين
القاسمي ص ٢٨.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦.

(٣) الآية ١٠٤ من سورة الكهف.

(٤) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦.

والخوارج يبغضون المالكية أشد البغضاء، لأن إمامهم يقول بكفرهم في بعض الروايات عنه^(١).

أبو وائل، أبو بلال:

وربما ينسب إليهم أيضاً أبو وائل شقيق بن سلمة^(٢).

وقد تقدم: أن الخوارج أنفسهم يتحلونه، ويروون عن ابن عباس قوله: أصاب أهل النهر السبيل، أصاب أبو بلال السبيل^(٣).

لكن ابن أبي الحديد المعتزلي يقول عن أبي وائل: «.. ولم يختلف في أنه خرج معهم، وأنه عاد إلى علي «عليه السلام» منياً مقلعاً»^(٤).

مرداس بن أدية:

ويبتحل الخوارج أيضاً مرداس بن أدية وعلل المبرد ذلك بقوله: «.. لقشفه وبصيرته، وصحة عبادته، وظهور ديانتته، وبيانه. تتحلله المعتزلة، وتزعم أنه خرج منكراً لجور السلطان، داعياً إلى الحق.

وتحتج له بقوله لزياد، حيث قال على المنبر: والله، لآخذن المحسن منكم بالمسيء، والحاضر منكم بالغائب، والصحيح بالسقيم، والمطيع بالعاصي.

فقام إليه مرداس، فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان، وما هكذا ذكر

(١) تقوية الإيمان ص ٥٥ و ٥٦ وراجع: هامش الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٥.

(٢) الغارات ج ٢ ص ٩٤٧.

(٣) العقود الفضية ص ٦٨.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٩٩.

الله عز وجل عن نبيه إبراهيم «عليه السلام»، إذ يقول: ﴿وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزُرُّ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾^(١). وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي، ثم خرج في عقب هذا اليوم.

والشيعة تتحمله، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي «صلوات الله عليه»: «إني لست أرى رأي الخوارج، وما أنا إلا على دين أبيك»^(٢).

الحسن البصري:

وربما ينسب إليهم أيضاً - وهم كذلك يتحلونه - الحسن بن أبي الحسن البصري^(٣).

وقد ذكر المبرد ذلك، فقال: «فأما أبو سعيد الحسن البصري، فإنه كان ينكر الحكومة، ولا يرى رأيهم.

وكان إذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثاً، ولعن قتلته ثلاثاً، ويقول: لو لم نلعنهم للعنا.

ثم يذكر علياً، فيقول: لم يزل أمير المؤمنين «رحمه الله» يتعرفه النصر، ويساعده الظفر حتى حَكَم، فلم تحكّم والحق معك؟! ألا تمضي قدماً لا أباً لك، وأنت على الحق؟!!!

(١) الآيات ٣٧ - ٤١ من سورة النجم.

(٢) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٤ و ٢١٥.

(٣) العقود الفضية ص ٦٥.

وقال أبو العباس: وهذه كلمة فيها جفاء الخ..^(١)
ولا يقولها إلا من ينحل مذهب الخوارج، أو يميل إليه..

ابن عمر:

كما أن ابن عمر كان يمالئ الخوارج، فقد ذكر ابن حزم: أنه كان يصلي خلف الحجاج ونجدة^(٢).

وكان أحدهما خارجياً، والثاني أفسق البرية.

ونقول:

لعل تعظيم الخوارج لأبيه عمر بن الخطاب هو الذي دعاه إلى ممالأة نجدة الخارجي، ويعزز ذلك أنه كان يرى الصلاة خلف كل متغلب، ونجدة متغلب. لكن كيف صح ذلك له، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بمروق الخوارج من الدين؟!!

إياس بن معاوية:

وقد يقال: إن إياس بن معاوية كان يرى رأي الخوارج أيضاً، وذلك لما ذكره الزمخشري، قال: «أخذ الحكم بن أيوب الثقفي عامل الحجاج إياس بن معاوية، فشتمه، وقال: أنت خارجي منافق، اتني بمن يكفل بك».

قال: ما أجد أعرف بي منك.

قال: وما علمي بك، وأنا شامي، وأنت عراقي؟!!

(١) الكامل ج ٣ ص ٢١٥ و ٢١٦.

(٢) المحلى ج ٤ ص ٢١٣ وراجع: بدائع الصنائع ج ١ ص ١٥٦.

قال إياس: فقيم هذا الثناء منذ اليوم؟!

فضحك وخلي سبيله»^(١).

لكن الحقيقة هي أن ذلك لا يكفي لإثبات هذه التهمة على إياس، فإن
الحكام قد يوجهون تهماً لبعض المعروفين ليجدوا السبيل للتنكيل بهم..

أنس بن مالك:

وعن علي بن زيد بن جدعان: «أن أنساً دخل على الحجاج، فقال: يا
خبثة، شيخاً جوالاً في الفتن، مع أبي تراب مرة، ومع ابن الزبير أخرى، ومع
ابن الأشعث مرة، ومع ابن الجارود أخرى، والله لأجردنك جرد الضب».

ثم تذكر الرواية: أن أنساً كتب إلى عبد الملك بذلك، فعالج عبد الملك
الأمر بينهما^(٢).

وقد ذكروا: أن الخوارج كانوا ينتحلون أنس بن مالك فراجع^(٣).

أشخاص اتهموا أو عرفوا برأي الخوارج:

وعدا الذين تحدثنا عنهم، ك: مالك، والحسن البصري، وعكرمة، وأبي
عبدة، وأبي وائل، ومرداس بن أدية، وحتى الذي يحاول الخوارج نسبه
إليهم أيضاً، فقد ذكر أشخاص آخرون في جملة من ينسبون إلى رأي الخوارج،
نذكر منهم:

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٦٩٩.

(٢) الموفقيات ص ٣٢٨ و ٣٢٩.

(٣) فجر الإسلام ص ٢٦١.

- ١ - المبرد.
- ٢ - يزيد بن أبي مسلم.
- ٣ - المنذر بن الجارود.
- ٤ - صالح بن عبد الرحمن، صاحب ديوان العراق.
- ٥ - عمرو بن دينار.
- ٦ - جابر بن زيد.
- ٧ - مجاهد^(١).
- ٨ - اليمان بن رباب. وكان على رأس البيهسية.
- ٩ - عبد الله بن يزيد.
- ١٠ - محمد بن حرب.
- ١١ - يحيى بن كامل. وهؤلاء كانوا إباضية.
- ونسب إلى هذا المذهب أيضاً:
- ١٢ - أبو هارون العبدي.
- ١٣ - أبو الشعثاء.
- ١٤ - إسماعيل بن سميع.
- ١٥ - هبيرة بن بريم^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٦ و ٧٧ وراجع: العتب الجميل ص ١٠٥ -

١٢٨ والعقود الفضية ص ٦٥ وراجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٧.

- ١٦ - قد عدّ الجاحظ في جملتهم، بعد أن ذكر أبا عبيدة معمر بن المثنى.
 - ١٧ - عبيدة بن هلال.
 - ١٨ - عمران بن حطان.
 - ١٩ - المقعطل.
 - ٢٠ - حبيب بن خدره.
 - ٢١ - الضحاك بن قيس.
 - ٢٢ - شبيل بن عزرة.
 - ٢٣ - قطري.
 - ٢٤ - خراشة.
 - ٢٥ - نصر بن ملحان.
 - ٢٦ - مليل.
 - ٢٧ - أصفر بن عبد الرحمن.
 - ٢٨ - أبو عبيدة كورين.
 - ٢٩ - ابن صديقة.
 - ٣٠ - الجون بن كلاب.
 - ٣١ - عتبان بن وصيلة^(١).
- وعد منهم أيضاً:
- ٣٢ - الطرماح، كما سيأتي حين الكلام عن تساهل الخوارج عبر الزمن.

(١) راجع: البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٦٤-٢٦٦ وج ١ ص ٣٤١ و ٣٤٣ و ٣٤٦.

أما الجوزجاني فذكر منهم:

٣٣- عبد الله بن الكواء، رأسهم.

٣٤- عبد الله بن راسب.

٣٥- شيبث بن ربعي، أول من حلل الحرورية.

٣٦- مالك بن الحارث^(١).

٣٧- أبو بلال مرداس بن أدية.

٣٨- أخوه عروة بن أدية.

٣٩- نافع بن الأزرق.

٤٠- نجدة بن عامر.

٤١- صعصة بن صوحان^(٢).

وهناك أيضاً ما يقال عن:

٤٢- نافع بن ثابت^(٣).

٤٣- المسور بن مخرمة، الذي كانت الخوارج تغشاه ويتحلونه^(٤).

(١) المراد: مالك بن الحارث السلمي، كوفي عداة في التابعين، من رؤوس الخوارج.

راجع: ميزان الاعتدال ج ٣ ص ٤٢٥.

(٢) أحوال الرجال ص ٣٤ و ٣٥.

(٣) جمهرة نسب قريش للزبير بن بكار ص ٩٣.

(٤) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩١.

٤٤ - أبي حاتم السجستاني^(١)، الذي ذكر أن أبا عبيدة معمر بن المثنى كان يكرمه بناء على أنه من خوارج سجستان، كما تقدم.

توضيح لا بد منه:

ومن الواضح: أن عد صعصعة منهم غلط. ولعله لأجل جرأته على الحكام الظالمين أمثال معاوية، فعدوه خارجياً إمعاناً في الإساءة إليه، وإلا فإن صعصعة كان من أشد المناوئين لهم، وقد كان لخطبه أعظم الأثر فيهم، حتى أصبحت مثلاً، فقليل: أخطب من صعصعة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج.

أضواء على ما تقدم:

ومن الواضح: أن العدد الأكبر من الذين ذكروا سابقاً هم من زعماء الخوارج أنفسهم. وقد اشتهروا بذلك، وليس لهم أي تميز في علم بعينه، بل هم كسائر الناس العاديين.

ورغم قلة عدد الأعلام والعلماء الذين ينسبون إلى هذه النحلة، فإن في صحة نسبة هذه النحلة إلى الكثيرين منهم نقاشاً. بل إن بعضهم كان من أشد الناس عليهم، كصعصعة بن صوحان وغيره حسبما ألمحنا إليه فيما تقدم. وأيضاً رغم: أن بعضهم قد رجع عن القول بمقاتلتهم، وأن بعضهم الآخر قد عد منهم، لمجرد خروجه على الحكام، ثم رغم شيوع وذيوع التأكيدات الكثيرة التي تدل على فشو الجهل، وسيطرة ظاهرة البداوة عليهم.

(١) سير أعلام النبلاء ج ٩ ص ١٤٧ وعن ابنه الرواة ج ٣ ص ٢٨١.

نعم.. رغم ذلك كله فإن البعض يحرص إظهار فئة الخوارج على أنهم هم الطليعة المثقفة في العالم الإسلامي الكبير. وهذا ما يثلج صدر الخوارج أنفسهم إن لم يكن ذلك يحصل بسعي مباشر منهم. وقد سمعنا من قبل مقولتهم عن إخوانهم الحرورية: إنهم «خيار المسلمين، وفقهاءهم»^(١).

وقال أبو علي الإيزجي، بعد أن ذكر أن أبا خليفة الفضل بن الحباب بن محمد الجمحي كان يرى رأي الخوارج: «أكثر رواة علم العرب - فيما بلغني عنهم - إما خوارج، أو شعوبية، كأبي حاتم السجستاني، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، وفلان، وفلان، وعد جماعة»^(٢).

بل ادّعى البعض: «أن المصنفات الأولى للخوارج قد أبيدت وأحرقت على أيدي أعدائهم من السنة والشيعة على السواء»^(٣). ونقول:

أما بالنسبة لدعوى أن مؤلفات الخوارج قد أبيدت، فهي بلا شاهد ولا دليل، فلا يلتفت إليها.

وأما بالنسبة لرواة علم العرب، فقد أشرنا آنفاً إلى أن الرواة الذين ينسبون إلى مذهب الخوارج هم قلة قليلة جداً، بالقياس إلى غيرهم.

(١) العقود الفضية ص ٦٧.

(٢) نشوار المحاضرة ج ٣ ص ٢٩١.

(٣) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٦٦.

وأما بالنسبة للشعوبية، فلا ريب في أن معظم علماء الأمة في بعض الفترات قد كانوا من الموالي.

وكانوا يقولون لمن يساوي بين العرب، وبين غيرهم: إنه شعوبي وقد أوضحنا ذلك في كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي»، فراجع. ومن الواضح: أن العرب الذين نقلوا كلام، وشعر، وخطب، وأجوبة الناس، هم من الذين يقولون بالمساواة بين العرب، وغيرهم أو من الخوارج؛ لأنهم كانوا يختلطون بالأعراب، وبأهل البادية أكثر من غيرهم، لأنهم مثلهم في أعرابيتهم، فمن الطبيعي أن يتولوا هم نقل خطب وشعر، وكلام واجوبة العرب.

مبررات أخرى للشك في نسبة الخارجية إلى البعض:

أضف إلى ذلك: أننا نشك في صحة نسبة هذه النحلة إلى بعض من تقدمت أسماؤهم؛ وذلك استناداً إلى ما تقدم آنفاً، بالإضافة إلى ما ذكرناه عن عمر بن عبد العزيز، والأشعار التي قالها بشر بن المعتمر، وكذا ما قاله الحسن البصري، وعلي بن عبد الله بن العباس، وسيد الوصيين علي أمير المؤمنين «صلوات الله وسلامه عليه»، وكذلك ما ذكرناه عن صعصعة وغيره.. وغير ذلك مما لا نرى ضرورة لإعادته.. فإن كل ذلك صريح في أنهم لم يستضيئوا بنور العلم، وإنما كانوا أعراباً جفاة، يعشعش فيهم الجهل، ويعصف فيهم الغباء..

إلا أن ذلك لا يعني: أن لا يشذ منهم أفراد يأخذون بأسباب المعرفة، وتصير لهم بعض الشهرة.. فإن الظروف قد تساعد هذا الفرد أو ذاك على ذلك،

وإن كان عامة الناس ممن هم على مثل نحلته، وطريقته، يعيشون في حالة متناقضة، وفي ظروف مختلفة، وذلك ليس بعزيز..

ونحتمل قريباً جداً: أن يكون السبب في نسبة هذه النحلة إلى بعض الأعلام، قد نشأت عن المواقف السلبية لبعض هؤلاء من الهيئة الحاكمة، أو خضوعهم وتقيتهم من الخوارج، حين ظهور أمرهم، وقوة شوكتهم، فإن ذلك قد ساعد على نسبة هذه النحلة إليهم، بهدف التنفير منهم، وتشويه سمعتهم.

كما أنه قد يكون السبب في نسبة ذلك إلى عدد منهم هو ما ظهر منهم من الانحراف الشديد عن أمير المؤمنين «عليه الصلاة والسلام»، والتحامل عليه، وصدور بعض التصريحات الجارحة تجاهه «صلوات الله وسلامه عليه». وأخيراً.. فقد يقال: إن ذكر المبرد لأخبار الخوارج بصورة لافتة في كتابه، قد دعا البعض إلى اتهامه بنحلة الخوارج..

ولعل هناك من يشارك المبرد في هذه الخصوصية، التي دعت إلى توجيه هذا الاتهام..

الفصل الثالث:

عقائد.. وأقاويل..

عقائد الخوارج:

إن بداية ظهور الخوارج كانت ترجع إلى دوافع دنيوية، هي حب الراحة من عناء الحرب، والسلامة من أخطارها، ثم تلفعت بشبهة أنتجها الجهل، وحملهم على الإمعان في التحدي، وفرض المواقف والآراء المتباينة طيش ورعونة، وقلة تبصر وغرور، وافتقار للروادع الدينية والوجدانية. وزين لهم الشيطان أنهم ظاهرون..

فلم تكن للخوارج في تلك المرحلة آراء، وعقائد تميزهم عن سائر الناس سوى تلك الشبهة التي أوقعهم الهوى، وحب الدنيا والشيطان في حبالها. ثم إن أهواءهم المختلفة، وجهلهم الفاضح، واندفاعاتهم الرعناء قد أسهمت في ارتجال أوهام مختلفة، كانت تهدف إلى تبرير جرائم أو نزوات دعاهم إليها الهوى، وسهل لهم الوقوع فيها ذلك الجهل، حيث غابت عن ساحة الممارسة كل الروادع الإيمانية والوجدانية..

وكانت حصيلة ذلك كله مجموعة من السقطات المخجلة والمشيئة، سميت باسم عقائد ومقولات، واعتبرت أساساً لمواقفهم وممارساتهم، وحركتهم السياسية، والعسكرية والدينية. مع أنها لم تكن سوى جهالات انتجتها الأهواء، ودعا إليها الجهل والغباء حسبما أشرنا إليه..

ونذكر في هذا الفصل بعضاً من ذلك، فنقول:

عقائد الخوارج لمحات وسمات:

ومهما يكن من أمر.. فإننا إذا استثنينا الإباضية، الذين فرضت ظروفهم تحديد معالم عقيدتهم، فإننا نلاحظ على الخوارج: أنهم «لم تكن لهم كذلك مجموعة منسقة من المبادئ، وتظهر لنا مبادئهم وكأنها آراء خاصة»^(١).

و «كانت تتعدل وتتطور وفق مقتضيات الحال، حتى وجدنا الخوارج في أواخر العصر الأموي يأخذون بمبدأ التقية. ويعمدون إلى الدعوة السرية المنظمة، كأسلوب يناوؤون به الحكومة الأموية»^(٢).

الخوارج وأهل السنة:

وقد يتعجب البعض من قول بعض المستشرقين: إن طالب الحق الذي خرج في أواخر الدولة الأموية: «أكد أنه لا اختلاف بين مذهب الخوارج ومذهب أهل السنة والجماعة في الجوهر»^(٣).

ولا ندري ما الذي دعاه إلى قول ذلك، ونحن نرى الفرق بين هذين الفريقين كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، ولا أقل من أن أهل السنة يترضون على علي وعثمان، ومعاوية وطلحة والزبير، وعائشة وعمرو بن العاص، وغيرهم، والخوارج يكفرون هؤلاء جميعاً، أو على الأقل لا يرضون

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٤.

(٢) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٩٠.

(٣) الخوارج والشيعة ص ١٠٧.

عنهم. بالإضافة إلى فروق كثيرة أخرى ستتضح إن شاء الله في هذا الفصل.

الخوارج والسبئية:

ولعل أغرب ما سمعناه وقرأناه هو: ما زعمه البعض، من أن هناك علاقة عقائدية وتاريخية - على الأقل - بين قادة الخوارج، وفرقة السبئية وذلك لمعارضة أولئك القادة لعثمان نفسه، واشتراكهم جميعاً في المسؤولية عن قتله^(١). وقد رد صابر طعيمة على هذا بأن الخوارج كانوا ينعتون الشيعة بالسبئية كما اعترف به هو نفسه^(٢).

ثم ذكر صابر طعيمة: أنهم كانوا نبتة إسلامية، وأن ربطهم بابن سبأ يهدف إلى أن يحكم التاريخ عليهم بأنهم بذرة فاسدة، بذرها اليهودي ابن سبأ^(٣).

ونريد أن نذكر القارئ هنا: بأن هذا الزاعم المتحذلق لم يوضح لنا ما هي المواضع العقائدية والتاريخية التي التقى فيها السبئية مع الخوارج، وهل ظهر الخوارج في عهد عثمان؟ أم في عهد علي «عليه السلام»؟!

ومن هم القادة من هؤلاء وهؤلاء الذين يتحدث عنهم هذا المؤلف؟! وهل يدخل فيهم عائشة وطلحة والزبير، وغيرهم ممن ألب الناس على عثمان، وشارك في قتله؟!

وكيف يمكنه أن يثبت وجود طائفة باسم السبئية في عهد عثمان.

(١) الإباضية ص ٣٢ عن الخوارج والشيعة ص ٣٨.

(٢) الإباضية ص ٣٢ عن الخوارج والشيعة ص ٣٨.

(٣) الإباضية ص ٣٢.

وهل مشاركتهم في المسؤولية عن قتل عثمان تجعل بين الفريقين - لو سلم وجودهما - علاقة عقائدية وتاريخية؟!

أليس قد شارك عامة الصحابة، وغيرهم من الذين جاؤوا من العراق ومن سائر البلاد في قتل عثمان، فهل يصح القول بأن بين هؤلاء جميعاً وبين الخوارج علاقة عقائدية؟!

الخوارج كفار مشركون:

ولا حاجة إلى إقامة الأدلة على كفر فرقة الخوارج، بعد أن وصفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية. وعن مصعب بن سعد قال: سئل أبي عن الخوارج قال: هم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وعن أبي مسروق، قال: سألتني أبو عبد الله عن أهل البصرة ما هم؟!

فقلت: مرجئة، وقدرية، وحرورية.

فقال: لعن الله تلك الملل الكافرة المشركة، التي لا تعبد الله على شيء^(١).

الرواية المزيضة:

وإن موقف أهل البيت «عليهم السلام» من الخوارج، الذي عبرت عنه رواية أبي مسروق الأنفة الذكر.. هو كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، وهذا الموقف يفرضه التصديق والانقياد لإخبار رسول الله «صلى الله عليه وآله» بمروقهم من الدين.

(١) الكافي ج ١ ص ٣٠١.

فلا مجال للإصغاء لما يرويه الخوارج أنفسهم، وآخرون ممن تابعوهم على ذلك، من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: إنهم ليسوا كفاراً ولا مشركين، بل هم إخواننا بغوا علينا. وقد تقدم الحديث عن ذلك في فصل: «تزوير الخوارج للحقائق»..

ولنبداً بذكر نبذة يسيرة من عقائد هذه الفئة، وسنرى كم هي بعيدة عن الصواب، وكم هي مجانبة لمقتضيات الفطرة والوجدان، وغريبة عن هدى القرآن، وما ثبت عن رسول الإسلام «صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين»..
فنقول:

القلقشندي، وعقائد الخوارج:

وقد سجل لنا القلقشندي بطريقة مميزة بعض ما يذهبون إليه في عقائدهم، فروى لنا أنهم يقولون:

«..والأجرت التحكيم.

وصوبت قول الفريقين في صفين.

وأطعت بالرضى مني حكم أهل الجور.

وقلت: في إمارة بني أمية عدل. وأن قضاءهم حق.

وأن عمرو بن العاص أصاب، وأن أبا موسى ما أخطأ.

واستبحت الأموال والفروج بغير حق.

واجترحت الكبائر والصغائر، ولقيت الله مثقلاً بالأوزار.

وقلت: إن فعلة عبد الرحمن بن ملجم كفر، وإن قاتل خارجة آثم.

وبرئت من فعلة قطام.

وخلعت طاعة الرؤوس.

وأنكرت أن تكون الخلافة إلا في قريش

وإلا.. فلا رويت سيفي من دماء المخطئين»^(١).

الله تعالى وصفاته لدى الخوارج:

وقد قال بعض الإباضية: من قال بلسانه: إن الله واحد، وعنى به المسيح، فهو صادق في قوله، مشرك بقلبه^(٢).

والخلفية من الخوارج قد خالفوا أهل السنة، فهم لا يرون: أن الخير والشر من الله تعالى^(٣).

والميمونية لا يرون أن الشر من الله تعالى^(٤).

والإباضية أباحوا قتل المشبهة، وسبي نسائهم وذرائعهم، واتباع مُدبرهم^(٥).
ويعتقد النفاية: أن الله هو الدهر^(٦).

(١) صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢٥ وراجع: جواهر العقود ج ٢ ص ٢٧٧.

(٢) الإباضية ص ٧٥ عن مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٩.

(٤) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٨.

(٥) الإباضية ص ٨٢.

(٦) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٥٨.

النبوة والنبى:

عن عبد الله بن مسلم المروزي قال: كنت أجالس ابن سيرين، فتركته، وجالست الإباضية، فرأيت كأني مع قوم يحملون جنازة النبي «صلى الله عليه وآله»، فأتيت ابن سيرين، فذكرته له، فقال:

ما لك جالست أقواماً يريدون أن يدفنوا ما جاء به النبي «صلى الله عليه وآله»؟! (١)

وبالنسبة للنبوة، فقد قال يزيد بن أبي أنيسة: «إن الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتاباً قد كتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى، ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن».

وفي نص آخر: «وليس هم الصابئة المذكورون في القرآن، ولم يأتوا بعد» (٢). وجوز الأزارقة: «أن يبعث الله نبياً يعلم أنه يكفر بعد نبوته، أو كان كافراً قبل بعثته» (٣).

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ هامش ص ٦١٧ عن ابن عساكر ج ١٥ ص ٢٢٧.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٥ والإباضية ص ٨٦ و ٧٢ عن الملل والنحل ج ١ ص ٣٦ و ١٢٢ وراجع: نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٧٢ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ١٣٥ و ٩٤ وتبصرة العوام ص ٤١ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٧ وعن مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧١.

(٣) الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ عنه والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٩.

«وهو قول ابن فورك من الأشعرية، لكنه زعم أن هذا الجائر لم يقع»^(١).
 وقال بعض الإباضية: قد يجوز أن يبعث الله نبياً بلا دليل^(٢).
 ومن فرق الإباضية فرقة الحسينية، قالوا: يسع جهل معرفة محمد «صلى الله عليه وآله»، وليس على الناس إلا معرفة المعبر عنه^(٣).
 وزعم يزيد بن أبي أنيسة: «أنه يتولى من شهد بالنبوة لمحمد من أهل الكتاب، وإن لم يدخلوا في دينه، ولم يعملوا بشريعته، وزعم أنهم بذلك مؤمنون»^(٤).

إنكار شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله:

وكانوا ينكرون شفاعة الرسول «صلى الله عليه وآله» يوم القيامة^(٥).
 ولعل الوهابيين قد تأثروا بهم في ما ذهبوا إليه، وكذلك بعض المتأخرين الذين ينسبون أنفسهم إلى الشيعة، وقد ظهر أنهم ليسوا منهم..

الخوارج والتبرُّك بآثار الأنبياء عليهم السلام:

وتشير بعض النصوص إلى أن الخوارج ينكرون التبرُّك بآثار الأنبياء والصالحين،

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٧ ص ٩.

(٢) الإباضية ص ٧٥ عن مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ١٠٧.

(٣) الإباضية ص ٦٢.

(٤) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٠٤ عن مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧١ والخوارج عقيدية وفكراً وفلسفة ص ٩٥ عنه أيضاً.

(٥) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٥ عن الإيوان لابن تيمية (ط سنة ١٣٢٥ هـ القاهرة)

ص ١٤٢ و ١٤٣.

تماماً كما هو مذهب الوهابية وابن تيمية، فبئس الخلف لبئس السلف: ﴿إِنَّكَ
إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾^(١).

وبعد أن ذكر الذهبي تبرك أحمد بن حنبل الذي يتسبب إليه الوهابية،
بشعرة من شعر النبي «صلى الله عليه وآله»، يقبلها، ويستشفي بها، وبقصعة
النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان يشرب من ماء زمزم يستشفي به، بعد أن ذكر
الذهبي ذلك، قال: «أين المتنطع المنكر على أحمد، وقد ثبت أن عبد الله سأل أباه
عمن يلمس رمانة منبر النبي «صلى الله عليه وآله»، ويمس الحجرة النبوية.
فقال: لا أرى بذلك بأساً، أعاذنا الله وإياكم من رأي الخوارج والبدع»^(٢).

السياسة الحجاجية الأموية:

والمنع من التبرك بآثار رسول الله «صلى الله عليه وآله» سياسة أموية
حجاجية، أظهرها الحجاج بصورة فجّة، ووقحة، وتبعه الآخرون على
ذلك، فإنه هو الذي رمى الكعبة - أعزها الله - بالمنجنيق، بل لقد روي: «أنه
رماها بالعذرة «لعنه الله» وأخزاه»^(٣).

وكان الحجاج يريد أن يضع رجله على مقام إبراهيم، فمنعه ابن الحنفية
وزجره^(٤).

(١) الآية ٢٧ من سورة نوح.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٢١٢.

(٣) عقلاء المجانين ص ١٧٨ والفتوح لابن أعثم ج ٢ ص ٤٨٦ وذكروا: أنه رماها بالعذرة.

(٤) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٤٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٥ ص ٨٤ وربيع

وكان خالد القسري يسمي زمزم أم الجعلان^(١).
 وله قضايا صريحة في إهانة الكعبة لا مجال لذكرها، فلترجع في مظانها^(٢).
 وأنفذ الوليد الأموي رجلاً مجوسياً، ليبيّن له على الكعبة مشربة للخمر.
 كما أنه في عهد هشام قد ذهب إلى مكة، ومعه خمر، وقبة ديباج على قدر
 الكعبة، وأراد أن ينصبها عليها، ويجلس فيها، فخوفه أصحابه من ثورة الناس
 حتى امتنع^(٣).
 وها نحن نجد زعيم الوهابية يقول عن النبي «صلى الله عليه وآله»: ما
 هو إلا طارش^(٤).
 ثم يأتي من ينسب إلى مذهب أهل البيت «عليهم السلام»، ويقول لمن
 يسأله عن مسك الحديد لضريح النبي «صلى الله عليه وآله» والإتهام بالشرك:
 «ما الفائدة التي نستفيدها من أن نمسك شباكاً، أو نمسك الحديد»؟!^(٥).
 قال هذا الكلام في كتاب: أجرى عليه بعض تلاميذه بعض الملاحظات
 بإشرافه.

الأبرار ج ١ ص ٤٣.

(١) الأغاني ج ١٩ ص ٦٠ و ٥٩ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ٨٢.

(٢) الأغاني ج ١٩ ص ٦٠ و ٥٩.

(٣) بهج الصباغة ج ٥ ص ٣٤٠ عن الطبري، والأغاني.

(٤) كشف الإرتياب ص ١٣٩ وراجع ص ٤٣٠ عن خلاصة الكلام ص ٢٣٠.

(٥) مجلة الموسم: العددان (٢١ و ٢٢) سنة ١٩٩٥ م ص ٢٩٩.

الإمام والإمامة عند الخوارج:

قال النكارية - وهم فرقة من الإباضية - «بعدم فرضية الإمام»، وبعدم جواز ولاية المفضل، مع أن أئمة الإباضية كانوا يقولون: إنه تجوز ولاية المفضل مع وجود الأفضل، إذا وجدت في المفضل مزايا ترجحه ليست للأفضل^(١). ويتحدث البعض عن توفر المصادر حول الإمامة عند الإباضية، وعدم توفرها لدى الخوارج لندرة تدوين بحوثهم في هذا الموضوع، ويقول: «يبدو: أن ندرة مصادرهم لازمتهم تاريخياً، ولعل ذلك بسبب عدم استواء المذهب فكرياً، بالرغم من العنف السياسي الذي لازمهم فترة طويلة»^(٢). وقال فلهوزن، وهو يتحدث عن الخوارج: «ولهذا فمن الصحيح موضوعياً، وإن لم يصح شكلاً أن يؤخذ عليهم أنهم لا يريدون الإقرار بأية إمارة»^(٣). وأي فكرة تدعي دعاوى كهذه لا بد أن تحطم الجماعات التي أقيمت لأجلها»^(٤). وقال السيد نعمة الله الجزائري عن المحكّمة الذين خرجوا على أمير المؤمنين «عليه السلام»: «لم يوجبوا نصب الإمام، بل جوزوا أن لا يكون

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٦٧ و ٥٢ و ٥٣ عن الإباضية في الجزء ص ٥٦ وعن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٦٢ و ٣٦٣.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٣٢. وأشار في الهامش إلى المصادر التالية: البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٦ وتطهير الجنان للهيثمي ص ٤٤ وتلييس إبليس ص ٩٩.

(٣) أشار في الهامش إلى الكامل ص ٥٥٥ سطر ١٨.

(٤) الخوارج والشيعة ص ٤٤.

في العالم إمام»^(١).

وقال البعض أيضاً: «وفياً نعتقد - والله أعلم -: أن جمهورهم على عدم القول بوجوب نصب الإمام، اكتفاءً بمقولتهم: «لا حكم إلا لله»، وعدم الوجوب على الإطلاق، لا على الله، ولا على الناس»^(٢).

وقال المعتزلي: «إن الخوارج كانوا في بدء أمرهم يقولون ذلك، ويذهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام، ثم رجعوا عن ذلك القول لما أمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي»^(٣).

وقال غيره: «..وحتى عصر شيخ الإسلام ابن تيمية «رحمه الله» لم يكن للخوارج في هذا الموضوع مدونات يمكن الاطلاع عليها، تحدد جوهر معتقدتهم السياسي والديني في موضوع الإمامة.

ولذا يقول «رحمه الله»: وأقوال الخوارج إنما عرفناها من نقل الناس عنهم، لم نقف لهم على كتاب مصنف، كما وقفنا على كتب المعتزلة والرافضة»^(٤).

ومن مبادئ النجدات: «أنهم يرون أن إمامة الإمام ليست واجباً وجوباً شرعياً، بل هي واجب وجوباً مصلحياً. أي أنهم يرون أنه إذا أمكن للمسلمين أن يتواصلوا بينهم بالحق، وينفذوه، فهم في هذه الحالة ليسوا في حاجة إلى

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٥.

(٢) الإباضية ص ١٣٣ و ١٣٤.

(٣) فجر الإسلام ص ٢٦٠ عن شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٠٩.

(٤) الخوارج عقيدة ومذهباً ص ١٣٣ وأشار إلى مجموعة الرسائل الكبرى ج ١ ص ٣٧.

إقامة إمام، ما داموا قد تناصفوا فيما بينهم، فإذا أقاموه جاز»^(١).
 وبتعبير آخر: «قالت النجدية من الخوارج: الأمة غير محتاجة إلى إمام ولا غيره، وإنما علينا وعلى الناس، أن نقيم كتاب الله عز وجل فيما بيننا»^(٢).
 وقال الربيع بن حبيب الإباضي: «...يجوز تولية رجل من المسلمين، إذا كان فيهم من هو أفقه منه»^(٣).
 والربيع هذا هو فقيه الإباضية، وصاحب الجامع الصحيح، المسند الإباضي المشهور.
 وفي المواقف: «قالت الخوارج: لا يجب نصب الإمام أصلاً»^(٤).
 واستدلوا على عدم وجوب نصب الإمام: بأن نصبه يثير الفتنة، لأن الأهواء مختلفة، فيدعي كل قوم إمامة شخص، فيقع التشاجر والتناحر، والتجربة شاهدة بذلك»^(٥).
 ومن الواضح: أن دليلهم هذا لو صح، فإنما يصح لو كان نصب الإمام

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٦ و ٧٧.

(٢) فرق الشيعة ص ٢٩ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٧ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة

ص ١٢٧ ومقالات الإسلاميين ج ٢ ص ٣٣ ونقل أيضاً عن الملل والنحل ج ١ ص ١٦٧

و ١٦٨ وراجع: الإباضية ص ١٣٣ و ١٣٤ عن المواقف ج ٨ ص ٣٩٣.

(٣) الإباضية عقيدة ومذهباً وفلسفة ص ٥١.

(٤) الإباضية ص ١٣٣ عن المواقف، وعن الصواعق المحرقة ص ٨ وعن الملل والنحل

ج ١ ص ١١٦.

(٥) الإباضية ص ١٣٤ عن المواقف ج ٨ ص ٣٤٨ وعن الصواعق المحرقة ص ٨.

يعود إلى الناس الذين يختلفون في أهوائهم، وفي آرائهم، وانتماءاتهم، أما إذا كان الله هو الذي يختار لعباده، فليس لأحد من الناس أن يعترض، أو أن يرشح، أو أن ينصب، أو أن يختار، أو أن يوالي غير من نصبه الله سبحانه.

الخوارج والمهدية:

إنه وإن لم تصرح كثير من الفرق الخارجية بشيء حول اعتقادهم بالمهدية أو عدمه، إلا أن بعضها الآخر قد صرح بأنه يذهب إلى هذا الاعتقاد بلا ريب. وقال ألفرد بل: «إن حركة الخوارج لم تنطفئ بغزو الشيعة في مستهل القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، بل استردت قوتها بعد ذلك بعدة سنوات، وهددت - بزعامة أبي يزيد الملقب بصاحب الحمار - المهدية نفسها، وهي عاصمة المهدي الشيعي، في محاولة أخيرة، قام بها البربر في سبيل استقلالهم سنة ٩٤٥م».

قال عبد الرحمن بدوي (عن مخلد بن كيداد اليغربي): «نشأ في مدينة توزون من بلاد الجريد، وادّعى أنه ابن المهدي...».

إلى أن قال: «وكان نكاريًا، يكفر أهل السنة، ويستحل أموالهم ونساءهم، وثار على محمد عبید الله المهدي في جهات طرابلس سنة ٣٣٣ هـ. وحاصر طرابلس، ودخل القيروان».

إلا أن يقال: إن ادّعاءه النبوة للمهدي إنما كان قبل أن يصير من الخوارج. ولكنه احتمال بعيد..

والظاهر: أنه قد نشأ خارجياً منذ البداية، فليتأمل في ذلك وليراجع.

إمامة المرأة:

وينسب لبعض فرق الخوارج وهم الشيبية تجويز إمامة المرأة. واستدل على ذلك: بأن غزالة (أم شبيب الخارجي) تولت إمامة الخوارج بعد ابنها شبيب^(١).

بل إن ابنها شبيباً هو الذي استخلفها، فدخلت الكوفة، وقامت خطيبة، وصلت الصبح بالمسجد الجامع، فقرأت في الركعة الأولى البقرة، وفي الثانية آل عمران^(٢).

أنهية الجور:

ومع أن من مذهب الخوارج وجوب محاربة حكام الجور بلا هوادة.. إلا أن بوادر التساهل في هذا الأمر، قد ظهرت في وقت مبكر، حيث صار عدد من زعماء الخوارج يتعاملون مع حكام الجور، بل ونجد بعضهم يقدم لهم النصيحة، ومنهم من عمل لهم كما تظهره فصول هذا الكتاب.. فلا حاجة إلى الإعادة هنا.

إذا كفر الإمام كفرت الرعية:

ومن الغريب هنا ما ذكروه عن العوفية، وهم فرقة من البهيسية، من أنهم قالوا: «إذا كفر الإمام، فقد كفرت الرعية، الغائب منهم والشاهد»^(٣).

(١) الإباضية ص ١٣٥ عن الفرق بين الفرق ص ١١٣ وراجع: شذرات الذهب ج ١ ص ٨٣.

(٢) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٩٩ عن الخطط للمقريزي ج ٤ ص ١٨٠.

(٣) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٩٨.

مع أن الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (١).

ويقول سبحانه: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (٢).

الموقف من الصهرين ومن الصحابة:

وقد رأينا بعض علماء الإباضية يقول: «يجب احترام الصحابة، وقول الحق فيهم» (٣).

وهذا يخالف قولهم في العديد منهم كطلحة، والزبير، وعائشة، وغيرهم. لكنهم لم يلتزموا بما قاله الأزارقة، حيث كفروا علياً، وصوبوا قتل ابن ملجم له، وكفروا عثمان، وطلحة، والزبير، وعبد الله بن عباس (٤).

فخالفوه في ذلك، وخففوا من لهجتهم حتى ليقول صابر طعيمة عنهم: «الذي نعتقه: أن جمهور الإباضية من خلال ما كتب علماءؤهم ومؤرخوهم لا يرون في الخليفة عثمان (رض) وبقية أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» غير ما يرى جمهور المسلمين، بل إن أئمتهم يعنون عناية طيبة بالصحابين علي وعثمان رضي الله عنهما، تستحق التقدير. وإسحاق بن أطيّش الإباضي في رسالته النقد الجليل في الرد الجميل يسجل ثناءً ودعاءً للخليفة عثمان بن

(١) الآية ١٨ من سورة فاطر و ١٧ من سورة الزمر و ١٦٤ من سورة الأنعام، وراجع: الآية ٣٨ من سورة النجم و ١٥ من سورة الإسراء.

(٢) الآية ١٠٥ من سورة المائدة.

(٣) العقود الفضية ص ٦٣

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ عنه.

عفان (رض)»^(١).

ونقول:

لعل هذا هو أحد موارد عملهم بالتقية.. وإلا، فإن الإباضية يصرون على تضليل عثمان، وعلي «عليه السلام» بعد التحكيم، وعلى تصويب أهل النهروان في حربهم علياً^(٢).

وقد قال ابن بطوطة: «(إنه رآهم في عمان) إذا أرادوا ذكر علي كنوا عنه بالرجل، ويرضون عن الشقي اللعين ابن ملجم، ويقولون فيه: العبد الصالح، قانع الفتنة»^(٣).

واللافت هنا هو: موقفهم العجيب من الحسين «عليهما السلام»، حيث يعتبرون قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وسم الإمام الحسن «عليه السلام»، من الأمور العظيمة^(٤).

عذاب القبر:

وقد حكى الأشعري عن الخوارج: أنهم كانوا ينكرون عذاب القبر^(٥). وقد يكون سبب إنكارهم هذا: هو أن هذه القضية إنما تستفاد من النصوص

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٨ و ٨٧.

(٢) راجع: الاستقامة لمحمد بن سعيد الكندي ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ و ١٢٠ و ٥٥ و ٦٦.

(٣) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٧٢ والنص والاجتهاد ص ٩٩ عنه.

(٤) العقود الفضية ص ٢١٣.

(٥) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٦ والإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٢٥.

الواردة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن للخوارج معرفة بالرواية كما سيأتي.

سورة يوسف ليست من القرآن:

وقالت الميمونية: ليست سورة يوسف من القرآن^(١) ونسب هذا القول إلى العجاردة أيضاً^(٢).

الخوارج ضد تأويل القرآن:

وكان أكثر الخوارج - كما يقول القلقشندي - ضد تأويل القرآن^(٣). وهذا الاتجاه هو الذي فرض نفسه على الوهابيين وعلى سلفهم من أهل الحديث.. حتى إن بعضهم منع من المجاز، وعبر عنه بالطاغوت^(٤).

سهولة التكفير عند الخوارج:

وإننا في حين نجد المرجئة يقولون: «لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع

(١) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٨ وراجع: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٦ عن الكرايسي،

والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٦٢ و ١٣٤ والعتب الجميل ص ٥٣ عن نقد عين الميزان

لليطار، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٥ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٨ وراجع:

الإباضية ص ٣٦ عن الملل والنحل ج ١ ص ١٢٩ والإسلام لهجري ماسيه ص ١٨٧-١٨٩.

(٢) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٦ والإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٦ عن

الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨.

(٣) صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢٢ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٤ عنه.

(٤) راجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية.

مع الكفر طاعة»^(١).

لكن الأزارقة قد «أخرجوا مرتكب الكبيرة عن دائرة الإسلام»^(٢)، بل يرمونه بالشرك أيضاً^(٣).

لكن فرقة أخرى من الخوارج لا تكفر مرتكب الكبيرة في ديار هجرتهم إلا إذا كان قاتلاً لأحدهم^(٤).

أما النجدات، فيقولون: «من نظر نظرة صغيرة أو كذب كذبة صغيرة، ثم أصر عليها فهو مشرك. وأن من زنى، وسرق، وشرب الخمر غير مصر عليه فهو مسلم، إذا كان من موافقيهم»^(٥).

وقد رأى الأزارقة: أن سائر المسلمين مخلصون في النار^(٦).

وسياقي المزيد من النصوص الدالة على تكفيرهم المسلمين، واستحلالهم قتلهم.

(١) الإبانة للأشعري ص ٢.

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ وراجع: الأنوار النعمانية ج ١ ص ٢٤٧.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٧٣ وراجع: الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٧ عن اليزيدية.

(٤) الكامل في الأدب ج ٣ ص ١٥٣ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ عنه وعن المصنف المجهول ص ٩٤.

(٥) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٦ و ٧٧.

(٦) الملل والنحل ج ١ ص ١٢١ و ١٢٢ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ عنه.

بين القدرية والخوارج:

وقبل أن نستعرض بعض التفاصيل في عقائد الخوارج نشير إلى ما روي عن رجل عن أبي عبد الله «عليه السلام» قال: لعن الله القدرية، لعن الله الخوارج، لعن الله المرجئة، لعن الله المرجئة.

قال: قلت: لعنت هؤلاء مرة مرة، ولعنت هؤلاء مرتين؟

قال: إن هؤلاء يقولون: إن قتلنا مؤمنون، فدمائنا متلطخة بشياهم إلى يوم القيامة. إن الله حكى عن قوم في كتابه: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (١).

قال: كان بين القاتلين والقائلين خمس مائة عام، فالزمهم الله القتل برضاهم ما فعلوا (٢).

وذلك يدل على: أن اعتقاد الخوارج في مخالفاتهم الذين يكفرونهم يهون عليهم ارتكاب جريمة القتل في حقهم، حتى قتل أهل البيت «عليهم السلام». وأما من يعتقد بأن مخالفته من المسلمين، فإن إقدامه على قتل من يراه مسلماً يصبح أكثر قبحاً ويحتاج إلى المزيد من الجرأة على الله سبحانه، وعلى أحكام دينه، ولا يقدم على ذلك إلا بعد أن يبلغ الغاية في القسوة والجحود والطغيان والبغي.

(١) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٣٠٠ و ٣٠١.

المرجئة والخوارج:

لقد أدرك الناس خطر الخوارج بصورة عميقة، وقد أصبحوا يجعلونهم مقياساً لدرجة الخطورة في الدعوات المنحرفة، وقد كان إبراهيم النخعي يقول: لأنا على هذه الأمة من المرجئة أخوف عليهم من عدتهم من الأزارقة^(١).

قسوة التعاليم:

ولعل من أهم الآثار التي نشأت عن تسرعهم في التكفير، ثم المبادرة لاتخاذهم الموقف القاسي والشرس ضد من يكفرونه، أن هذه العقيدة قد استطاعت أن تفصلهم تماماً عن كل الآخرين. وتجعلهم أكثر تصلباً في مواقفهم، بعد أن لم يعد هناك أية فرصة للنقاش في أية مفردة من المفردات التي كانت تحكم تفكيرهم، وتهيمن على مواقفهم، وتدفعهم لممارسة أشد أنواع العنف في حق خصومهم.

حتى أصبح الشباب الذين ينساقون وراء شعاراتهم أسرى تلك الشعارات والأفكار، فهم يعيشونها بانفعال وتشنج يمنعهم من ممارسة أي نوع من أنواع التفكير الهادئ، والموضوعي والرصين. وتمنعهم من سماع وجهات نظر الآخرين، الذين يرون أنهم كفرة، لا بد من استئصال شأفتهم، فهم ليسوا معنيين بأي شيء يفكرون فيه، ولا مهتمين بالتفكير بأي مبرر يمكن أن يرضوه لأنفسهم مهما كان نوعه.

(١) سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٥٢٣ وفي هامشه عن ابن سعد ج ٦ ص ٢٧٤.

رغم القسوة:

ورغم قسوة تعاليمهم، وشراستهم في التعاطي مع خصومهم، فإنهم هم أنفسهم قد تخلوا عن كثير من تعاليمهم - كما سنرى -.

كما أنهم في المجال العملي لم يصبروا على المكاره، بل التجأوا إلى أسلوب التقية، فمارسوه بصورة تصل أحياناً إلى حد الإسفاف، والاستهتار، الذي يرفضه الضمير، ويأباه الوجدان، كما سيتضح في الفقرة التالية..

جنون التقية:

إنه رغم أن الخوارج الأولين كانوا يحرمون التقية، ولا يجيزونها في قول أو عمل^(١).

فإن أتباع زياد بن الأصفر قد جوزوها في القول دون العمل^(٢).

وقال النجدات بجوازها^(٣).

وقد أمر أبو بلال امرأة من بني يربوع بالتقية، وقال لها: «إن التقية لا بأس بها، فتغيبي، فإن هذا الجبار قد ذكرك»^(٤).

وأجاز بعض زعماء الصفرية تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية، دون العلانية^(٥).

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٥.

(٢) إعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص ٦٥ وعنه في الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٩.

(٣) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٦.

(٤) العقود الفضية ص ١١٠ و ١١٢.

(٥) إعتقادات فرق المسلمين والمشركون ص ١٢٢ والملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ١٤٣.

وكذلك، فإن الضحاكية - وهم فرقة من الإباضية - قد اجازوا ذلك الزواج، وأضافوا إلى ذلك قولهم: كما يسع الرجل منهم أن يتزوج المرأة الكافرة من قومه في دار التقية^(١).

وفرقة الحسينية - من الإباضية - أباحوا الزنى، وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك، يتقي به، ويغرم بعد ذلك^(٢).

وقال النكارية - وهم من الإباضية -: «يجوز شرب الخمر على التقية»^(٣).

وستأتي قضية ابن إياض والسيد الحميري حين بلغه أن عبد الله بن إياض رأس الإباضية، يعيب على علي «عليه السلام»، ويتهدد السيد بأن يذكره عند المنصور بما يوجب القتل، وكان ابن إياض يظهر التسنن، ويكتم مذهب الإباضية.

فكتب إليه السيد قصيدة طويلة يذكر فيها فضائل علي «عليه السلام»، فامتعض ابن إياض منها جداً، وأجلب في أصحابه، وسعى بها إلى الفقهاء والقراء، فاجتمعوا وساروا إلى المنصور.

ثم تذكر القصة ما اتهموه به، ودفاع السيد عن نفسه، وإخراج ابن إياض أمام المنصور حيث أمر بحبسه، فمات في الحبس، ثم أمر بمن كان

والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٩.

(١) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧٥ و ١٧٦ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٩٦ عنه.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٥٤ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٦٣.

(٣) الإباضية ص ٦٢.

معه فضربوا بالمقارع، وأمر للسيد بخمسة آلاف درهم^(١).

ومما ذكرناه يتضح: أن قول البعض: «وجدنا الخوارج في أواخر العصر الأموي يأخذون بمبدأ التقية، ويعمدون إلى الدعوة السرية كأسلوب يناوئون به الحكومة الأموية»^(٢) غير دقيق.. فإن التقية قد بدأت منهم منذ بدايات ظهورهم..

تأثيرات الإباضية بالمعتزلة في عقائدهم:

هذا.. وربما يتصور أحياناً تأثر الإباضية في بعض أصولهم العقائدية بالمعتزلة^(٣)، وذلك بملاحظة مخالفتهم لأهل السنة في أصول عقائدية هامة، مثل مسائل التشبيه، والتجسيم. وعدم رؤية الله تعالى في الآخرة الذي هو رأي جمهور الخوارج أيضاً والجبر والقدر^(٤). ومسألة خلق القرآن^(٥)

(١) أخبار السيد الحميري للمرزباني ص ٥٣ و ٥٤.

(٢) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٩٠.

(٣) راجع: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٧ وليراجع ص ٣٣٤ والإباضية عقيدة ومذهباً ص ٧٢ و ٦١ و ٧٣ و ٨٠ و ٩٥ و ١٠١ و ١٤٧ والعقود الفضية حول نفي التشبيه ص ٢٨٧ وحول كون صفات الله عين ذاته ص ٢٨٥ وحول رؤية الله وحول عدم رؤيته في الآخرة ص ٢٨٧ وحول نفي الجبر ص ١٤٤ وحول تولية المفضول ص ١٥٥.

(٤) إلا أن «من مذهب شيبان أنه قال بالجبر الخ..» الملل والنحل ج ١ ص ١٣٣.

(٥) فإن جميع الخوارج يقولون بخلق القرآن راجع: المقالات للأشعري ج ١ ص ٢٠٣ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٣ عنه والإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٠٠ و

حتى لقد قال نلينو: «إن الجزء الأكبر من مذهب الإباضية في شمال إفريقيا إذن معتزلي»^(١).

هذا.. ولكن الذي يبدو لنا: أن الأمر ليس كذلك، إذ إن الخوارج ومنهم الإباضية لم يتح لهم الاختلاط بالمعتزلة، ولا عايشوا التيارات الفكرية بصورة فعالة.. كما أن تفرقهم في البلاد، وبُعدهم عن العواصم الإسلامية قد جعلهم أقل تعرضاً لذلك المد العارم للأحاديث (الإسرائيليات)، المنسوبة للنبي «صلى الله عليه وآله» ولبعض صحابته، وبقوا في تعاملهم مع النصوص القرآنية على طبعهم العربي الساذج. ولأجل ذلك نقول:

إن الظاهر هو: أن الخوارج قد توصلوا إلى آرائهم العقائدية تلك بانفسهم، ومن دون اعتماد على الغير، أو تأثر بأحد.

١٠٣ و ١٠٤ وراجع: مقدمة الأستاذ محمد عمارة لكتاب: رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٥٣ حيث ذكر عن المستشرق نلينو بعض أوجه الشبه بين فكر المعتزلة وعقيدة الإباضية استناداً الى كتاب: العقيدة الإباضية لعمر بن جميع الإباضي، الذي عاش في القرن التاسع الهجري، وراجع أيضاً: دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٦ وضحي الإسلام ج ٣ ص ٣٣٤ والإباضية عقيدة ومذهباً والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٩٢.

(١) مقدمة محمد عمارة لكتاب رسائل العدل والتوحيد ج ١ ص ٥٣ وفي الهامش عن: بحوث في المعتزلة ص ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٨ وراجع: دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٦.

بل نجد البعض قد تنبه إلى هذا الأمر لذلك فهو يعكس القضية، ويقول: «لاحظ الدارسون حديثاً.. العلاقة الوثيقة بين عقائد الإباضية والمعتزلة. ويمكن أن نقول أيضاً: إن المعتزلة استوحوا الخوارج في بعض المسائل..»^(١). مع العلم: «أننا لا نعرف فقه الخوارج وعقائدهم في مجموعها إلا عند الإباضية»^(٢)، لأنهم هم الذين استمرت نحلتهم، ودونت عقائدهم وفقههم. ونجد هذا التصارب في الآراء في هذا التأثير والتأثير قد سرى إلى زعيم الإباضية نفسه.

ففي حين نجد من يقول: إن عبد الله بن إياض قد رجع إلى الاعتزال. حتى قال أبو القاسم البلخي: والذي يدل على ذلك: أن أصحابه لا يعظمون أمره^(٣). نجد بعضهم الآخر يقول: إنه رجع إلى قول الثعالبة من فرق الخوارج «فبرئ منه أصحابه، فهم لا يعرفونه اليوم. وقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنهم»^(٤)، فما عرفه منهم أحد^(٥).

ثم أنكر ذلك المؤرخ الإباضي علي يحيى معمر حيث قال: «لم يزعم أحد من الإباضية: أن عبد الله بن إياض رجع إلى قول الثعالبة، ولا يوجد

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٥.

(٣) الحور العين ص ١٧٣.

(٤) لعل الصحيح: عنه. أي عن ابن إياض.

(٥) الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٩١.

أحد من الإباضية يبرأ منه، فهم مجمعون على ولايته، ويعتبرونه من أئمة المسلمين، ومن كبار التابعين»^(١).

بل يدّعي الإباضية: أن ابن إياض قد فارق جميع الفرق الضالة، وعد منهم الخوارج^(٢).

وهكذا يتضح: أن دعوى تأثر الإباضية بالمعتزلة تقابلها دعوى تأثر المعتزلة بالإباضية. وإن كان ظاهر الحال يقتضي صحة الدعوى الأولى.

وذلك بملاحظة الخلاف حول تقلبات ابن إياض نفسه، في الناحية العقائدية حسبما أشرنا إليه آنفاً.

فرقة الإباضية والخوارج:

قد عرفنا فيما سبق: أن إحدى فرق الخوارج، وهي فرقة الإباضية تمتاز عن سائر فرق الخوارج بفقها وعقائدها، وتختلف عنهم ومعهم، وقد ظهرت ملامح هذا الاختلاف في كثير من الموارد التي سجلناها فيما سبق، حتى قال البعض في ما يرتبط بموقع الإباضية من سائر فرق الخوارج: «..والخلاف الذي بين فرق الخوارج من جانب، وفرقة الإباضية وحدها من جانب آخر، هو أعلى خلاف فيما بين الخوارج. وهذا الخلاف قد جعل بعض المؤرخين الإباضيين المحدثين لا يعد فرقة الإباضية بما انتهى إليه فقها، وجملة معتقدها من الخوارج»^(٣).

(١) الإباضية ص ٤٦ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٥٤.

(٢) العقود الفضية ص ١٢١.

(٣) الإباضية ص ٣٥.

بل لقد قيل: «إن معظم الكتاب والمؤرخين الإباضيين، فضلاً عن الأئمة منهم ينكرون علاقة المذهب تاريخياً بالخوارج»^(١).
ويُدّعي الإباضية: أن إمامهم عبد الله بن إباح قد فارق جميع الفرق الضالة، وعدّ منهم الخوارج^(٢).

تَنَكُّرُ الإباضية حتى للإسم:

وقال عامر النجار: «..الإباضية غاضبون ممن يعتبروهم فرقة من الخوارج، ويقولون: إنما هي دعاية استغلّتها الدولة الأموية لتنفير الناس من الذين ينادون بعدم شرعية الحكم الأموي».

كما أن للإباضية العديد من المواقف ضد الخوارج^(٣).
وأصبح لفظ الخوارج مستقبحاً عندهم إلى درجة كبيرة «ثم زاد استقباحه حين استبد به الأزارقة والصفورية»^(٤).

(١) الإباضية ص ١٤٥.

(٢) العقود الفضية ص ١٢١.

(٣) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨١.

(٤) العقود الفضية ص ٧٠ وراجع ص ١٦٧.

الفصل الرابع:

الفقه.. وأصوله..

للتوضيح فقط:

إن ظهور الخوارج، وإن كان قد يبرر على أنه بسبب شبهة أو خطأ في فهم أمر ديني.. ولكن صبغتهم في بادئ الأمر كانت سياسية محضة، ثم إنهم في عهد عبد الملك بن مروان مزجوا تعاليمهم السياسية بأبحاث لاهوتية، كما يقوله البعض^(١).

ثم جاء الإباضية بعد ذلك؛ فسنحت لهم الفرصة لتنظيم عقائدهم، وفقهم أكثر من غيرهم من فرق الخوارج.

وتوضيحاً لذلك نقول:

إن من يلاحظ الأحداث التاريخية، والاحتجاجات المتبادلة في الصدر الأول، يجد: أمر الخوارج قد بدأ من خلال فهمهم الخاطيء - لو أحسن الظن بهم - لمسألة بعينها، هي قضية التحكيم، وكان المفروض أن يقتصر خلافهم واختلافهم على هذه القضية بالذات. ولكن رأينا أنهم فيما بعد ازدادوا بعداً عن المسار العام، وصارت تظهر لهم أقاويل في العديد من المسائل.

والدارس لحال هذه الفئة يلاحظ: أنهم كانوا يعتمدون على فهمهم الخاص

(١) فجر الإسلام ص ٢٥٩.

للآيات القرآنية، وعلى استنباطاتهم العقلية المحدودة، في مجال التحديدات العملية للتصرفات والمواقف التي كانت تفرض نفسها - آنياً - عليهم، حيث كانوا يواجهونها باستفادات مرتجلة وسريعة، وما أكثر ما تكون سطحية، تزجها الميول، والعواطف، والأحاسيس الشخصية، ثم لا تلبث أن تتحول إلى مبدأ، وعقيدة، تخاض من أجلها اللجج، وتبذل في سبيلها المهج، وتزهق النفوس والأرواح.

ثم تصير سبباً في حدوث انشقاقات جديدة في صفوفهم، وتنشأ - من ثم - فرقة، أو فرق على الساحة، يبرأ بعضها من بعض. ويستحل هؤلاء دماء أولئك، وبالعكس. حتى لنجد زيد بن جندب يهني أعداء الشراة من المحليين، بعد أن تفرق الأزارقة، وأصابهم التجابن، وتلهّوا باللعب دون الجد؛ فيقول:

قل للمحلّين قد قرت عيونكم	بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناساً على دين، ففرّقنا	قرع الكلام، وخلط الجدّ باللعب
ما كان أغنى رجالاً ضل سعيهم	عن الجدال، وأغناهم عن الخطب
إني لأهونكم في الأرض مضطرباً	مالي سوى فرسي والرمح من نشب ^(١)

ثم إن تحريمهم العمل بالتقية الذي كان كثيراً ما يسقط تحت تأثير واقع الحروب القاسية التي كانوا يخوضونها، كان هو الآخر من أسباب إحداث تمزقات فكرية وعقيدية تنتهي بتكفير بعضهم بعضاً، ثم مواجهات حامية

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨٠.

لبعضهم البعض..

أضف إلى ذلك: أن إيجابهم الخروج ضد الحكام وضد الكافرين إذا انضم إلى حكمهم بتحريم العمل بالتقية، فإنه كثيراً ما ينتج ثورات ارتجالية لم تبلغ درجة النضج، ولا حظيت بالإعداد والاستعداد الكافي.

الخوارج.. والعلم:

إن من يراجع قائمة مؤلفات علماء الإسلام في العالم الإسلامي، يجدها لا تقع تحت عد، ولا يحيط بها حصر. وقد شاركت مختلف الفرق الإسلامية وغيرها في التأليف والتصنيف بالمستوى المقبول والمعقول..

غير أن الخوارج لم يكن لهم حظ يذكر في هذا الاتجاه، فلم يكن ليخطر لهم على بال أن يشاركوا في النشاط الفكري والثقافي.. وكأن بينهم وبين هذا الأمر حالة من المنافرة السافرة. وقد حاول البعض تفسير ذلك فجاء بما لا ينفع ولا يجدي، ولا يصح، فقال:

«..وفيما نعتقد: أن السر وراء ندرة كتب الخوارج بينما توفر بين صفوفهم الشعراء والخطباء، هو أنه بجانب عدم استواء المذهب في هذا الموضوع يوجد عامل التكتّم الشديد، والحذر من الناس، خشية أن يقع في أيديهم شيء يجمع قواهم ضد الخوارج، أو ينفر الناس منهم إلخ..»^(١).

وهذا الكلام مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنهم كانوا يجاهرون بعقائدهم تلك، فيقتلون الناس عليها.

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ١٣٣.

ولأن من مذهبهم تحريم التقية. ورفض العمل بها، بل السر هو أعرابيتهم، وجهلهم، والإنسان عدو ما يجهل كما هو معلوم.

وليس ثمة أعظم محنة من شيعة أهل البيت «عليهم السلام» على مر التاريخ، وهذه هي مؤلفاتهم تملأ الخافقين..

مؤلفو الخوارج في الفقه:

واللافت هنا: أن ابن النديم قد عقد فصلاً مستقلاً لفقهاء الشراة وذكر لهم مؤلفين وكتباً. وذكر مثل ذلك في دائرة المعارف الإسلامية مادة: أعز ابن.

ولكن ذلك لا يعني: أن ذلك يستحق التنويه به، والاهتمام بشأنه، لا من حيث الكيف، ولا من حيث الكم..

غير أن أصحاب الفهرستات يحبون أن لا تخلو كتبهم من ذكر شيء من ذلك، ليتمكن من يحتاج إلى الوقوف على مقالات هذه الطائفة أو تلك أن يرجع إلى كتبها، ليحصل على بغيته، ويبلغ مراده.

أسباب التخفيف من حدة التعاليم:

ويلاحظ وجود بعض التخفيف من حدة التعاليم لدى فرقة الإباضية من الخوارج، ولعل ذلك من أجل أنهم شعروا أن ذلك هو ما يمكنهم من الاستمرار والبقاء، ومما سهل لهم وعليهم ذلك انحسارهم عن مواقع الاحتكاك والهيجان والتحدي، إلى مناطق نائية، تذوقوا طعم الاستقرار، وأنسوا تدريجياً بالحياة الرفاهية، وبتعبير أدق بحياة الراحة، فأتاح لهم ذلك الفرصة للتأليف في العقائد وفي الفقه، وتلطيف آرائهم، وإخضاعها للتبويب والتنظيم، وإن كانت قد بقيت مجرد تجارب بدائية، وغير ناضجة، ولا غزيرة.

وعلى كل حال، فقد قال بعض المستشرقين هنا، بعد أن ذكر أن جذوة الخوارج قد انطفأت منتصف القرن الثامن (أي الميلادي) أي في القرن الثاني الهجري - قال -: «وبعد ذلك انحرفت فعالية الخوارج شيئاً فشيئاً نحو التجارة، وتأليف الكتب الدينية الفقهية، والتاريخية»^(١).

كما أن أبا زهرة يعتقد: أن الإباضية: «لهم فقه جيد، وفيهم علماء ممتازون»^(٢). ولكننا بملاحظة ما قدمناه لا نستطيع أن نوافق أبا زهرة في هذا المجال، إلا في حدود بعض الجزئيات على النحو الذي أشرنا إليه آنفاً، وما عداه يفترق إلى الدليل البرهاني القوي.

ولعل أبا زهرة وغيره قد أخذوا ذلك من ابن خلدون، الذي يقول: «وتطير إلينا في هذا العهد من تلك البلاد (أي التي يتواجد فيها الخوارج) دواوين ومجلدات من كلامهم في فقه الدين، وتمهيد عقائده، وفروعه، مباينة لمناحي السُّنة وطرقها بالكلية، إلا أنها ضاربة بسهم في إجادة التأليف والترتيب، وبناء الفروع على أصولهم الفاسدة»^(٣).

وقد عرفنا من خلال الإطلالة على واقع تأليفهم: أن هذه أقوال مبالغ فيها، غير أن علينا أن لا ننسى أن جمودهم وسطحيتهم قد أدّيا في حالات كثيرة إلى ظهور كثير من السخافات المضحكة، بالإضافة إلى أنه قد جعل آرائهم

(١) الإسلام ص ١٨٨ و ١٨٩.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٨٥.

(٣) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٧٠.

تتسم بالسطحية والبساطة^(١).

قال أحمد أمين: «..من أجل هذا لم يرو لنا عن الخوارج مذهب مفلسف، ولا فقه واسع منظم، ولا نحو ذلك، إلا ما كان من الإباضية، أتباع عبد الله بن إباح الخارجي، الذي مات في عهده عبد الملك بن مروان، فإن هذه الفرقة عاشت، وانتشرت في شمالي إفريقيا، وفي عمان، وفي حضرموت، وزنجبار، واستمرت إلى يومنا هذا؛ فكان من الطبيعي أن يكون لهم أصول اعتقادية، وتعاليم فقهية. وكذلك كان.. فقد تعدّل مذهبهم مع الزمان الخ..»^(٢).

وقال الغراي: «ويلاحظ: أنه لما ضعفت قوتهم الحربية اتجهت نفوسهم نحو الإنتاج العلمي، حتى أصبحت لهم مؤلفات فقهية، وكلامية، ولغوية، وأدبية»^(٣).
ولسنا بحاجة إلى إعادة التذكير: بأن ذلك لم يكن في المستوى اللائق، والمقبول، بل هو مجرد تجارب بدائية، فيها الكثير من السطحية، والضعف، ولا يمكن أن تقاس من حيث الدقة والإتقان بغيرها من مؤلفات سائر الفرق.

أضف إلى ذلك: أن عنفهم وحدّتهم في مواجهة المخالفات لتلك الآراء الفقهية والعقائدية كان من شأنه أن يضيفي عليها لوناً غير مرغوب فيه، وينفر الناس حتى من ذلك الرأي الفقهي الذي ربما صادف وجاء صحيحاً في بعض الأحيان.

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٤ و ٣٣٥.

(٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٦ و ٣٣٧.

(٣) تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٨٤.

هل للإباضية فضل على العلوم الإسلامية؟!:

وقد ادعى أحدهم: أن «..الحق: أنه لا أحد يستطيع أن ينكر دور الإباضية في خدمة العلم الإسلامي، فقد اشتغلوا بالتدوين، فكانوا من أوائل من دوّن الحديث.

فإمامهم جابر بن زيد، من أوائل من دوّن الحديث، وأقوال الصحابة في ديوانه الذي وصفوه بأنه وقر بعير، ثم تلاميذه من بعده. وهم حملة العلم»^(١). ونقول:

أولاً: إن اعتبار جابر بن زيد من الإباضية بصورة قاطعة.. غير دقيق، وقد سئل جابر بن زيد نفسه - كما يقولون - عن انتحال الإباضية، فقال: أبرأ إلى الله من ذلك^(٢).. وكيف يكون إباضياً خارجياً، وقد روى عن معاوية وابن الزبير؟!:

ثانياً: إن مجرد أن يتصدى رجل أو بضع رجال لتدوين الحديث، فذلك لا يعني أن ينسب إلى طائفته التي ينتمي إليها: أنها قد أسهمت إسهاماً كبيراً في خدمة العلم الإسلامي. بل لا بد أن ينظر إلى حقيقة دوره في ذلك، وتقاس إسهاماته في هذا المجال مع ما أسهم به الآخرون، فقد يكون إسهامه لا يكاد يذكر إلى جانب ما أسهم به الآخرون..

ثالثاً: إننا لا نجد أثراً ظاهراً ومحسوساً لما دونه جابر بن زيد في مجمل التراث الحديثي الإسلامي. وكذلك ما دونه تلامذته من بعده.

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨٢.

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ١ ص ٤٩٤ و ٤٩٥ وتهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٨.

رابعاً: إن من عدوهم من تلامذة جابر بن زيد ليسوا في عداد الإباضية، ولا الخوارج، فلماذا تعطى الأوسمة لهذه الفرقة جزافاً، وبلا حساب.

خامساً: إنه قد ادعي: أن الخوارج هم حملة العلم.. وهي دعوى لم نعرف لها وجهاً معقولاً وليس لها شاهد أو دليل.. فإن حملة العلم هم علي والأئمة من ولده عليهم الصلاة والسلام، وأعني بهم الحسنان، والسجاد، والباقر، والصادق.. وتلامذتهم، ومن أخذ عنهم.

بالإضافة إلى آخرين حملوا شيئاً من ذلك، وهم ليسوا من الخوارج بالتأكيد.

تضييق الخوارج على أنفسهم:

ثم إن علينا أن نضيف إلى ما تقدم: أن جمودهم، وعدم مرونتهم في التعامل مع النصوص قد أوقعهم في ضيق فاحش، كما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»: «الدين واسع، ولكن الخوارج ضيقوا على أنفسهم من جهلهم»^(١).

ومن مظاهر جمودهم هذا، وتضييقهم على أنفسهم بجهلهم: أن أكثرهم كان ضد تأويل القرآن كما قدمنا.

الفتيا والعلم عند الخوارج:

ولكن ضحالة علم الخوارج، وقلة، بل ندرة تأليفهم، لا تعني أنهم استمروا على هذا الحال إلى ما لا نهاية.

بل الأمر قد شهد شيئاً من التغير وإن كان طفيفاً، بالمقايضة بما كان عند غيرهم من الفرق والمذاهب، إذ قد كان من الطبيعي أن يعلق في أذهانهم

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٩٨ ووسائل الشيعة ج ٣ ص ٣٣٢ ح ١ وج ٢ ص ١٠٧٢ ح ٣.

بعض من أحكام الدين وتعاليمه، خصوصاً وأنهم يشنعون على بني أمية، ويرمونهم بالجهل وبالفجور، ومخالفة أحكام الله..

ثم إنهم يجتذبون بعض الشباب، والسذج والبسطاء بشعاراتهم الدينية، وبادعائهم أنهم حماة الشريعة، ودعاة الإيمان.. فكان لا بد لهم من الإمام بما يعرضهم جهلهم به إلى السخرية من الناس، وتهجين أمرهم.

ولعل هذا الذي ذكرناه يفسر لنا لجوء نجدة الحروري إلى ابن عباس لتعلم بعض ما أشكل عليه.

واللافت: أن ما سألته عنه هو من أبسط مسائل الفقه وأوضحها..

ولا نبعد كثيراً إذا قلنا: إنه قد يكون لبعض ما عندهم من فتاوى ومعارف يسيرة نصيب من الصحة، لأنه في معظمه مأخوذ من السيرة العملية للناس، أو نابع من الطبيعة البدوية من حيث انسياقه مع الفهم الفطري والعفوي لبعض الآيات، أو لبعض الأحاديث النبوية.

وبذلك يكونون أفضل من العجلية - الذين هم فرقة من الزيدية - وأقرب منهم إلى فهم النصوص، حسبما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام»، فعن حمدويه، عن أيوب بن نوح، عن صفوان، عن داود بن فرق، عن أبي عبد الله «عليه السلام»؛ قال: «ما أجد أحداً أجهل منهم - يعني العجلية - إن في المرجئة فتياً وعلماً، وفي الخوارج فتياً وعلماً الخ..»^(١).

ولكن من الواضح: أنه «عليه السلام» إنما قايسهم بالعجلية، وفضلهم

(١) إختيار معرفة الرجال ص ٢٢٩ و ٣٤٦.

عليهم، واعتبرهم كالمرجئة. ولم يقيسهم بفقهاء وعلماء سائر الفرق الإسلامية، فضلاً عن أن يقيسهم بالشيعة الأبرار «رضوان الله تعالى عليهم».

فهم بالنسبة للعجالية من الزيدية لديهم فقه وعلم.

إذن، فمقدار ما عندهم إنما يعرف إذا قيس إلى ما عند العجالية، الذين يظهر من الإمام: أنهم كانوا أجهل الخلق وأبعدهم عن العلم، ولذلك قال: «ما رأيت أجهل منهم». حتى إن الخوارج والمرجئة يعدون من العلماء إذا ما قسناهم بالعجالية الذين بلغوا الغاية في الأمية والجهل..

ثم إنهم ما لبثوا أن انكمشوا على أنفسهم من جديد، وانحسروا عن مناطق الثقافة والعلم، ليعيشوا في حواشي البلاد الإسلامية، في مناطق نائية، ولتعود إليهم أعرايتهم. وأصبحوا لصوصاً سلايين، كما أخبر أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام.

تقييم إجمالي:

ولكن المهم في الأمر: هو أن تلك الفتاوى الصحيحة التي كانت عندهم مهما كانت قليلة، فإنها إنما كانت مجرد حالات جزئية أدركوها بالنقل، أو بالسليقة والفطرة الساذجة، منفصلة تماماً عن كل ما سواها، فلم يكونوا يملكون تصوراً عاماً، ولا نظرة شمولية، من شأنها أن تعطيهم القدرة على استيعاب المعارف المختلفة، وتوجيهها وجهة صحيحة في مجال الاستفادة منها والاستنتاج، وإدراك أبعاد الموضوع، وما يرتبط به..

وذلك هو بعض ما يرمي إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، حينما طلب من ابن عباس أن لا يخاصمهم بالقرآن؛ فإن القرآن حمال ذو وجوه.

ابن حجية مخدوع، أم ماكر؟!:

وعلى أساس ما قدمناه يظهر لنا جلياً: أن لا مجال لقبول المبالغات في إغداق الألقاب على الخوارج إلى درجة اعتبارهم من الفقهاء، والقراء، كما هو الحال بالنسبة ليزيد بن حجية الذي كان أمير المؤمنين «عليه السلام» قد ولاه الري، ودستبي؛ فسرَق أموالهما، ولحق بمعاوية..

ثم كتب لأحد بني عمه رسالة جاء فيها: «..والثالثة: أن قراءكم، وفقهاءكم، وفرسانكم خالفوكم، فعدوتم عليهم فقتلتموهم»^(١).

فإن هذا الكلام غير مقبول، وهو دليل جهل ابن حجية، أو دليل سعيه لتضخيم الأمور، مضادة منه لعلي «عليه السلام»، ثم تبرير خيائته لدينه وإمامه، بهذه الطريقة التي تعتمد التزوير للحقائق، والتضليل للناس.

وخلاصة القول:

١ - إن هذا الكلام يدخل في سياق الكيد الإعلامي ضد علي «عليه السلام» وشيعته من قبل رجل خائن لأمانة الله، ورسوله، والمسلمين. قد التحق بعدو ولي الله، ويريد أن يتزلف إليه.

٢ - إن هذا الرجل - أعني يزيد بن حجية - لم يكن هو نفسه من أهل العلم والفقه، ليؤخذ بقوله في معرفة درجات الآخرين في هذه المجالات، فإن حاول شيئاً من ذلك، فإنما يقيس الآخرين على نفسه، ويقارن علمهم - أو ما توهم أنه علمهم - بجهله.

٣ - ولو أردنا أن نغض الطرف عن ذلك، ونعتبره مخدوعاً بمظاهر

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٦٣ عن الموفقيات.

هؤلاء القوم، فنقول:

إن من الواضح: أنهم لم يكونوا هم الفرسان المرموقون الأشداء في جيش علي «عليه السلام»، وقد ظهر ضعفهم وخورهم في حرب النهروان إلى درجة مزرية، وممعة بالخزي والهوان.

٤ - كما أنهم لم يكونوا الفقهاء في دين الله، بل كانوا على درجة من الغباء، إذ كانوا يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم، وهو عليهم كما قدمناه.

من فقه الخوارج!!

وكنموذج نشير إلى درجة فقاھتهم، وعلمهم بالشریعة نذكر ما يلي:
يقال: إن نجدة أسقط حد الخمر^(١).

وقالت النكارية: إن الله لم يأمر بالنوافل. وأنه يجوز شرب الخمر على التقية^(٢). والنكارية هم فرقة من الإباضية، كما هو معلوم.
«وقد شهر نافع بقوله في البراءة، والاستعراض، واستحلال الأمانة، وقتل الأطفال»^(٣).

كما أن الأزارقة قد حرّموا قتل النصارى واليهود، وأباحوا قتل المسلمين^(٤).

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٦ و ٧٧.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٥٤ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٣٦٣.

(٣) راجع: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٩ والکامل في الأدب ج ٣ ص ١٠٤٠ والمصنف المجهول ص ٧٨ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٤ عن تقدم.

(٤) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٩ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٦ عنه.

وذكر البعض: أن الإباضية يحيزون شهادة غير الإباضي، ومناكحته، والتوارث منهم، وتحريم دمائهم^(١).

وكان الأزارقة يستحلون أمانة غيرهم من الناس لكونهم مشركين؛ فأنكر عليهم ابن إباط، وصاحب الصفرية ذلك، وقالوا: إن الأمانة مؤداة للبر والفاجر على السواء^(٢).

وأنكرت النفاثية خطبة الجمعة، وقالوا: إنها بدعة.

وأنكروا على الإمام استعمال العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية، ومطالب بيت مال المسلمين من الرعايا^(٣).

وفرقه الحسينية من الإباضية أباحوا الزنى، وأخذ الأموال لمن أكره على ذلك، يتقي بها، ويغرم بعد ذلك.

كما أنهم فرقوا بين الأسماء والأحكام، فسموا اليهود منافقين، وسموا المتأولين مشركين، وأجازوا السبي، وأحلوا النكاح منهم. وهم عندهم مشركون^(٤).

والسكاكية من الإباضية يقولون: «صلاة الجماعة بدعة. والأذان للصلاة

(١) الإباضية ص ٧٨ و ٨٣ عن الفرق بين الفرق ص ١٠٣ وراجع: الملل والنحل ج ١ ص ١٣٤.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٧٤ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٥ و ٢٢٦ عنه، وعن المصنف المجهول ص ٨٤.

(٣) الإباضية ص ٥٨.

(٤) الإباضية ص ٦٢.

عندهم بدعة، فإذا سمعوه، قالوا: نهق الحمار»^(١).
 وذكروا: أن الأزارقة يوجبون على الحائض الصلاة والصيام في حيضها.
 وأنكره بعضهم^(٢).
 أما البدعية فإنهم يزعمون: «أن الصلاة صلاتان؛ بالغداة ركعتان، وبالعشي ركعتان لا غير»^(٣). وأبطلوا رجم المحصن، وأوجبوا قطع يد السارق من الإبط^(٤).
 والميمونية يحيزون نكاح بناتهم^(٥).
 وكان الربيع بن حبيب يقول بحلية المتعة^(٦).
 وأما الميمونية، فإنهم يحيزون نكاح بنات الابن، وبنات البنات، وبنات بني الأخوة، وبنات بنات الأخوات. قالوا: «لأن الله عز وجل قال ﴿وَأَحَلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ﴾»^(٧)^(٨).

-
- (١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٦٥ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧٥.
 (٢) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٨٩ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٦ عنه، والنص والاجتهاد ص ٩٩ والعتب الجميل ص ٥٣ عن كتاب: نقد عين الميزان لمحمد بهجت البيطار.
 (٣) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٨ والعتب الجميل ص ٥٣ عن نقد عين الميزان للبيطار.
 (٤) النص والاجتهاد ص ٩٩.
 (٥) إعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٧ والإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٩.
 (٦) العقود الفضية ص ١٥٦.
 (٧) الآية ٢٤ من سورة النساء.
 (٨) البدء والتاريخ ج ٥ ص ١٣٨ وراجع: الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٦٢ و ١٣٤

وقال بعض البيهشية: السكر من شراب حلال، لا يؤاخذ صاحبه^(١).
وعن الأحنسية تجوز نكاح المسلمات من مشركي قومهم^(٢).

علم علي عليه السلام بنظر الإباضية:

وإذا كانت هذه هي بعض النماذج من فقه هؤلاء القوم.. فإن ما يثير عجبنا هو أنهم كغيرهم يعترفون بتقدم علي «عليه السلام» في العلم والفقه، مع أن الخوارج هم ألد أعدائه «عليه السلام». ونكتفي هنا بما قاله الحارثي الإباضي عنه «عليه السلام»: «كان علي آية في غزارة العلم، واستنباطه للأحكام، وحله للمشكلات. وكان عمر بن الخطاب يرجع إليه في القضايا المشككة»^(٣).

السنة النبوية والإجماع:

كما أن فرقة السكاكية المتفرعة عن الإباضية قد أنكرت الإجماع كدليل على الحكم الشرعي. بل لقد أنكروا السنة النبوية، وزعموا: أن الدين كله

ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٦٦ عن الكرابيسي، والعتب الجميل ص ٥٣ عن نقد عين الميزان، ودائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٥ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٨ وإعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٥٦ والإباضية ص ٣٦ عن الملل والنحل ج ١ ص ١٢٨ عن العجاردة وص ١٢٩ عن الميمونية.

(١) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٦.

(٢) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٩ والخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٦٥.

(٣) العقود الفضية ص ٤٢.

مستخرج من القرآن^(١).

وقال البعض: «كان من بينهم من يقول: بأن القرآن وحده هو المصدر المعترف به»^(٢).

الخوارج والرواية:

ولأجل ما تقدم، فإن الخوارج لم يكن لهم حظ في نقل السنة النبوية الشريفة. قال الشيخ المفيد «رحمه الله»: «إن الخوارج ليسوا من أهل النقل والرواية، ولا يعرفون حفظ الآثار، ولا الاعتماد على الأخبار؛ لإكفارهم الأمة جميعاً، واتهام كل فريق منهم فيما يروونه، واعتمادهم لذلك على ظاهر القرآن، وإنكارهم ما خرج عنه القرآن، من جميع الفرائض والأحكام الخ..»^(٣).

الإجتهد:

وبالنسبة للإجتهد؛ فقد «شهر ابن الأزرق بملاحقاته لابن عباس، وعرض مسائله الفقهية عليه»^(٤).

ومهما يكن من أمر، فإن «الأزارقة لا تعتبر الاجتهاد أصلاً في الأحكام، حتى إنه عند الأزارقة: أن ما لا ينص عليه من الأحكام ليس بواجب القيام به، كحدّ من يقذف الرجال.

وأما النجدات، فاهتموا بالاجتهاد أعظم الاهتمام. حتى إنه عندهم من

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٦٥ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧٥.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٦.

(٣) الجمل ص ٣٨.

(٤) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٢١ عن الاتقان ج ١ ص ١٤٩ و ١٦٥.

اجتهد في شيء، وأخطأ فيه فهو معذور. بل جعلوا نصف الدين يعرف عن طريق الاجتهاد»^(١).

هكذا صور لنا هذا المؤلف نظرة النجدات إلى موضوع الاجتهاد، لكن الأشعري لا يظهر هذا المستوى من الحماس، حيث إنه يكتفي بالقول: إن النجدات أجازوا الاجتهاد في بعض الأحكام الشرعية^(٢).

ونفهم من عبارته هذه: أن غيرهم من الخوارج ما كانوا يميزون الاجتهاد، فلا غرابة في ندرة وجود فقهاء مشهورين يشار إليهم بالبنان فيهم، أو في وجود فقهاء تذكر لهم أقوال في سياق تعداد أقوال من يعتد بقوله.

ولعل سبب نسبة القول بجواز الاجتهاد إلى النجدات هو أنهم ينقلون عن نجدة الحروري قوله: «من استحل محرماً من طريق الاجتهاد فهو معذور، حتى إن من تزوج أخته أو أمه مستحلاً لذلك بجهالة، فهو معذور ومؤمن»^(٣).

عملهم بالقياس:

وقد وصف الشهرستاني المحكمة الأولى: بأنهم كانوا أشد الناس قولاً في القياس^(٤).

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٧٥.

(٢) مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٦ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٤.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٣٤.

(٤) الملل والنحل ج ١ ص ١١٦ وحول قولهم بالقياس راجع: العقود الفضية ص ١٦٦.

وقد أنكر البعض ذلك على اعتبار: أنهم لم يقبلوا احتجاج علي «عليه السلام» عليهم بالقياس في مسألة التحكيم بأمر الله بالتحكيم في الخلاف بين الرجل وزوجته، وزعموا: أن الله لم يأمر بالتحكيم في الحرب^(١).
ونقول:

إن قولهم هذا لا يدفع قول الشهرستاني، فإنه يزعم أنهم كانوا يستعملون القياس في مسائلهم الفقهية الكثيرة.

وموقفهم من التحكيم في الحرب، ورفضهم قياسه على التحكيم بين الرجل وزوجته، يمكن أن يقال: إنه من أخطائهم الظاهرة لسببين:

أحدهما: إن ما احتج به علي «عليه السلام» عليهم ليس من قبيل القياسات الظنية التي يلتزم بها الخوارج، بل هو من قبيل تطبيق الحكم الكلي على موضوعاته، والاستدلال بالنص العام على موردٍ هو من مصاديقه.

الثاني: إنهم حتى إذا كانوا قد اعتبروا ذلك من قبيل القياس الظني، كانوا يعملون به في سائر المسائل الفقهية، فإن عدم قبولهم به يكون بسبب قلة تدبرهم وهو أحد التناقضات التي وقعوا فيها وما أكثرها.

الثالث: إننا نقول: إن الخوارج الأولين الذين خرجوا على علي «عليه السلام» لم يكونوا من الفقهاء الذين يستنبطون الأحكام، ولا كانوا أصحاب اجتهاد، فضلاً عن أن يكون لديهم منطلقات وأسس اجتهادية والتفات إلى أن هذا من القياس، أو ليس منه، بل كانت مواقفهم منطلقة من نزوات،

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٤ عن الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٢٧.

وارتجالات لا تستند إلى دليل معقول، ومقبول..

ومهما يكن من أمر، فإن التنصيب على أن السكاكية، وهم فرقة من الإباضية.. قد أنكروا القياس^(١)، يشير إلى أنهم بقولهم هذا قد خالفوا أهل نحلتهم. وبذلك يتأيد قول الشهرستاني. وهو يتحدث عن اطلاع، ومعاينة وهو أصح من اجتهاد غيره الظني.

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٦٥ عن الإباضية بين الفرق الإسلامية ص ٢٧٥.

الفصل الخامس:

أدب الخوارج..

شعراء الخوارج:

لقد عرف من الخوارج خطباء وشعراء، ولاسيما في الصدر الأول، حيث إن أكثر قوادهم كانوا من البدو، من جند الكوفة والبصرة^(١)، وكان الإنسان البدوي يمتاز بالفصاحة في منطقه، ويمتلك قدرات تعبيرية يمتاز بها عن غيره من سائر الناس.

الأرجاز في شعر الخوارج:

وحيث إنهم قد اتخذوا طريق العنف، والحرب وسيلة لتحقيق أهدافهم السياسية، فإن الرجز في الحرب يصبح ضرورة لهم، لأجل تشجيع الجبان، ومكابدة الحرب والطعان. ولأجل ذلك فإن غالب ما قالوه من الشعر قد جاء في وصف الحرب، وفي التشجيع على خوض غمارها، ما دام أن حياتهم كانت تتخذ الطابع الحربي في غالب مقاطعها، وتميز شعرهم بكثرة الأرجاز فيه^(٢). وهذا هو الطابع الذي يطبع أدب أهل البادية بشكل عام.. ولاسيما حين يواجه فرسانهم الأقران في ساحات الحرب والنزال.

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٤٧٦ وراجع: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٩٦.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٩٢.

شعراؤهم من العرب والموالي:

ورغم كثرة من نطق بالشعر فيهم، وكونهم من القبائل والفرق المختلفة؛ فإننا نلاحظ: أنهم لا يهاجمون الفرق الخارجية الأخرى، ولا كانوا يذكرون عقائد وخصائص فرقهم هم أنفسهم. بل إن شعرهم يكاد يكون لوناً واحداً. وقد كان الذين قالوا شعراً من الخوارج ينتمون إلى قبائل عربية مختلفة باستثناء قريش^(١).

وذكروا: أن لهم شعراء من الموالى أيضاً، مثل حبيب بن خدره، الذي كان من موالى بني هلال^(٢).

وعمر بن الحسن الإباضي، وهو من موالى الكوفة^(٣).

وعمر بن الحصين، أحد موالى بني تميم^(٤).

وزياد بن الأعسم، الذي قيل: إنه من بني عبد القيس، أو من موالىهم^(٥). ولكننا بدورنا لا نجد لدى هؤلاء ما يستحق أن يجعل أياً منهم جديراً بأن يصنف أو يكون في عداد الشعراء، فإن وجود بعض المقطوعات لهم هو أمر عادي جداً في المجتمع العربي، الذي يكثر فيه أمثال هؤلاء.

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٠.

(٢) البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٦١.

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٢٩.

(٤) الأغاني ج ٢ ص ١٠٢.

(٥) عن أنساب الأشراف ج ٧ ص ١١٨.

نعم.. يمكن أن يعد عمران بن حطان من شعرائهم، رغم تجاهل الأدباء له، ولعله لأنهم لم يروا في شعره ما يستحق أن يجعله يصنف في عداد الشعراء أيضاً.

كيف يرى المؤلفون أدب الخوارج:

وقد أفاض الكتاب والمؤلفون في تسطير الآراء التي يقترب بعضها من الحقيقة، بينما يهاجر بعضها عنها مغاضباً لها، ليستقر في أعماق الخيال والأوهام، غير آسف على شيء؛ لأنه آثر أن يعتصم بصوامع المجهول، وينعم بزيف الغي والجهالة إلى غير رجعة..

ونحن نذكر هنا بعضاً من ذلك، مما ظهر فيه الخلط بين الحق والباطل، والمزج بين الواقع والخيال، فنقول:

١ - قد وصف البعض شعر الخوارج بقوله: «..إنه شعر ثورة جامحة. محوره الأنا، ونحن. وإطاره المذهب الخارجي. وغايته فراديس السماء»^(١).
ونحن لا نوافقه على قوله: «شعر ثورة جامحة»، ونقول:

بل هو شعر البدوي، الذي يعتمد على سيفه ورمحه لنيل ما يطمح إليه، حقاً كان أو باطلاً. ولا يعتمد على المنطق، والبرهان.. ولا ينطلق من دواعي الضمير والوجدان، ولا تقيده الروادع الدينية والإيمانية.. فلا يمكن أن نعتبر هذا السلوك الطبيعي المتأصل في الأعراب الغارقين في بحار الجهل والهوى.. أنه ثورة، أو أنه إحساس وجداني نبيل.

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٩٢.

ونرفض أيضاً: أن تكون غاية ذلك الشعر هو فراديس السماء.. فإن الله لم يطلع هذا القائل على غيبه، ليقراً في قلوب أولئك الشعراء غاياتهم ونواياهم.. وإذا كان الشعر مبنياً على التبجح، والادعاء، والمبالغة..

ثم إذا كان الخوارج - كما ظهر من فصول هذا الكتاب بالنصوص والأرقام - طلاب دنيا، ورواد حكم، يبحثون عن ذلك بكل خوف، ويسعون له بكل حافر وظلف.

وإذا كانوا أيضاً لا يتورعون عن ارتكاب أي شيء في سبيل ذلك، حتى الكذب على رسول الله «صلوات الله وسلامه عليه وآله»، فكانوا إذا أحبوا شيئاً صبروه حديثاً..

فهل يمكن بعد هذا استكشاف نواياهم، وغاياتهم من شعرهم الذي ينشدونه في مواقع المواجهة؟! حيث يهيمن الغرور، وتستيقظ العنجهيات.

أضف إلى ذلك.. أن أهم ما يجذب الناس إلى الخوارج هو إدعائهم أنهم ملتزمون لخط الشريعة، ومتصلبون في الدين. فلماذا لا يستخدمون هذا الأمر في إعلامهم من أجل ذلك أيضاً.. بهدف إثارة الحماس لدى السذج والبسطاء من الذين لم يطلعوا على حقيقة نوايا قادتهم وزعمائهم؟!

٢ - ثم إن ثمة نصاً آخر، يقول: «يمكن القول: إن الشعر عند شعراء الفرق الخارجية - بشكل عام - كان إما تسجيلاً لأعمال حربية، أو رثاء لقتلاهم - ترغيباً أو ترهيباً»^(١).

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٢.

«ولعل الظاهرة العامة الأخرى، التي تطفئ على شعر الخوارج: أنه جاء في أكثره يخاطب المشاعر، والوجدان، دون أن يعمد إلى مخاطبة العقل والمنطق؛ لإعطاء الحجة المقبولة، والبرهان العقلي لما ينادون به، فكان عملهم أشبه ما يكون بعمل الصحفيين، الذين يعمدون إلى إلهاب عواطف الناس، واستثارة حماس جماهير العوام، بالكلمات المؤثرة، والشعارات المثيرة.

ولا ننسى مدى فعالية هذا الأسلوب على جماعة الخوارج الذين كانوا بأكثريتهم الساحقة، من الأعراب، والقراء المتدينين»^(١).

وهذا الكلام وإن كان في أكثره معقولاً ومقبولاً، لكن لنا تعقيب على العبارة الأخيرة، فإن تدينهم، لم يكن قائماً على أسس فكرية، وقناعات حقيقية، وإنما هي ظواهر ومظاهر ألفوها، ووجدوا فيها سبيلاً إلى الحصول على بعض ما عجزوا عن الحصول عليه بالأساليب الأخرى؛ وقد أخبر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: أنهم يقرأون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم. وأنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. وقد دلت ممارساتهم على ما نقول فلا حاجة إلى الإعادة.

مبالغات لا مبرر لها:

ثم إن بعض الكتاب قد زعم: أن للخوارج أدباً له طابع مميز، وخصائص معينة، تنسجم مع واقع الحياة، ومع المفاهيم التي كانوا يعيشونها، فقد كانت لديهم نفوس بدوية، تملك سرعة الخاطر، والقدرة على البيان، بأوجز عبارة وأقوى لفظ، إلى جانب ذلك تمس، وصراحة، وعاطفة، وليس في أدبهم

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٨٦.

أثر للخمير والمجون، وإنما فيه القوة والصلابة، والجمال، والقتال، وهو أدب لسانی، لا أدب مكتوب، بل هو خطب وشعر، وبديهة واحتجاج^(١).

وقالوا أيضاً: «هذه الصفات، أعني الشدة في الدين والإخلاص للعقيدة، والشجاعة النادرة، يضاف إليها العربية الخالصة هي التي جعلت للخوارج أدباً خاصاً يمتاز بالقوة، شعراً ونثراً، تختار للفظ، وقوة في السبك، وفصاحة في الأسلوب»^(٢).

ونقول:

إن هذا الوصف المتنوع لشعرهم مفرط في المبالغة، ولا يعبر عن الحقيقة. وهو ظاهر الخلل، بين الزيف والخلل، فلاحظ ما يلي:

١ - قوله: إن لأدب الخوارج طابعاً مميزاً، وخصائص معينة.. ليس بذي قيمة، لأن الخوارج إذا كانوا أعراباً جفاةً، يطغى عليهم الجهل، والهوى، والبداءة، فإن شعرهم سوف يكون حتماً شعر الأعراب الجفاة، الذي يفقد الطراوة، ولا يملك صوراً خلابة، ولا خيلاً رائعاً ومثيراً.

٢ - إننا لم نجد في شعر الخوارج ذلك الجمال الذي ادعاه، بل هو شعر تقريرى يقتصر على ألفاظ عادية ومتداولة. ولا يقدم أية صورة شاعرية، تحمل شيئاً من الإبداع والجمال اللافت..

٣ - لا نجد للخوارج احتجاجاً قوياً ولا مؤثراً، ولا سيما في مقابل أمير المؤمنين «عليه السلام» وأصحابه الأخيار والأبرار. بل كانت احتجاجات

(١) راجع: ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٤٤ و ٣٤٥.

(٢) فجر الإسلام ص ٢٦٤.

غيرهم هي التي تؤثر فيهم، فيتراجعون عن مواقفهم بالمثل والألوف..
وأما حين يواجهون الأمويين، فإنهم لا يحتاجون إلى امتلاك قدرة احتجاجية خاصة، بل يكفي ذكر وسرد مثالب بني أمية، التي يمكن أن يقوم بها أضعف الناس فيستطيل بها على أبرع الناس في الاحتجاج..

٤ - وأما الخطب.. فإن سرد مخازي بني أمية يكفي أضعف الناس عن أي خطاب، لكننا نجد في المقابل أن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» كانوا هم مضرب المثل في ذلك، حيث يضرب المثل بصعصة بن صوحان في ذلك، فقيل: «أخطب من صعصة بن صوحان إذا تكلمت الخوارج».
أما أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد ردهم بكلامه الحلو في غير موطن حسبما اعترفوا به هم أنفسهم كما تقدم.

٥ - أما بعض العبارات المتميزة التي تنسب لبعض زعمائهم.. فيجدها الباحث المتبع في ثنايا كلام أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهي إما مسروقة منه «عليه السلام»، منحولة لغيره.. وإما أن الخوارج أنفسهم كانوا يحفظونها عنه، وقد استفادوا منها في خطبهم، فأعطتها قوةً ورونقاً..

وما أكثر الغارات على كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام»، وخطبه، وفضائله وكراماته كما لا يخفى على الباحث الأديب، والمتبع اللبيب..

٦ - وأما بالنسبة للصراحة، فإن من بيده السيف قادر على أن يتكلم بما يشاء.. ولكن حين يقع السيف من يده، فإنك تجده يستعمل التقية في القول وفي الفعل بإغراق شديد. وبإمعان بالغ، كما كان الحال بالنسبة للخوارج.

٧ - وأما الإخلاص للعقيدة، فقد ذكرنا الكثير مما يدل على أن أمر الدنيا

كان هو الأهم عندهم، والأولى بنظرهم.

٨ - وعن شجاعتهم النادرة ذكرنا أيضاً، ما يكذب الشائعات التي أعطتهم صورة الشجعان الأتقياء، والبررة الأوفياء..

٩ - ويضحك الثكلي حديثه عن: «تخير للفظ، وقوة في السبك». فإننا لم نجد في شعرهم إلا عفوية البدوي الجاهل، الذي يتندر الكلام بما تيسر له من ألفاظٍ يلتقطها مما يجده في طريقه، وهو على عجلة من أمره..

وحسبنا ما ذكرناه، فإننا لا نريد أن نفسح المجال للذين يحاولون أن يتبرعوا بأوسمة الاتهامات الجاهزة، ليخلعوا علينا حلاًلاً منها موشاةً بالتعصب المذهبي تارة، أو الاتهام بالانطلاق من أفكار عنصرية أخرى، أو ما إلى ذلك.

دعاوى أخرى حول أدب الخوارج!!:

يقول البعض: «إذا كان شعر الخوارج ونثرهم، يمثلان أصدق تمثيل حياتهم الحربية، وأحاسيسهم الوجدانية، وعواطفهم الدينية، وآمالهم العريضة؛ فإن هذه الآثار الأدبية قد فشلت فشلاً تاماً في إعطاء صورة واضحة للفكر الخارجي، أو للعقائد الخارجية السياسية منها والدينية، هذا إذا استثنينا ما يستخلص من مزاعمهم: «نحن الإسلام، والإسلام نحن».

ولعل هذه الظاهرة تخالف ما عهدناه عند معاصريهم من الفرق الإسلامية الأخرى؛ فإن الشعر الشيعي، يسجل لنا بوضوح مبادئ الشيعة، وعقائدهم، على اختلاف نظرياتهم.

وكذلك الحال عند المرجئة؛ فإن لثابت قطنة قصيدة أودعها مختلف آراء

هذه الفرقة وعقائدها..»^(١). انتهى.

ونقول:

من أين للخوارج الفكر العقائدي والسياسي، الذي يمكن التعبير عنه في الأدب والشعر، وهم إنما كانوا في بادئ أمرهم أصحاب أطماع، وسفاحين، ثم انتهى أمرهم إلى أن أصبحوا لصوصاً سلابين.

وإن كان لدى بعضهم حب للوصول إلى الحق، فإن جهود هؤلاء لم تنته إلى نتيجة ظاهرة، فإنهم بعد أن اتبعوا غير سبيل الصالحين، بتخليهم عن إمامهم، ثم محاربتهم له، واصرارهم على البراءة منه، وتكفيره، قد تاهوا في خضم الشبهات، ثم وقعوا في فخ أصحاب الطموح والأطماع، حركتهم - كما بدأت - حركة عدوانية طامعة في الحصول على شيء من حطام الدنيا..

وقد بقوا غارقين في مشاكلهم مع الآخرين، يهيمن عليهم الجهل، والأعرابية، ويسيرهم الهوى؛ فلم يكن لديهم علماء يهذبون لهم أفكارهم، ويحددون لهم مذاهبهم، ويهتمون بإعطائها صفة معقولة ومنسجمة، إلا بعد أن مضت المئات من السنين، وقد كان ذلك في مستويات بدائية ضحلة، وغير ناضجة..

فمحاولة مقايستهم بالشيعة وحتى بالمرجئة تصبح محاولة فاشلة، ليس لها ما يبررها.

ويقول البعض: «..ولعل ما يلفت النظر بشأن شعراء الفرق الخارجية، أن شعر كل جماعة منهم جاء متناسباً مع حجم الأعمال العسكرية، التي

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

قامت بها كل منها؛ فالأزارقة كثر شعرهم الحربي؛ تسجيلاً لبطولاتهم، وانتصاراتهم الحربية؛ لأن وجودهم كان سلسلة متصلة من المعارك المتواصلة. والصفورية قلّ شعرهم الحربي، لأن أكثرهم مال إلى القعود. ولكن يبدو: أن الرواة قد حالوا بيننا وبين ما قيل في تصوير انتصارات شبيب الحروري الأسطورية.

أما النجدية؛ فإن الخلافات المبكرة في صفوف زعمائهم حالت بينهم وبين الأعمال الحربية العظيمة المستمرة، فقل شعرهم بذلك. والإباضية لم نسمع لهم شعراً إلا بعد أن قاموا بمحاولاتهم الجدّية للاستيلاء على بلاد الحجاز، واليمن، وما دونهما^(١).

خلاصة الرأي في أدب الخوارج:

ونقول:

إن ما يقال عن وجود حياة أدبية ذات قيمة لدى الخوارج لا يمكن قبوله على إطلاقه، فإن غاية ما يمكن أن يقال هنا هو: إنه قد ظهرت منهم في حروبهم أو في غيرها بعض المقطوعات، النثرية والشعرية، التي جاء أكثرها حماسياً، ولكن لم يكن فيها الكثير من الجمال والإبداع، بحيث يهتم بتدوينها هواة الشعر والأدب، وجامعوه في كتبهم ومصادرهم.

ولأجل ذلك نلاحظ: أن أبا الفرج والمسعودي لم يوردا إلا النزر اليسير من أخبارهم الأدبية، كما أن ابن قتيبة لم يأت على ذكرهم في كتابة الشعر

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٢.

والشعراء، إلا بشأن سرقات الطرماح من الشعراء الآخرين، بينما ابن سلام لا يرى أحداً منهم يستحق التصنيف في طبقاته^(١).

وإذا كانت الكتب التاريخية، وهي تسجل لنا تاريخ الخوارج قد أوردت ما أنشأوه في مواقفهم المختلفة، فإن ذلك قد جاء رعاية لأمانة النقل، وحفاظاً على تناسق الأحداث.. لا لأنها كانت تمتاز بجمال لاف، استحققت لأجله التسجيل.

وقد حاول البعض إرجاع عدم وجود رواية لمقطوعات أدبية بكثرة لهم، في ما بأيدينا من كتب الأدب وغيرها إلى تعمد الرواة، والمؤرخين تجاهل ذلك. وهو الأمر الذي نشأ عنه ضياع نتائجهم الأدبي، فلم يصلنا إلا القليل من شعرهم^(٢).

وقد رأوا: أن هذا التعمد يرجع - كلاً، أو بعضاً - إلى الأسباب التالية:

- ١ - إن اللعنات التي انصبت على الخوارج، عامة قد انعكست على آثارهم الأدبية، فاضطهدهم الرواة والمؤرخون، وأهملوا إنتاجهم وتركوه نهياً للضياع^(٣).
- ٢ - إن بعض المؤرخين قد يكون قد أهمل شعر الخوارج كرهاً لهم.
- ٣ - أو تجنباً لإثارة خصوم الخوارج عليهم.

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

(٢) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

(٣) القاضي النعمان في كتابه: الفرق الإسلامية في الشعر الأموي ص ٤٠٦ نقلنا ذلك

عنه بواسطة كتاب: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٣ و ٢٥٤.

٤ - إن الخوارج لم يتخذوا الشعر حرفة للتكسب، فلم يحرصوا على روايته وإثباته.

٥ - إن سيطرة القرآن ووجدانهم عليهم قد حال بينهم وبين الإهتمام الزائد بفن الشعر.

٦ - إن موت العديد من الشعراء في الحروب المتواصلة كان سبباً لضياح أكثر شعرهم، لأن أبرز شعرائهم كانوا هم فرسانهم الذين قتلوا^(١).
ونقول:

إن نفس ذلك الشخص الذي ذكر ما تقدم قد أجاب على النقاط الثلاث الأولى. فلا حاجة إلى الحديث عنها.

وأما بقية النقاط، فنحن نشير فيما يرتبط بها إلى المناقشات التالية:

١ - إن آخرين منهم (أي من الرواة والمؤرخين) أبدوا اهتماماً زائداً بشعرهم. وأخبارهم أيضاً؛ فلم يتخرجوا من نقل أخبار بطولاتهم الحربية، وشجاعتهم النادرة؛ فهذا ما نلاحظه في كامل المبرد، وتاريخ الطبري، وأنساب البلاذري، وغيرها من المصادر القديمة.

٢ - يضاف إلى ذلك: أن جمع الأدب وتسجيله، قد تم في فترة زمنية لم يكن فيها للخوارج شأن خطير، ولا شوكة ظاهرة. وفي وقت لم يجد فيه بعض المؤرخين حرجاً في إثبات روايات أبي عبيدة، معمر بن المثنى، الخارجي، اليهودي الأصل^(٢).

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٤ فما بعدها.

(٢) أحال هذا القائل هنا على كتاب: وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٢٧.

فلا يصح بعد هذا أن يُعمم الحكم؛ فيقال: إن أخبار الخوارج قد طمست، وإن أشعارهم قد دفنت.

٣ - فالرواة الذين نقلوا إلينا أعنف افتراء على علي بن أبي طالب «عليه السلام»، في مديح عمران بن حطان لابن ملجم، لا يتخرجون في نقل ما هو أخف حدّةً، وأقل عنفاً^(١).

٤ - وأما دعوى: أنهم لم يحرصوا على إثبات شعرهم، لكونهم لم يتخذوه للتكسب.

فهي غير وجهية؛ إذ قد رأينا أن المؤرخين قد أثبتوا جميع أنواع الشعر، ورووه، بل إن رواية الشعر الذي يقال: إنه لغير التكسب أدعى، وأولى بالإثبات، سواء بالنسبة لصاحب الشعر، أو بالنسبة لغيره ممن تصدى من الناس للرواية وللكتابة.

٥ - وحول سيطرة القرآن على وجدان الخوارج، حتى صرفهم ذلك عن الاهتمام الزائد بفن الشعر، نقول:

إن هذا الكلام يستبطن إنكار أن يكون للخوارج أدب وشعر من الأساس. أضف إلى ذلك: أنها دعوى يكذبها ما ثبت عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وصف الخوارج، من أنهم يقرءون القرآن، ولا يجاوز تراقيهم^(٢). فإن معنى ذلك هو: أنه لا سيطرة للقرآن على وجدانهم، فلا تأثير له

(١) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٥٤.

(٢) تقدمت مصادر هذه الرواية في أوائل الكتاب، فراجع.

إذن على موقفهم من الأدب والشعر، لا سلباً ولا إيجاباً..

٦ - ثم إن ما ذكر أخيراً من أن شعراءهم إنما كانوا فرسانهم، وقد قتلوا في الحروب؛ فذلك هو سبب عدم نقل شعرهم إلينا.. لا يصح أيضاً، إذ إن الشعر إنما يرويه الآخرون عنهم، ممن سمعه منهم. وقد عاش هؤلاء الفرسان: الشعراء (حسب الفرض) إلى حين قتلوا - عاشوا - بين المئات والألوف من الناس، فلماذا يختفي شعرهم فقط، ولا يختفي شعر الكثيرين من الفرسان، الذين أكلتهم الحروب، وقد خلدها عنهم الرواة والمؤرخون؟!

إلا أن يكون المقصود بالشعر الذي لم ينقل هو تلك الأرجاز التي تأتي على البديهة في ساحة الحرب والنزال، وهي جهد ضئيل، لا يكاد يصل إلى درجة أن يصبح حياة أدبية لطائفة واسعة الانتشار في طول البلاد الإسلامية وعرضها.

صعصة.. والخوارج!!:

ولا بد من التذكير هنا بحقيقة: أن كل خطب الخوارج، وكل أراجيزهم الحماسية، لم تستطع أن تصمد أمام المنطق القوي، والبليغ، والحازم الذي كان يواجههم به اصحاب أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، ولا سيما صعصة بن صوحان العبدي، الرجل الفذ، الذي جمع إلى بلاغة المنطق، صواب القول، وسطوع الحجّة، فبهرهم بذلك، وأعجزهم عن مجاراته، حتى أصبحت مواقفه معهم مثلاً سائراً في الناس، يقول الجاحظ: إن أشيم بن شقيق، بن ثور، قال لعبد الله بن زياد، بن ظبيان: «ما كنت تقول لربك وقد حملت رأس مصعب بن الزبير إلى عبد الملك بن مروان؟! »

قال: أسكت، فأنت يوم القيامة أخطب من صعصعة بن صوحان، إذا تكلمت الخوارج»^(١).

وقد بلغ من تأثير خطب صعصعة: أنه وعظهم مرةً، فرجع منهم خمس مئة، فدخلوا في جملة علي وجماعته^(٢).

بل يذكر طه حسين: أن صعصعة وعظهم؛ فرجع منهم ألفان^(٣) ولعل ذلك كان في مناسبة أخرى له معهم.

وقال البلاذري: «..فبعث إليهم علي، ابن عباس، وصعصعة، فوعظهم صعصعة وحاجهم ابن عباس، فرجع منهم ألفان»^(٤).

من خطب ومواقف صعصعة مع الخوارج:

وقد ذكر المفيد «رحمه الله» أحد مواقف صعصعة مع الخوارج، وهو يدل على ثبات قدم صعصعة في مجال الخطابة والوعظ، وعلى قوة عارضته، ثم على ثباته في عقيدته، وثاقب فكره، ووعيه.

يقول النص المحكي عنه: لما بعث علي بن أبي طالب «صلوات الله وسلامه عليه» صعصعة إلى الخوارج قالوا له: رأييت لو كان علي معنا في موضعنا،

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٣٢٦ و ٣٢٧ وذكر المعتزلي هذا النص في شرحه للنهج ج ٣ ص ٣٩٨ لكنه لم يذكر الخوارج، ونص عبارته هكذا: «إن تركت أحتج، كنت أخطب من صعصعة بن صوحان».

(٢) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٥٤.

(٣) الفتنة الكبرى ج ٢ ص ٩٥.

(٤) أنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٣٥٥.

أتكون معه؟!

قال: نعم.

قالوا: فأنت إذاً مقلد علياً دينك!! إرجع فلا دين لك.

فقال لهم صعصعة: ألا أقلد من قلد الله فأحسن التقليد؛ فاضطلع بأمر الله صديقاً لم يزل؟! أو لم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا اشتدت الحرب قدمه في هواتها؛ فيطأ صماخها بأخمصه، ويحمد لهبها بحدّه، مكدوداً في ذات الله، عنه يعبر رسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون؛ فأنى تصرفون؟ وأين تذهبون؟ وإلى من ترغبون؟ وعمّن تصدقون؟ عن القمر الباهر؟ والسراج الزاهر، وصراط الله المستقيم، وحسان الأعد^(١) المقيم. قاتلكم الله أنى تؤفكون؟ أفي الصديق الأكبر، والغرض الأقصى ترمون؟ طاشت عقولكم، وغارت حلومكم، وشاھت وجوهكم. لقد علوتم القلة من الجبل، وباعدتم العلة من النهل.

أتستهدفون أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»، ووصي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟ لقد سوّلت لكم أنفسكم خسراناً مبيناً. فبعداً وسحقاً للكفرة الظالمين، عدل بكم عن القصد الشيطان، وعمى لكم عن واضح المحجة الحرمان.

فقال له عبد الله بن وهب الراسبي: نطق يا بن صوحان بشقشقة بغير، وهدرت فأطنبت في الهدير. أبلغ صاحبك أنا مقاتلوه على حكم الله والتنزيل.

فقال عبد الله بن وهب أبياتاً.

(١) في بعض النسخ: وسبيل الله المقيم.

قال العكلي الحرماوي: ولا أدري أهى له أم لغيره:

نقاتلكم كي تلزموا الحق وحده ونضربكم حتى يكون لنا الحكم

فإن تبتغوا حكم الإله نكن لكم إذا ما اصطلحنا الحق والأمن والسلم

وإلا فإن المشرفية محذم بأيدي رجال فيهم الدين والعلم

فقال صعصعة: كأني أنظر إليك يا أخا راسب مترملاً بدمائك، يحجل الطير بأشلائك، لا تجاب لكم داعية، ولا تسمع لكم واعية، يستحل ذلك منكم إمام هدى. قال الراسبي:

سيعلم الليث إذا التقينا دور الرحى عليه أو علينا

أبلغ صاحبك: أنا غير راجعين عنه، أو يقر الله بكفره، أو يخرج عن ذنبه، فإن الله قابل التوب، شديد العقاب، وغافر الذنب؛ فإذا فعل ذلك بذلنا المهج.

فقال صعصعة: عند الصباح يحمد القوم السرى.

ثم رجع إلى علي «صلوات الله عليه»، فأخبره بما جرى بينه وبينهم الخ..^(١).

فالراسبي لم يجب صعصعة إلا بالشتم والإهانة، ولم يكن لديه حجة، ولا دليل منطقي يبرر به ما يقدم عليه.. بل هو حتى لم يقابل الموعدة، بالموعدة ولا النصيحة بالنصيحة، بل أعلن عن أطماعه الدنيوية بالوصول إلى الحكم، وأن يكون لهم دون غيرهم. ونجد صعصعة يقدم صوراً رائعة من البلاغة، والوعي، والعقلانية، والغيرة على مصلحة الأمة، والعمق العقيدي القائم على أساس قوي، ومتين وعلى الرؤية الواضحة.

(١) الاختصاص ص ١٢١ و ١٢٢.

وفي نص آخر: «أنه لما فارقت الخوارج علياً «عليه السلام»، ونزلوا حروراء مع ابن الكواء بعث علي «عليه السلام» إليهم ابن عباس، وصعصعة. فقال لهم صعصعة: إنما يكون القضية من قابل؛ فكونوا على ما أنتم حتى تنظروا القضية كيف تكون.

قالوا: إنما نخاف أن يحدث أبا (كذا) موسى شيئاً يكون كفراً. قال: فلا تكفروا العام مخافة عام قابل. فلما قام صعصعة، قال لهم ابن الكواء: أي قوم، أستم تعلمون أني دعوتكم إلى هذا الأمر؟ قالوا: بلى.

قال: فإن هذا ناصح فأطيعوه»^(١).

هفوة ظاهرة:

ولا حاجة بنا إلى التعريف بصعصعة، ووفائه الظاهر لأمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أن مات، ودفاعه عن قضيته «عليه السلام» في قبال الخوارج وغيرهم بكل ما أوتي من قوة وحول. فإن ذلك من بديهيات التاريخ التي لا يرقى إليها أدنى شك أو شبهة، ولكننا - مع ذلك - نجد الجوزجاني يعد صعصعة بن صوحان بالذات في جملة الخوارج الذين نبذ الناس حديثهم اتهاماً لهم^(٢) فاقراً ذلك واعجب ما بدا لك، فإنك ما عشت أراك الدهر عجباً.

(١) لسان الميزان ج ٣ ص ٣٢٩ عن يعقوب بن شيبه.

(٢) أحوال الرجال ص ٣٥.

الباب التاسع:

تلك هي البداية.. وهذه هي النهاية..

الفصل الأول:

يكون آخرهم لصوصاً سلابين..

بداية:

قد أشرنا فيما سبق إلى أن الخوارج من بين سائر الفرق كانوا أسرع ما يكون إلى التشعب والتفرق إلى فرق، ومذاهب شتى.. ولذا.. فقد ظهرت لهم فرق كثيرة.. ولكنها سرعان ما اختفت وبادت.

بل إن أكبر فرقهم وأهمها، وهي: الأزارقة والنجدات، والعجاردة، قد بادت واختفت أيضاً كغيرها من الفرق الصغيرة.. ولم يبق منهم إلى عهد ابن حزم سوى فرقتي الإباضية والصفورية، وكان الغالب على خوارج الأندلس في زمانه النكار من الإباضية^(١).

وكان الخلاف ينشب بينهم لأتفه الأسباب، فيصرون لأجلها فرقا دينية، يقتل بعضهم بعضاً، ويرأ بعضهم من بعض، على حد تعبير ابن شاذان^(٢).

ويكفي أن يراجع - على سبيل المثال - ما فعلته فرقة الحمزية منهم بالخوارج من أتباع الفرق الأخرى من القتل والجرائم^(٣).

كما أنه ولأجل سبب بسيط تافه نجد أصحاب قطري بن الفجاءة يفترون

(١) الفصل لابن حزم ج ٤ ص ١٩٠ و ١٩١.

(٢) الإيضاح ص ٤٨.

(٣) الفرق بين الفرق ص ٩٨ و ١٠٠.

إلى فرقتين:

إحداهما: معه.

والأخرى: مع عبد ربه الصغير.

ثم تنشب معركة فيما بينهم أجلت عن ألفي قتيل^(١)..

وقد أدرك المهلب بن أبي صفرة نقطة الضعف هذه فيهم، فكان يهتم في خلق الأسباب - وكثير منها حقير وتافه - لإلقاء الخلاف فيما بينهم وتمزيقهم^(٢)؛ وليواجههم - من ثم - في ساحة الحرب، وهم جماعات صغيرة، لا تكاد تقوى على تسجيل نصر حاسم، مهما كانت الظروف والأحوال..

ويكفي أن نذكر هنا - كشاهد على ذلك - النص التاريخي الذي يقول: «وكتب المهلب جواب الحجاج: إني منتظر بهم إحدى ثلاث: موتاً ذريعاً، أو جوعاً مضراً، أو اختلافاً في أهوائهم»^(٣).

نعم.. وهذا ما نبه إليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، حينما قال لهم: «وأنتم معاشر أخفاء الهام، سفهاء الأحلام».. وقد أشار الآخرون إلى هذه الناحية فيهم حسبما قدمنا، فلا حاجة إلى الإعادة.

الخوارج: فورة وخمود:

قال بروكلمان: «كان الخوارج الذين هزموا في كل مكان تقريباً قد ثبتوا

(١) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٩٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ٢٠٤.

(٢) راجع: الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٩٣ و ٣٨٢ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤

ص ١٩٦ و ١٩٧ و ٤٠٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٦١.

(٣) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٧٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٩٠.

فترة طويلة في سجستان جنوب شرقي إيران، وهي المقاطعة التي تفصل اليوم بين إيران الحالية وأفغانستان، ولكنهم كانوا قد انحطوا إلى درك اللصوصية والنهب في ذلك الإقليم النائي، الذي ترك أمره في أيام هارون الرشيد للحكام الوطنيين، فلم يشدّ إلى الإدارة المركزية شداً محكماً، ومن هنا اضطر أهل البلاد إلى مقاتلتهم دفاعاً عن النفس الخ..^(١).

وقد تنبأ أمير المؤمنين «عليه السلام» بهذا المصير لهم أيضاً، حينما قال عنهم: «كلما نجم منهم قرن قطع، حتى يكون آخرهم لصوصاً سلايين»^(٢).

يقول المعتزلي في شرحه: «وهكذا وقع، وصح إخباره «عليه السلام» أيضاً: سيكون آخرهم لصوصاً سلايين، فإن دعوة الخوارج اضمحلت، ورجالها فنيت، حتى أفضى الأمر إلى أن صار خلفهم قطاع طريق، متظاهرين بالفسوق والفساد في الأرض»^(٣).

وقال أيضاً: «..وقد وقع ذلك؛ فإن الله تعالى سلط على الخوارج بعده الذل الشامل، والسيف القاطع، والأثرة من السلطان، وما زالت حالهم تضمحل، حتى أفناهم الله تعالى، وأفنى جمهورهم الخ..^(٤).

أما ابن ميثم البحراني؛ فيقول: «..وأما كون آخرهم لصوصاً سلايين؛

(١) تاريخ الشعوب الإسلامية ص ٢١٦ و ٢١٧.

(٢) نهج البلاغة (مطبوع مع شرح محمد عبده) الخطبة رقم ٥٨ وبحار الأنوار (ط

حجرية) ج ٨ ص ٥٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٧٣.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٤ ص ١٣٢.

فإشارة إلى ما كانوا يفعلونه في أطراف البلاد؛ بأصبهان، والأهواز، وسواد العراق، يعيشون فيها بنهب أموال الخراج، وقتل من لم يدين بدينهم، جهراً وغيلةً. وذلك بعد ضعفهم وتفرقهم، بوقائع المهلب وغيرها، كما هو مذكور في مظانه الخ..»^(١).

ويقول فلهوزن عن خوارج البصرة: «وهؤلاء الخوارج البصريون كانوا يسلكون مسالك اللصوص والسفاحين»^(٢).

ومما سهل عليهم ذلك: طبيعة تعاليمهم، وعقيدتهم بالنسبة إلى كل من سواهم، حيث دعاهم ذلك إلى اتباع كل أسلوب حتى أسلوب اللصوصية والسلب بالنسبة إلى غيرهم، ممن لا يتبع مذهبهم، ولا يدين بدينهم.

أضف إلى ذلك: أن جفاءهم وقسوتهم، ومعه جهلهم أيضاً قد سهّل عليهم ارتكاب أمور كهذه، ولا سيما إذا كانت موافقة لأهوائهم ومطامعهم، وملبسةً بلباس الدين، ومبررة على أساس شرعي مزعوم.

ومما زاد الطين بلة والخرق اتساعاً، وأطلق لهم العنان في هذا الاتجاه، وجعله أمراً مألوفاً، ذلك الرفض الاجتماعي لهم، والتحاشي والحذر منهم، الذي جعلهم معزولين عن الحياة الاجتماعية، وعن النشاطات الحيوية فيها، وحرمتهم من لذة المشاركة الإنسانية في تيارها الزاخر بالعواطف النبيلة، ومدى العارم الحنون. وأخيراً.. فإن هذه الحال التي أخبر عنها أمير المؤمنين «عليه السلام» لم تنزل قائمة إلى يومنا هذا فإن أتباع الفرقة الإباضية التي عاشت وانتشرت في شمالي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي عمير ج ٢ ص ١٥٥.

(٢) الخوارج والشيعة ص ٦٠ و ٦١.

إفريقية، وفي عمان، وفي حضر موت، وزنجبار، واستمرت إلى يومنا هذا^(١).
«كانوا لا يختلفون إلا من حيث الاسم عن اللصوص الأذنياء، وكانوا يستحقون أن يعاملوا كما يعامل اللصوص»^(٢).

من عوامل الإنحسار:

ولا يخفى أنه قد كان لسرعة تفرق الخوارج آثار كبيرة على حياتهم ومصيرهم.. وقد ساعد على حصول هذه الحالة وتفاقمها فيهم: أنهم كانوا في كثير من الأحيان، بل في أكثرها أخلاطاً من الناس، لا تربطهم إلا رابطة المصالح والأهواء، مع ما يصحب ذلك من بداوة وجهل، وغير ذلك.
ولعل طبيعة الشعارات التي كانوا يرفعونها كانت تجذب إليهم أولئك الشباب الأحداث المتحمسين، الذين كانوا من مختلف الفئات، والطبقات والثقافات، ولكن من دون أن يكون لمضمون تلك الشعارات أي تأثير على سلوكهم الشخصي، شأن المنافقين في هذه الأيام، فإن الشعارات التي يرفعونها، وما يترتب عليها من إثارات عاطفية على العناصر التي يستفيدون منها من شأنها أن تولد في نفوس تلك العناصر أحقاداً على الآخرين، بلا سبب ظاهر، ثم يتصرفون تجاههم برعونه ظاهرة، ويتخذون المواقف القوية

(١) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٦ وراجع: تاريخ الفرق الإسلامية ص ٢٨٤ عن العقيدة والشرعة لجولد تسيهر ١٧٣ وفيه: أنهم يقيمون في إقليم جبل نفوسة بطرابلس الغرب، وزنجبار وراجع: الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي ص ١٥٠ وأضاف فيه: جربة وسيوة.

(٢) تاريخ الدولة العربية ص ١١٨.

والمتطرفة، على أساسها.

وهذا ما يفسر لنا ما جاء عن أئمتنا «عليهم السلام»: من أن الحق الذي كان يعتمل في نفوس الخوارج كان وراء كل مواقفهم المتطرفة تلك.

هذا.. ويلاحظ: أنهم حين يرتجلون المواقف، لم يكونوا مهتمين بالبحث عن فرصة للأناة وللتروي في مواقفهم، والتخطيط لها، بل هم يمعنون في العفوية والارتجال، ولا يروق لهم العمل السري المنظم؛ إذ إنهم كانوا يتجنبون قدر الإمكان العمل بمبدأ التقية. وكان الأزارقة لا يجيزون التقية، وخالفهم في ذلك نجدة الحنفي^(١).

كما أن الحدة والقسوة التي امتازت بها عقائدهم، ومواقفهم، كانت هي النتيجة الطبيعية لما ذكرناه آنفاً، بالإضافة إلى عدم وضوح كثير من الأمور الدينية لديهم، حتى إنهم كانوا غير قادرين على التمييز بين الإيمان والكفر، وموجباتها، فاختلطت الأمور عليهم، وعانوا من الشبه الكثيرة، التي كانت تعرض لهم وتمزقهم، إلى شيع وأحزاب..

وكان لطبيعة حياتهم وظروفهم، وواقعهم الخاص - الذي كانوا يعانون منه - الأثر بشكل أو بآخر في جنوحهم إلى التسرع في إصدار الأحكام الفاصلة والحادة، التي تبيح لهم، حسب فهمهم استباحة الأنفس، والأموال، والأعراض بسرعة.

بل نجد: أن زعماء الأزارقة يتخذ الخلاف بينهم طابعاً عنصرياً، «فقد تكتلت الموالي والأعاجم ضد أميرهم قطري بن الفجاءة، ومن معه من العرب،

(١) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢٨٥.

وأخرجوهم من ديارهم بعد قتال أسفر عن قتل ألفي رجل»^(١).

وقد كان لتشتتهم هذا، أثر كبير في القضاء على دعوتهم، بالإضافة إلى ما قدمناه من نظرتهم، وتعاملهم مع غيرهم من المسلمين، بسبب قسوة كثير من تعاليمهم، وتطرف آرائهم وعقائدهم بصورة عامة، فلم يكن لغيرهم خيار سوى خيار الحرب لهم، والسعي للقضاء عليهم وعلى دعوتهم بأي ثمن.

وهكذا.. يتضح: أن تلك الآراء قد ساهمت بشكل فعال في انحسار دعوتهم عن مراكز النفوذ والحركة، والقوة والازدهار الثقافي في الدولة الإسلامية؛ ليعيشوا في مناطق نائية، فيها الكثير من مظاهر الجهل، والحرمان، والبداءة، وحرمتهم إلى حد كبير من السير بخطى واسعة نحو المشاركة في المد الثقافي، والعلمي، الذي كان يحتاج العالم الإسلامي، ويزداد طغياناً وقوة باستمرار..

وكذلك حرمتهم من التمتع بملذات الحياة، وبالطيبات من الرزق. حتى انتهى الأمر بهم إلى أن يكونوا لصوصاً سلايين، حسبما أخبر به أمير المؤمنين «عليه السلام».

مواقفهم من غير المسلمين:

لقد كان لموقف الخوارج على اختلاف نحلهم من غير المسلمين تأثيرات هامة على مجريات الأمور بالنسبة إليهم، ولا تزال هذه التأثيرات باقية بسبب بقائهم على مواقفهم تلك.

(١) الكامل للمبرد ج ٣ ص ٣٩٣.

فإن الخوارج الذين يقولون بوجوب قتل المسلمين، وبعض كبريات فرقهم، تجيز حتى قتل الأطفال والشيخوخ منهم - قد وقفوا من غير المسلمين موقفاً إيجابياً ومتعاطفاً معهم للغاية..

ويكفي أن نذكر: أن واصل بن عطاء قد استطاع هو ومن معه التخلص من الموت المحتم على أيديهم، حين ادّعى أنه هو وأصحابه مشركون، يريدون أن يسمعوا كلام الله، وأن عليهم أن يبلغوهم مآمنهم، كما نص عليه القرآن. فكان له ما أراد وبعد أن أسمعوهم دعوتهم، ساروا معهم بجمعهم حتى أبلغوهم مآمنهم، والقضية معروفة ومشهورة^(١).

وقد جرى مثل ذلك بين بعض النصاري، وبين شبيب الخارجي^(٢). كما أن سهم بن غالب الخارجي، كان يأخذ المسلمين؛ فيقتلهم، بينما يخلي سبيل يهود صرحوا له بيهوديتهم^(٣).

وحين لقي ابن عرياض الخوارج وهم يجزون الناس بسيوفهم، قال لهم: هل خرج إليكم في اليهود شيء؟ (يوهمهم أنه يهودي). قالوا: لا.

(١) راجع على سبيل المثال: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٥ ص ٨٠ و ٨١ وج ٢ ص ٢٨١ والكامل في الأدب ج ٣ ص ١٦٤ و ١٦٥ والأذكياء ص ١٢٤ و ١٢٥ ونشوار المحاضرة ج ٢ ص ٢٥٠ وكشف الإرتياب ص ١١٨ وراجع: الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٣٤ عن تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ٣٨٩ وفجر الإسلام ص ٢٦٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٥٨.

(٣) الكامل في التاريخ ج ٣ ص ٤١٨.

قال: فامضوا راشدين، فمضوا وتركوه^(١)

وهذه التورية كتورية مؤمن الطاق؛ حينما لقيه خارجي وبيده سيف، فقال له الخارجي: والله لأقتلنك أو تبرأ من علي «عليه السلام».

فقال له: أنا من علي، ومن عثمان بريء، يريد: أنه من علي «عليه السلام» وبريء من عثمان^(٢).

وقال الطبري: «وجاء أهل البت إلى شبيب، وكان قد نزل ببيعتهم، فقالوا له: أصلحك الله، أنت ترحم الضعفاء، وأهل الجزية، ويكلمك من تلي عليه، ويشكون إليك ما نزل بهم؛ فتنظر لهم، وتكف عنهم. وإن هؤلاء القوم (يعني العراقيين، أتباع السلطة) جابرة، لا يكلمون، ولا يقبلون العذر. والله، لئن بلغهم أنك مقيم ببيعتنا ليقْتُلُنَّا، إن قضي لك ان ترحل عنا؛ فإن رأيت فانزل جانب القرية، ولا تجعل لهم علينا مقالا؟ قال: فإني أفعل ذلك.

ثم خرج، فنزل جانب القرية الخ..^(٣)

كما أن من طريف أخبارهم: «أنهم أصابوا في طريقهم مسلماً، ونصرانياً؛ فقتلوا المسلم، لأنه عندهم كافر؛ إذ كان على خلاف معتقدهم. واستوصوا بالنصراني، وقالوا: احفظوا ذمة نبيكم»^(٤).

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٥.

(٢) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٦٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج ٥ ص ٧٦.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨٠ والكامل للمبرد ج ٣ ص ٢١٢ و بهج

كما أن رجلاً منهم عرض لخنزير، فقتله؛ فقالوا: هذا فساد في الأرض فمضى الرجل إلى صاحب الخنزير فأرضاه.

وحسب نص البلاذري، قالوا له: بم استحلت قتل هذا الخنزير وهو لرجل معاهد؟^(١).

وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة: فقال: هي لكم.

فقالوا: ما كنا لناخذها إلا بثمن.

فقال: ما أعجب هذا؟! أتقتلون مثل عبد الله بن خباب، ولا تقبلون منا جنى نخلة؟!^(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز لشوذب الخارجي ورفيقه: «أفستم تلقون من خلع الأوثان، ورفض الأديان، وشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،

الصباغة ج ٧ ص ١١٢ عنه وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج ٢ ص ٤١٢ و ٣٦٦ و ٣٦٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٤ ص ٦٠ و ٦١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٥١ والعقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠.

(١) الإمامة والسياسة ج ١ ص ١٤٧ وكشف الإرتياب ص ١١٨ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٨٨ والكامل في التاريخ ج ٣ ص ٣٤٢ والفخري في الآداب السلطانية ص ٩٤ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨١ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٣٦٦ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١١٢.

(٢) الكامل في الأدب ج ٣ ص ٢١٣ والعقد الفريد ج ٢ ص ٣٩٠ و ٣٩١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٢ ص ٢٨٢ والجوهرة في نسب علي «عليه السلام» وآله ص ١٠٦ وبهج الصباغة ج ٧ ص ١١٢.

تستحلون دمه وماله، ويلعن عندكم. ومن ترك ذلك وأباه من: اليهود والنصارى، وأهل الأديان، فتحرمون دمه، وماله، ويأمن عندكم»؟! (١).

ويقول البعض: «..وهم يهرقون دم أعدائهم من المسلمين، وجهادهم ليس موجهاً ضد المشركين، ولكن ضد المسلمين، لأنهم يرونهم أشنع من المشركين، ومن النصارى، واليهود، والمجوس. ومنهم الذين يجعلون أهل الكتاب من اليهود والنصارى على قدم المساواة مع المسلمين إذا اعترفوا بكلمة التوحيد، وأن الرسول رسول العرب، وليس رسولاً لهم» (٢).

وقال فلهوزن: «ولم يعد جهادهم ضد الكفار، بل ضد أهل السنة والجماعة من عامة المسلمين، إذ كانوا يرون في هؤلاء كفاراً بل أشد كفراً من النصارى، واليهود والمجوس، ويحسبون قتال عدوهم هذا الداخلي أهم الفروض» (٣).

نتائج وآثار:

وقد كان لهذا الموقف الغريب للخوارج المتعاطف مع غير المسلمين، والحاد والقاسي مع المسلمين أنفسهم نتائج متفاوتة في ثلاثة اتجاهات:

الأول: بالنسبة لعلاقاتهم هم بالمسلمين. فإنها وصلت في ترديها إلى نقطة اللاعودة، حيث لم يعد بإمكان أي مسلم أن يقترب منهم، أو أن يطمئن

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٤٠٣ وقريب منه في الكامل في التاريخ ج ٥ ص ٤٧.

(٢) نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي ص ١٧٢.

(٣) الخوارج والشيعة ص ٤٣.

إليهم، ودفع الناس إلى العمل بكل جدية وتصميم إلى التخلص منهم.. يقابله تصميم من قبلهم على إبادة الناس وقتلهم. واندفاع مجنون إلى ذلك دون أن يكون هناك أي حدود أو قيود..

فنتج من بين هذا وذاك حروباً ضارية أهلكت الحرث والنسل. من دون فائدة ظاهرة.

هذا عدا عن تكريس انفصا لهم الأبدى عن جماعة أهل الإسلام. ودفع الناس إلى حروب تحمل في مضمونها الدفاع عن حكومة الجائرين من بني أمية وغيرهم.

الثاني: بالنسبة لعلاقاتهم بالنصارى واليهود، فإنهم قد استفادوا من سياساتهم هذه تجاههم، مزيداً من التأييد من أهل الكتاب لحركتهم، وهو ما أشار إليه فلهوزن حيث قال عن شبيب الخارجي: «..ويهم على العدو على غرة منه، وكان في الغالب على اطلاع على عمليات العدو وتحركاته، لأنه كان على تفاهم تام مع نصارى البلاد، الذين رأوا فيه نصيراً ضد المستبدين بهم، وإذا كان هؤلاء النصارى لم يقفوا إلى جانبه علناً، فقد قدموا له خدمات جليلة، كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً»^(١).

وكان من نتائج ذلك: أن سهّل على أعداء الله، وعلى الدول الإستعمارية على مدى التاريخ إقامة علاقات طبيعية بل وحميمة جداً مع البلاد التي يسيطر عليها الخوارج، أو من هم على مثل رأيهم، وجعل ذلك مقبولا لدى عامة

(١) الخوارج والشيعة ص ٩٩.

الناس منهم؛ لأنه منسجم مع نظرهم الدينية، أو هكذا صُور أو شُبّه لهم!!
ونقصد بمن هم على مثل رأيهم خصوص الوهابيين، الذين لهم أوجه
شبه كبيرة مع الخوارج، كما سيأتي إن شاء الله في مقايضة أجريناها بين مبادئ
وعقائد وواقع الخوارج، وبين الوهابيين.

الفصل الثاني:

مفارقات في الموقف والممارسة..

مرونة أم تحلل؟!

قلنا: إن الخوارج كانوا يظهرون التزامهم الديني، وأن تعاليمهم الدينية قاسية، وحادة، بحيث إن التخلف عن هاتيك التعاليم، أو عن بعضها يكون مساوفاً للتخلف عن الإسلام نفسه، والعدول عنه إلى الكفر والشرك.

وموقف الخوارج من كل من عداهم موقف شديد للغاية، حيث يكفرون جميع من عداهم، ولا يقبلون منهم إلا الإسلام أو السيف، ويحل قتل أطفالهم ونسائهم، والغدر بهم، ويكفرون القعدة عن القتال، ولا يميز أكثرهم التقية، إلى غير ذلك من أحكام تقدمت الإشارة إلى بعضها..

وعلى هذا، فإن أي انسجام يكون بين أي منهم وبين غيرهم يدخل في دائرة المخالفة والخروج عن الدين، بل والكفر الذي يستحق فاعله القتل.

وفي المقابل، فإن الشيعة لا يرون بأساً بالتعامل مع غيرهم من أهل الملل الأخرى إذا لم يكن فيه تأييد للدولة، الظالمة، أو معونة على الظلم، بل كان مجرد علاقة مع الناس العاديين منهم. وكان قائماً على أساس الحق والعدل، ومع الالتزام بالأحكام الشرعية..

فإذا رأينا الشيعة يقيمون علاقات ودية مع غيرهم من أهل المذاهب الإسلامية الأخرى، فإنهم يكونون منسجمين مع تعاليم مذهبهم، وأحكام دينهم.. ويستحقون المزيد من الإجلال والإكبار لأجل ذلك، لانسجامه مع

فروض المعرفة، وقضاء العقل، وموجب الشرع.

ولكن إذا رأينا بعض الخوارج يفعلون ذلك؛ فإنهم ولا شك يكونون في دائرة الطغيان والعصيان لأحكام مذهبهم، ويكشف ذلك عن عدم التزامهم بما يرونه حكماً إلهياً شرعياً، أو عقلياً فطرياً، وهذا نقص، وانحراف، يستحق فاعله الذم، والانتقاص، بل وحتى الاتمهان، والاحتقار، والعقوبة.

ونجد في التاريخ نماذج متميزة من هذا التعامل غير المبرر في دينهم ومذاهبهم، فقد قال المسعودي:

١ - ابن إباح وهشام بن الحكم:

يقول المؤرخون: «..وكان عبد الله بن يزيد الإباضي بالكوفة، يختلف إليه أصحابه، يأخذون منه. وكان خزازاً، شريكاً لهشام بن الحكم، وكان هشام مقدماً في القول بالجسم، والقول بالإمامة على مذهب القطعية، يختلف إليه أصحابه من الرافضة، يأخذون عنه.

وكلاهما في حانوت واحد، على ما ذكرنا من التضاد في المذهب، من التشري والرفض، ولم يجر بينهما مسابّة، ولا خروج عما يقتضيه العلم، وقضية العقل، وموجب الشرع، وأحكام النظر والسير.

وذكر: أن عبد الله بن يزيد الإباضي قال لهشام بن الحكم في بعض الأيام: تعلم ما بيننا من المودة، ودوام الشركة، وقد أحببت أن تنكحني ابنتك فاطمة. فقال له هشام: إنها مؤمنة.

فأمسك عبد الله، ولم يعاوده في شيء من ذلك، إلى أن فرق الموت بينهما»^(١).

(١) مروج الذهب ج ٣ ص ١٩٤ وراجع: المحاضرات للراغب ج ٢ ص ١٣ وراجع:

٢ - الكميت والطرماح:

قال الزمخشري: «لم ير الناس أعجب حالاً من الكميت والطرماح. كان الكميت عدنانياً عصبياً، وشيعياً من الغالية، ومتعصباً لأهل الكوفة، وكان الطرماح قحطانياً عصبياً، وخارجياً من الصفرية، ومتعصباً لأهل الشام، وبينهما من المخالصة والمخالطة ما لم يكن بين نفسين قط، ولم يكن بينهما صرم ولا جفوة».

وعلى حد تعبير ابن قتيبة: «وكان بينه وبين الطرماح من المودة، والمخالطة، ما لم يكن بين اثنين، على تباعد ما بينهما في الدين والرأي؛ لأن الكميت كان رافضياً، وكان الطرماح خارجياً صفرياً، وكان الخ...»^(١).

وقيل لهما: كيف اتفقتما مع الخلاف بينكما؟!

فقالا: اتفقنا على بغض العامة^(٢).

ووصفهما جعفر المصري، فقال:

فنحن في ودٍّ، وحبٍّ كما كان كميت والطرماح

ولكن البعض قد حاول تبرئة الطرماح من نسبة الخارجية إليه.

الإمام ج ١ ص ٣٧ والبيان والتبيين ج ١ ص ٤٦ و ٤٧.

(١) ربيع الأبرار ج ١ ص ٤٤٣ و ٤٤٤ والشعر والشعراء ص ٣٦٩ وراجع: المحاضرات

للاغب ج ٢ ص ١٣ والبيان والتبيين ج ١ ص ٤٦ وراجع: الأغاني (ط ساسي)

ج ١٥ ص ١١٣ و ج ١٠ ص ١٥٦ و ١٥٧ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٥٦.

(٢) خلاصة عبقات الأنوار ج ٩ ص ٢٠١ عن ابن قتيبة.

ولكنها محاولة فاشلة، لأنها مجرد تشكيك، لا يعتمد على أساس علمي. وقد أظهر الطرماح: أنه لا يتورع عن الوقعة في سيد الوصيين «عليه السلام»، كما حصل في مجلس معاوية، وفي موارد أخرى^(١)، فليرجع إليها في مصادرها. وقد حاول بعضهم أن يناقش في أن يكون الطرماح خارجياً، فقال: وإنما الخارجي هو جده^(٢).

ولكن نقل ابن قتيبة، والزحشري لهذا الأمر، يبعد ما ذكره هذا البعض. بالإضافة إلى أنه هو نفسه قد ذكر اتصال الطرماح بخالد بن عبد الله القسري، ومدحه له، وأن خالداً كان يكرمه، ويستجده شعره^(٣).. الأمر الذي يؤيد: أن الطرماح هذا لم يكن معروفاً بحبه لأمر المؤمنين «عليه السلام» كما يدعيه المعلق، بل إن تقريب خالد له قرينة قوية على أنه كان من مبغضي أمير المؤمنين «عليه السلام». كما أن نفس كون صداقته للكميت موجبة لتعجب الناس، واعتبار ذلك أمراً ملفتاً للنظر، يؤيد خارجيته، وبغضه لعل «عليه السلام» كجده. وقد كان الشريف الرضي صديقاً لأبي إسحاق الصابي، وأمثلة هذا الأمر كثيرة، لا مجال لاستقصائها.

(١) راجع: فرائد السمطين ج ١ ص ٣٧٤.

(٢) هامش ربيع الأبرار ج ١ ص ٤٤٥.

(٣) وقد أعطاه مرة خمسين ألف درهم، ليعصي بها الله ويطيع. راجع: لباب الآداب ص ١١٤ و ١١٥ وفي هامشه عن الأغاني ج ١٠ ص ١٥٢.

وبالنسبة لصداقة العلوي مع العثماني، وأنها غير معقولة نقول: هذا لا يصلح شاهداً على ما يدعيه، لما يأتي في الفقرة التالية:

٣ - زر بن حبيش، وأبو وائل:

إذ «إن زر بن حبيش كان أكبر من أبي وائل، فكانا إذا اجتمعا جميعاً، لم يحدث أبو وائل عند زر، وكان زر يحب علياً، وكان أبو وائل يحب عثمان، وكانا يتجالسان، فما سمعتها يتناثان شيئاً قط»^(١). وقد كان أبو وائل خارجياً؛ فصداقته مع زر المحب لعلي لافتة للنظر أيضاً كما تقدم في فصل الجهل.. والعلم..

٤ - تزوج الحميري بخارجية:

وفي مورد آخر نجد الزمخشري يضيف إلى التعجب مما سبق تعجباً آخر، فيقول: «ونحوه تزوج السيد الحميري ببنت الفجاءة، واتفاقهما عمرهما»^(٢) أي مع أنها كانت خارجية.

دعبل والشرقة:

و «كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلها ويرجع، وقد أفاد وأثرى، وكانت الشرقة والصعاليك يلقونه، فلا يؤذونه. ويؤاكلونه ويشاربونه، ويبرونه. وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه، ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه ثقيف وشعف، وكانا مغنيين، فأقعدهما يغنيان، وسقاهم، وشرب معهم، وأنشدهم؛

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٦ ص ٧١ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٥ ص ٣٧٩.

(٢) ربيع الأبرار ج ١ ص ٤٥٥.

فكانوا قد عرفوه، وألفوه لكثرة أسفاره. وكانوا يواصلونه؛ ويصلونه»^(١).
ودعبل علوي الهوى، والشرأة أعداء لعلي، فما هذا التناقض والاختلاف
في مواقفهم؟!.

تناقض في المواقف:

هذا.. ولكنهم في المقابل، يقولون: «كان اليمان بن رباب من عليّة علماء
الخوارج، وأخوه علي بن رباب من عليّة علماء الرافضة، هذا مقدم في أصحابه،
وهذا مقدم في أصحابه، يجتمعان في كل سنة ثلاثة أيام يتناظران فيها، ثم
يفترقان، ولا يسلم أحدهما على الآخر، ولا يخاطبه»^(٢).

التساهل عبر الزمن:

وقد ظهر من بعض فصول هذا الكتاب، مثل فصل: نبذة عن عقائد
الخوارج وأقاويلهم، وفصل: الفقه وأصوله لدى الخوارج: - ظهر - أنه كلما
طال العهد على الخوارج، كلما ظهر لديهم ميل أكثر إلى التخفيف من حدة
تعاليمهم، وحرارة عقائدهم، وذلك تبعاً لازدياد معارفهم، وإدراكاتهم
لضرورات الحياة. حتى أصبح البعض ينكر انتساب فرقة الإباضية التي لا تزال
بقاياها حتى الآن إلى الخوارج من الأساس، كما تقدم. فالأزارقة والنجادات،
وهم أقدم فرقهم كانوا أكثر فرق الخوارج تشدداً.

وكانوا يرون استعراض الناس بالسيف، وقتلهم دون تمييز، وجعل نافع

(١) الأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج ٢ ص ١٣٧.

(٢) مروج الذهب ج ٣ ص ١٩٤.

بن الأزرق يقتل الأطفال، ويقول: إن هؤلاء إذا كبروا كانوا مثل آبائهم^(١). وفي نص آخر: وأخذ يقرر بطون النساء، ويقتل الصبيان^(٢). وعللوا ذلك: بأن من خالفهم فهو مشرك، وأن أطفال مخالفيهم في النار، ولأجل ذلك، فإن دماء الأطفال لهم حلال^(٣). أما العجاردة، فكانوا أهون من سلفهم، حيث لم يوجبوا الهجرة، كما أوجبها سلفهم. ولم يكفروا القعدة منهم، بل تولّوهم إذا عُرفوا بالتدين. ثم جاء الثعالبة - وهم فرقة من العجاردة - فخففوا الحكم بالنسبة إلى الأطفال؛ فلم يحكموا عليهم بما حكم به عليهم العجاردة من وجوب البراءة من الطفل حتى يدعى إلى الإسلام، ويجب دعاؤه إذا بلغ. أما الصفرية، فقد تساهلوا جداً مع مخالفيهم، وتفصيل ذلك يطول، فليراجع في مظانه.

ولعل لأجل ذلك انتشر مذهب الصفرية في جميع بلاد الإسلام، بما في ذلك المغرب، في أيام آخر الخلفاء الأمويين^(٤).

الإتجاه في وقت مبكر نحو التخفيف:

هذا، وقد بدأ تساهل الخوارج، يظهر في مواقف عدد من شخصياتهم

(١) راجع: الخوارج في العصر الأموي ص ٢٢١ عن الأغاني ج ٦ ص ١٣٤.

(٢) المصنف المجهول ص ٩٣.

(٣) الخوارج في العصر الأموي ص ٢٢٠ عن الكامل للمبرد ج ٣ ص ١٠٣١ والمصنف

المجهول ص ٨٠.

(٤) راجع: الإسلام، تأليف هنري ماسيه ص ١٨٧ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٣٩.

المعروفة، ثم تبلور على شكل منحى عقائدي، وديني لعدد من فرقهم وطوائفهم. ومما يشهد لهذه الحقيقة: أن التاريخ يحدثنا: أنه قد كان لجابر بن زيد موقف ودود ومرن جداً من الحجاج^(١).

كما أن ابن الكواء الذي كان من زعماء الخوارج قد دخل على معاوية، وأخذ جائزته، وقرضه تقريضاً فائقاً، حتى لقد قال له: «إنك ركن من أركان الإسلام، سدّت بك فرجة خوفه»^(٢).

ولما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشاري قال: إضربوا عنق ابن الفاجرة. فقال عمران: لبئسما أدبك أهلك يا حجاج! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به؟! أبعد الموت منزلة أصانعك عليها؟! فأطرق الحجاج استحياءً، وقال: خلوا عنه.

فخرج إلى أصحابه، فقالوا: والله، ما أطلقك إلا الله، فارجع إلى حربه معنا. فقال: هيهات، غلّ يداً مطلقها. واسترق رقبة معتقها، وأنشد:

أأقاتل الحجاج عن سلطانه بيد تقرّ بأنها مولاته
إني إذا لأخو الدناءة والذي عفت على عرفانه جهلاته
إلى أن قال:

تالله ما كدت الأمير بآلةٍ وجوارحي وسلاحها آلاته^(٣)

(١) شرح عقيدة التوحيد ص ٩٢.

(٢) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٢.

(٣) زهر الآداب ج ٤ ص ٩٢٤ و ٩٢٥.

وقد قلنا أيضاً: إن عبد الله بن إياض كان «كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان»^(١).

وإنه حاول أن يسعى بالسيد الحميري إلى المنصور، فانقلب السحر على الساحر. ووقع هو في بئر احتفرها لغيره^(٢).

واللافت هنا: أننا نجد لهم تفنناً ظاهراً في مدح معاوية، فبعض مؤلفيهم يقول:

«..قلت: وكانت لمعاوية في دولته آثار محمودة، فقد تدارك الموقف، وسد الثلمة، وشرع في الجهاد، وحماية البلاد، وركب البحر، وافتتح مناطق مشهورة، وسدد وقارب حتى نسي المسلمون أو كادوا ينسون ما وقع بينهم. وسمى ذلك العام عام الجماعة، وذلك بعد قتل علي، وتسليم الحسن»^(٣).

وربما يكون هذا الموقف لهم من معاوية قد انتهوا إليه بسبب شدة بغضهم لعلي «صلوات الله عليه» الذي قتل أسلافهم، فأطروا عدوه، وعظموه، ومالوا إليه.

من الإنكفاء إلى الإنطواء:

غير أن من الواضح: أن ذلك الاعتدال النسبي، وإن أسهم في صرف أنظار الحكام عنهم، وعدم التصدي لإبادتهم، إلا أنه لم يكن يكفي لدفعهم بصورة فعالة في المجتمع الإسلامي؛ ليستفيدوا من الآخرين بعض ما ينفعهم

(١) شرح عقيدة التوحيد ص ٩٣ والعقود الفضية ص ١٢١.

(٢) ديوان السيد الحميري هامش ص ٣٩٧ و ٣٩٨ عن أعيان الشيعة ج ١٢ ص ١٧٤.

(٣) العقود الفضية ص ٦١.

في معاشهم ومعادهم.

وقد تحدث هنري ماسيه: عن أن الصفرية قد وقفوا موقفاً وسطاً بين الأزارقة المتشددين جداً، وبين الإباضية المتساهلين، فقبل الصفرية بالامتناع الموقت عن الحرب ضد المسلمين الآخرين، واعتنقوا التقية، وعدم قتل أولاد الكفار، ثم ذاب الصفرية بالإباضيين، «وهم يمثلون العنصر المعتدل في الخوارج».

ثم قال: إنه في منتصف القرن الثامن انحرفت فعالية الخوارج، واتجهوا شيئاً فشيئاً نحو التجارة وتأليف الكتب الدينية والتاريخية الخ..^(١).
كما أن هذا التساهل لم يكن كافياً لتمكين دعوتهم من الانتشار، وذلك لأسباب عديدة:

أحدها: أنها كانت تعاني من الخواء العلمي، ومن المضمون الفكري، الذي يعتمد الدليل والبرهان المعقول والمقبول، ويعطي رؤية متكاملة، وواضحة، وسليمة.

الثاني: أنها بحاجة أيضاً إلى انفتاح حقيقي في العقول والقلوب والمشاعر على الناس، وعلى قضاياهم من موقع الإقناع والاقتناع. وهذا ما لم يستطع الخوارج حتى الإباضيون المتساهلون أن يفعلوه لما كانوا عليه من خشونة، ومن عصبية وجمود، ولأن نفس تلك المفاهيم كانت خاطئة، بالإضافة إلى طبيعة نظرهم التي كانت تهيمن على عقلياتهم وعلى سلوكهم.

فلم يكن أمامهم سوى الانكفاء إلى أماكن نائية وبعيدة عن مراكز العلم

(١) الإسلام لهنري ماسيه ص ١٨٦ و ١٨٧.

والمعرفة، والتحضر، ثم الانطواء على أنفسهم.. وذلك هو الحل الوحيد الذي بقي أمامهم، فبقوا محصورين في مناطقهم البعيدة عن الحركة الفكرية والثقافية طيلة قرون طويلة من الزمن.

الثالث: ومما ساعد على هذا الانكفاء على الأعقاب والإنطواء: أن دعوتهم لم تكن منسجمة مع الفطرة الصافية، ومع بديهيات هذا الدين وثوابته. وقد تقدم بعض ما يشير إلى ذلك، فلا نعيد.

الرابع: عدم ثقة المسلمين بهم، وظهور التزييف والتحريف والتقلب غير المسؤول في مواقفهم وفي مبادئهم.

ويكفي أن نذكر: أن الناس قد رأوا: أن ما يظهرونه من تساهل، وما يدعونه من اعتدال فيما يرتبط برأيهم في علي بن أبي طالب «عليه السلام»، قد سلكوا فيه سبيل التمويه والخداع والتزييف لحقيقة ما تنطوي عليه نفوسهم وما يسرونه من مبادئ وتعاليم. وهذا ما سيتضح في الفصل التالي..

الفصل الثالث:

الإباضية: إنكفاء.. وانطواء..

تساهل الإباضية هو سر بقائهم:

إن الاعتدال النسبي في تعاليم وعقائد الإباضية، وكذلك اتساع نطاق معارفهم، رغم أنها كانت ولا تزال متواضعة جداً.. ثم وإدراكهم - جزئياً - لضرورات الحياة، قد قلّل من حدتهم في تعاملهم ليس فقط مع غيرهم، وإنما مع بعضهم البعض أيضاً، وقلّل من فرص تفرقهم إلى فرق ومذاهب. كما كان الحال في السابق. كما أن فرقة الإباضية قد ثبتت وبقيت، ولم تتصدع وحدتها حتى الآن. ولم يجد الحكام ضرورة لممارسة ضغوط حادة عليها، حيث ظهر لهم أن تعاليمها لا تعارض مصالحهم.

ومما يشير إلى تساهل الإباضية قولهم: إن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين، وإن دارهم دار إسلام، لا دار كفر، وإن مناكحتهم جائزة. وأجازوا شهادتهم، ووراثتهم. وحرّموا قتلهم غيلة، وفي السر. وإنما يجوز القتل إذا أقاموا على خصومهم الحجة، وأعلنوا لهم بالقتال. وحينئذٍ فلا يجوز من أموالهم إلا ما يغنم من الحرب، مما يعين على الحرب، كالسلاح. وما عداه فهو حرام. والمؤمن إذا ارتكب كبيرة فهو كافر كفر نعمة، لا كفر شرك^(١).

(١) راجع فيما تقدم: تاريخ الفرق الإسلامية، للغرابي ص ٢٧٧ و ٢٨٣ وتاريخ المذاهب

قال ابن خلدون: «وقول هؤلاء أقرب إلى السنة»^(١).

ويقول فلهوزن: «الخوارج الإباضية ألين عريكة، لم يكن هدفهم - مع طهارتهم، وشدة تمسكهم بالدين - أن ينتصروا على جماعة المسلمين بالقوة، بل أن يكسبواهم لمذهبهم»^(٢).

وقال عز الدين التنوخي، عضو المجمع العلمي بدمشق، بعد ذكره: أن الإباضية ينقلون أقوال المذاهب الأربعة، ويستشهدون بأحاديث الشيخين، وغيرهما: «مما يدل على أن الإباضية في المشرق والمغرب مذهب قريب من مذاهب السنة»^(٣).

ونقل الحارثي الإباضي عن المبرد قوله: «..قول ابن إباض أقرب الأقاويل إلى السنة. وابن حزم حسبما حكاه عنه ابن حجر في الفتح الباري قال: أسوأ

الإسلامية ص ٨٣ و ٨٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٥ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣ و ٢٢٤ والأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٧ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٣٩ عن المصادر التالية: تليس إبليس ص ١٩ ومقالات الإسلاميين ج ١ ص ٢٠٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٩ والكامل للمبرد ج ٣ ص ١٠٤ والملل والنحل ج ١ ص ١٣٥ و ١٣٤ ونقل أيضاً عن شرح المواقف ج ٣ ص ٢٩٢ وراجع: الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨١ متناً وهامشاً ص ٩٠ و ٩١.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ١٤٥ والخوارج في العصر الأموي عن الكامل للمبرد ج ٣ ص ١٠٤.

(٢) الخوارج والشيعة ص ١١١.

(٣) العقود الفضية ص ١٦٦ و ١٦٧ عن المقدمة التي كتبها التنوخي لمسند الربيع وشرحه.

الخوارج حالاً الغلاة، وأقربهم إلى قول أهل الحق الإباضية»^(١).

وقال أيضاً عن فرقة الإباضية: «فرقة من معتدلي الخوارج..».

إلى أن قال: «والإباضية لا تقول بكفر غير الخوارج، ولا بشرتهم، وتبيح الزواج منهم، وترى ضرورة الإمامة بناءً على اختيار الشيوخ وأهل الرأي، وليس بلازم ظهورها دائماً، فقد يبقى اختيار الإمام في طي الكتمان. وتسلم بأصول الفقه التي قال بها أهل السنة فيما عدا الإجماع»^(٢).

الفرنساويون.. والإباضية:

وقد أثنى على الإباضية أيضاً السندوبي في تعليقاته على كتاب البيان والتبيين^(٣). ومن الغريب قول مصطفى إسماعيل المصري، الذي اعتنق مذهب الإباضية بعد أن قرر أنها هي الفرقة الناجية:

«..ولقد شهد بهذا الحق جميع الفلاسفة الفرنسيين الباحثين في الأديان، الذين وقفوا بكياسة أديانهم، وسلامة قياسهم على أن نقاوة الدين الإسلامي لا تنحصر إلا في مذهب اتباع ابن إباض»^(٤).

فهو يعتبر شهادة الفرنسيين للإباضية دليلاً على حقانية هذه الطائفة، وصحة مذهبهم، ويرى: أن هؤلاء الفرنسيين لهم قياس سليم، وكياسة في أديانهم!!

(١) العقود الفضية ص ١٥٦.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ج ١ ص ١ وراجع: العقود الفضية ص ١٦٦ عنه.

(٣) العقود الفضية ص ١٥٦ عن هوامش كتاب البيان والتبيين.

(٤) العقود الفضية ص ١٦٨ و ١٦٧.

ولا ندري لماذا اختص الفرنسيون بهذا الأمر دون الفلاسفة البريطانيين، أو غيرهم من فلاسفة أقطار العالم؟! ولماذا لم يقبل ما يقوله فلاسفة الإسلام، الذين هم أعمق فكراً، وأبعد نظراً، وأشد إخلاصاً وخلوصاً من غيرهم من عملاء المخابرات، وأدوات السياسة والسياسيين؟!

فجوة بين عقائد الإباضية وسائر الخوارج:

وكيف كان، فإن الفجوة كانت قد اتسعت بين عقائد الخوارج، وبين الإباضية بدرجة كبيرة حتى قال عامر النجار عنهم: «هناك فروق عديدة بين مبادئ الخوارج، ومبادئ الإباضية. ولا يجمع يكاد بينهما جامع سوى إنكار التحكيم، وأن الإمامة لا تختص بقريش، وجواز الخروج على الحاكم»^(١). وقال أيضاً عنهم: «..هم أقرب فرقهم (أي الخوارج) إلى الجماعة الإسلامية. ومذهبهم أكثر تسامحاً من كل فرق الخوارج. ولهذا كتب لهذه الفرقة البقاء دون سائر الفرق الخارجية. فيوجد فيهم إلى الآن جماعات في المغرب العربي، وعمان؛ وذلك بسبب تسامحهم مع مخالفاتهم وإنصافهم لهم. لكن الإباضيين غاضبون ممن يعتبرهم فرقة من فرق الخوارج، ويقولون: إنما هي دعاية استغللتها الدولة الأموية لتنفير الناس من الذين ينادون بعدم شرعية الحكم الأموي.

بل يقول البعض: إن للإباضية العديد من المواقف ضد الخوارج»^(٢).

(١) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨٢.

(٢) الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة ص ٨١.

ويلعل البعض سبب اختلاف الإباضية عن بقية الخوارج بكونهم لم يغلوا في الحكم على مخالفيهم - يعلله - بقوله: «لعل هذا يرجع إلى طبيعة ظروف نشأتهم؛ فإن صاحبهم عبد الله بن إياض لم يخرج إلا بعد أن قضى الأمويون على الخوارج أو كادوا. وبعد أن كاد اليأس يدب إلى الأحزاب، وتحول نضالهم حول الحكم إلى آراء ومذاهب تكاد تكون علمية بحتة»^(١).

أما أبو زهرة، فيقول عنهم: «هم أكثر الخوارج اعتدالاً، وأقربهم إلى الجماعة الإسلامية تفكيراً، فهم أبعدهم عن الشطط والغلو»^(٢).

الإباضية وحكام الجور:

ومما يؤكد الحقيقة التي مرت: أن الإباضية اتجهوا نحو التعامل مع حكام الجور تعاملًا يخدم مصالح أولئك الحكام، ويؤكد هيمنتهم وإمساكهم بالأمور بقوة، الأمر الذي جعل الحكام لا يجدون ضرورة لمواجهةهم، والتخلص منهم. بل إن وجودهم أصبح مفيداً للحكام أحياناً، فلا غرو أن يصبح أيضاً مطلباً لهم في هذه الحالات على الأقل.

والأغرب من ذلك: أن يصبح بقاء الحكام أيضاً، واستمرار حكمهم بمزید من القوة والشوكة مطلباً للإباضية حتى على مستوى قياداتها!! ويتجسد لنا مصداق ذلك، فيما يذكرونه عن ابن إياض نفسه، من أنه «كان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان»^(٣).

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٤٥ عن تاريخ الإسلام السياسي ص ٣٩٣.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٤٥ عن تاريخ الإسلام السياسي ص ٨٥.

(٣) شرح عقيدة التوحيد ص ٩٣ والعقود الفضية ص ١٢١.

وكان قد «بلغ السيد: أن عبد الله بن إباح، رأس الإباضية يعيب على علي «عليه السلام»، ويتهدد السيد بأن يذكره عند المنصور بما يوجب القتل. وكان ابن إباح يظهر التسنن، ويكتم مذهب الإباضية.

فكتب إليه السيد قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين «عليه السلام» أولها:

لمن طلل كالوشم لم يتكلم ونؤي، وأثار كترقيش معجم

فلما وصلت إلى ابن إباح امتعض منها جداً، وأجلب في أصحابه. وسعى به إلى الفقهاء والقراء؛ فاجتمعوا، وساروا إلى المنصور، وهو بدجلة البصرة؛ فرفعوا قصته.

فأحضرهم، وأحضروا السيد؛ فسألهم عن دعواهم، فقالوا: إنه يشتم السلف، ويقول بالرجعة، ولا يرى لك ولأهلك إمامة.

فقال لهم: دعوني أنا، واقصدوا لما في أنفسكم.

ثم أقبل على السيد، فقال: ما تقول فيما يقولون؟!

فقال: ما أشتم أحداً، وإني لأترحم على أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهذا ابن إباح، قل له: يترحم على علي، وعثمان، وطلحة، والزبير.

فقال له: ترحم على هؤلاء!

فتلوى ساعة، فحذفه المنصور بعود كان بين يديه، وأمر بحبسه، فمات بالحبس.

وأمر بمن كان معه؛ فضربوا بالمقارع.

وأمر للسيد بخمسة آلاف درهم^(١).

(١) راجع: ديوان السيد الحميري (هامش) ص ٣٩٧ و ٣٩٨ عن أعيان الشيعة ج ١٢ ص ١٧٤

وما يهمننا من إيراد هذه القضية هو الإشارة إلى استنصار ابن إياض بالمنصور، ووشايته بالسيد الحميري له، وإن كان السيد الحميري قد استطاع أن يقلب السحر على الساحر كما رأينا.

هذا.. وقد دخل هذا التناغم مع حكام الجور في مبادئهم، وتوفرت له خلفية وحماية عقائدية.

قال الوارجلاني: «.. ومن الرأي تأمير أمير المؤمنين، وعزله، إن ضيع أمور الدين، وقتله إن امتنع من العزلة إلى الهوان.

ومن الرأي الكون مع أئمة الجور تحت أحكامهم ما أقاموا حكم الله فيك، ولم يحكمك على معصية، وتأدية حقوق الله التي عليه إليهم، وأخذ العطايا من بيوت أموالهم، والجهاد والغزو معهم جميع ملك الشرك، والخروج عليهم إذا جاروا وبغوا»^(١).

وقال محمد بن يوسف أطيّش: «والمصنف مصرح بجواز الإقامة تحت الأئمة الجورة، من أهل التوحيد مطلقاً، من أهل مذهبنا، أو من غيرهم. وذلك ردّ على الصفريّة، والأزارقة، والنجدية، لأنهم أوجبوا الخروج على الجورة، وبراءة كل من خرج عن الإسلام إلى الشرك الخ.»^(٢).

والقصيدة موجودة في الغدير ج ٢ ص ٢٠٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٣٣ و ١٥٩

و ١٦٣ و ٢٣٩ و ج ٣ ص ١٠٢ و ٢٢٧ والكنى والألقاب ج ٢ ص ٣٠٧.

(١) الدليل والبرهان المجلد الأول الجزء الثاني ص ٧٨.

(٢) شرح عقيدة التوحيد ص ١٦٥.

وقال محمد بن يوسف أطيّش أيضاً: «ونحن بعد لا نقول بالخروج على سلاطين الجور الموحدين. ومن نسب إلينا وجوب الخروج فقد جهل مذهبنا»^(١). وله كلام حول كون معسكر السلطان دار بغى، أو لا. وعن المراد من هذا، فراجع^(٢).

وقال النكارية، وهم فرقة من الإباضية: «بعدم جواز صلاة الجمعة وراء الأئمة الجورة... مع أن أئمة الإباضية كانوا جميعاً من أيام جابر بن عبد الله يقولون: إن صلاة الجمعة واجبة وراء الأئمة الجورة ما أقاموها، ووجدت شروطها. وكانوا هم أنفسهم يصلونها وراء الحجاج.

وكانوا يقولون: إنه يحل أخذ العطاء من الملوّك ما لم يؤد إلى حرام. وكان جابر يأخذ العطاء من عامل الحجاج»^(٣).

الإباضية.. وعلي أمير المؤمنين عليه السلام:

وعلى كل حال، فإن الخوارج - والإباضية منهم^(٤) - الذين يعتقدون بكفر الخليفتين: عثمان، وعلي «عليه السلام»، وذلك هو العمدة، والمحور، والمبرر لوجودهم كخوارج.. قد رأوا بأم أعينهم: كيف أن مصيرهم هو

(١) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٣٩.

(٢) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ١٣٩.

(٣) الإباضية عقيدة ومذهباً ص ٦٧ عن الإباضية في الجزء ص ٥٦.

(٤) راجع: شرح المواقف للإيجي ج ٣ ص ٢٩٢ والخوارج في العصر الأموي العباسي

التلاشي، والفناء، أمام واقع التحدي، لكل مثل وقيم الأمة الإسلامية، فاستمرت تلك الفرق على عتوها وعنادها. حتى انقرضت.

ولكن فرقة الإباضية منهم حاولت التخفيف من حدة عقائدها، ومواقفها منذ البداية.. فاستطاعت أن تحتفظ لنفسها بخيط حياة، وتجاوزت القرون الأولى، وأصبحنا نلاحظ في تأليفات الإباضية: أن علماءهم انصرفوا عن الجهر بالإساءة إلى أمير المؤمنين «عليه السلام».

ولعل مرد ذلك إلى تأثيرهم بأحد كبار علمائهم، وهو عبد الكافي التناوتي التونسي، المتوفي قبل عام ٥٧٠ هجرية.

فقد: «جرح التناوتي إلى الاعتدال في مسألة الحكم على الخليفة علي، وهي دائماً من أمهات المسائل عند الإباضية»^(١).

ويحكي عن الحمزية: «أنهم يتوقفون في أمر علي «عليه السلام»، ولا يصرحون بالبراءة منه، كما يصرحون بالبراءة من غيره»^(٢).

وهذا هو السر في أن الإباضية يستعملون - مؤخراً - أسلوب العتاب والشكوى من أمير المؤمنين «عليه السلام»، على موقفه من أسلافهم من أهل النهروان، حيث قتلهم «عليه السلام» قتلاً ذريعاً، ولم ينج منهم إلا الشريد.

وقد ذكر البعض أشعاراً ضمنها هذا العتاب له «عليه السلام» ذلك من دون أن يكون فيه تجريح ظاهر وصريح^(٣).

(١) دارة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٤٨٨.

(٢) الأنوار النعمانية ج ٢ ص ٢٤٨.

(٣) راجع: العقود الفضية ص ٦٠ و ٦١ و ٧٧ و ٨٠.

ونلاحظ: أنهم في كتبهم يبدلون محاولات للاستدلال على صحة إمامة الراسبي، وبطلان إمامة أمير المؤمنين «عليه السلام». بل إنهم يدعون أنه «عليه السلام» قد تاب، ثم عاد فنكت^(١).

ويحاولون أيضاً الاستدلال على خطئه «عليه السلام» في مواقفه، وصحة ما ذهب إليه الخوارج الذين خاصموه^(٢).

بل لقد وجدناهم يبدلون محاولات لتكفيره «عليه السلام»، كما يظهر من مراجعة كلماتهم^(٣). ولكنها محاولات حوارية هادئة، بحسب الظاهر.. لا تبادر إلى السب والشتم والتكفير بصورة صريحة.

قالوا أيضاً: «..وعند فقهاء الإباضية: أن علياً مستحل في قتلهم، وأنه تجزيه التوبة من غير عزم. وهذا هو حكم المستحل، إن أراد التوبة، بخلاف الذي يأتي الشيء، وهو يعلم أنه حرام، فهذا لا توبة له، إلا برد المظالم، والتخلص إلى أربابها»^(٤).

بل لقد نقل لي البعض: أن علماءهم الموجودين فعلاً في الجزائر يظهرون الحب لأمر المؤمنين وآله «عليهم السلام» ويتبرؤون من ابن ملجم، وينكرون أن يكون منهم!!

(١) راجع: العقود الفضية ص ٥٠.

(٢) راجع: العقود الفضية ص ١٦٢ و ٦٤ والإستقامة ج ١ ص ٥٧ و ٦٣ وراجع

ص ١١٨ و ١٢٠.

(٣) الإستقامة ج ١ ص ١١٩.

(٤) العقود الفضية ص ٨١.

فإن صح هذا، فإنه يكون تطوراً جديداً وهاماً في هذا المجال.
ولكن الذي يظهر هو: أن تبرؤهم من ابن ملجم يرجع إلى أمر آخر،
وليس هو الحب لأمر المؤمنين «عليه السلام»، ولا لتخطئتهم ابن ملجم في
قتله إياه، وهذا الأمر هو الذي أشار إليه المسعودي بقوله: «وكثير من
الخوارج لا يتولى ابن ملجم؛ لقتله إياه غيلة»^(١).

وأما ما نراه من مهاجمة الإباضية للخوارج والمارقة في كتبهم؛ فلا يدل
على حبهم لعلي، ولا على تغير في مواقفهم العدائية له «عليه السلام»..
لأنهم إنما يقصدون بهم خصوص الأزارقة^(٢).

قال محمد بن يوسف بن أطيّش: «كان أصحابنا والأزارقة جنداً
واحداً، ولما ظهر منهم القول بإباحة الدم والمال بالذنب، فارقههم أصحابنا،
كابن وهب، عبد الله»^(٣).

فهذا النص يدل على أمرين:

الأول: أن سبب مفارقة الإباضية للأزارقة هو مقاتلتهم تلك، التي لم
يكن الإباضية يجذونها؛ لملهم إلى الاعتدال في هذا الأمر.

الثاني: أن الإباضية هم من الخوارج أيضاً. وهذا يعني: أن هجومهم

(١) التنبيه والإشراف ص ٢٥٧.

(٢) يتضح ذلك بمراجعة كتبهم، مثل كتاب: شرح عقيدة التوحيد، وكتاب: الدليل
والبرهان.

(٣) شرح عقيدة التوحيد ص ٨٤.

على الخوارج إنما يقصد به تهجين مقالة الأزارقة لا غير..

وتصريحهم آنفاً: بأنهم أتباع عبد الله بن وهب الراسبي يدل على ذلك أيضاً، فإن الراسبي كان رأساً في الخوارج.

قال محمد بن يوسف أطيّفتش: «إذا قلنا: الوهبية، نسب إلى عبد الله بن وهب الراسبي، فلا إشكال في تسمية أصحابنا العمانيين، والخراسانيين، وغيرهم: وهبية.

وإذا قلنا: نسب إلى الإمام عبد الوهاب في المغرب؛ فكيف يسمى أهل المشرق، كأهل عمان وخراسان: وهبية؟

الجواب: أنهم يسمون وهبية؛ لأنهم مقرّون بأنه إمام عدل على الصواب، وأنه وإياهم شملهم مذهب وديانة واحدة»^(١).

ويذكرون أيضاً: أن ابن إباح قد ذكر في رسالته لعبد الملك بن مروان: أنه يتولى الخوارج الذين حاربهم علي، ويبرأ من ابن الأزرق وأتباعه^(٢). وبذلك يكون قد أرضى عبد الملك من ناحيتين:

الأولى: ببراءته من الذين يحاربونه، وهم خصوص الأزارقة.

والثانية: بإعلانه العداء لعلي «عليه السلام»، من خلال توليه للذين حاربوه من المارقة.

الميزان: هو علي عليه السلام:

ويبقى أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الميزان والمعيار للحق وللصدق..

(١) شرح عقيدة التوحيد ص ٧٧.

(٢) العقود الفضية ص ١٢٥.

ولا يفيد الخوارج ولا الإباضية أي تنازل لا يتضمن الاعتراف الصادق بأن الحق مع علي وأن علي مع الحق.

وقد ظهر: أن الإباضية وغيرهم حين أظهروا المرونة بعض الشيء تجاه علي «عليه السلام» لم يكونوا صادقين فيما أظهروه، كما ظهر من بعض مؤلفاتهم التي نشرت في هذا العصر.

فهذا يوسف بن إبراهيم الوارجلاني المتوفي سنة ٥٧٠ هـ بعد أن ذكر قبوله بخلافة الشيخين، ورفضه لإمامة عثمان بسبب ما أحدثه، تحدث عن علي «عليه السلام» فذكر أن ولايته كانت حقاً في أول أمره، ثم قال: «..وأما علي فقد حكم بأن من حكم فهو كافر، ثم رجع على عقبه، وقال: من لم يرض بالحكومة كافر.

فقاتل من رضي الحكومة، وقتله!! وقاتل من أنكر الحكومة وقتله!! وقتل أربعة آلاف أواب من أصحابه. واعتذر، فقال: إخواننا بغوا علينا؛ فقاتلناهم.

فقد قال الله عز وجل في من قتل مؤمناً واحداً: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيماً﴾.

فحرمه الله من سوء بخته الحرمين، وعوضه دار الفتنة العراقيين، فسلم أهل الشرك من بأسه، وتورط في أهل الإسلام بنفسه»^(١).

وواضح: أن كلام هذا الرجل ينطوي على مغالطات واضحة، فإن

(١) الدليل والبرهان المجلد الأول جزء ١ ص ٢٩.

الأوابين الذين قتلهم هم الذين أجبروه على قبول التحكيم، وهدّوه بأنه إن لم يقبل ناجزوه الحرب، وسلموه إلى معاوية. ثم كفروه لأنه استجاب لهم، وقبل ما يريدون ورضخ لتهديداتهم.

ثم هؤلاء الذين وصفهم بـ: «الأوابين» هم الذين وصفهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، ويقرؤون القرآن ولا يجاوز تراقيهم.

وبالنسبة لسلامة أهل الشرك من بأسه، وتورطه في أهل الإسلام بنفسه؛ فإن هذا إنما ينطبق عليهم هم، وليس عليه، كما أوضحناه فيما سبق..

وقال الوارجلاني أيضاً عن الزيدية والحسينية: «قد وافقوا جميع المسلمين فيما يقولونه، إلا في التحكيم، الذي صاغوه لعلي. وقد قتل من قال به ومن أنكره؛ فجمع في قتاله بين الحق والمخطئ.

ولعلي تخليط دون شيعته في قوله: إن كل مجتهد مصيب؛ فهدر دم عثمان، وطلحة والزبير، ومعاوية، وعمرو، وعذر نفسه، وعذر أهل النهروان، ولم يعذروه. ففي فحش مذهب الشيعة ما يغني عن الرد عليهم»^(١).

وقال الحارثي الإباضي: «على رأي بعض المسلمين، ومنهم الإمام علي: أن كل مجتهد مصيب، وهؤلاء اجتهدوا»^(٢).

ولا ندري من أين جاؤوا بهذا الفرية على أمير المؤمنين «عليه السلام»،

(١) الدليل والبرهان المجلد الأول ج ١ ص ٣٢.

(٢) العقود الفضية ص ٦٤.

من أنه يقول: كل مجتهد مصيب؟! فإن هذا القول هو قول مخالف فيه ومناوئيه..
وكلماته «عليه السلام» صريحة في خلاف هذا القول^(١).

ولا ندري أيضاً كيف عذر «عليه السلام» أهل النهروان، ومتى؟
وقال الوارجلاني أيضاً: «ثم إن علياً رجع على عقبيه، ورضي بالحكومة
التي كفر راضياً، وضرب ساخطها، فقتل الفريقين جميعاً، الراضي والساخط،
والمحق والمبطل.

وكنا على الأصل الأول، الذي فارقنا عليه: أبا ذر، وابن مسعود، وعمار
بن ياسر، الذي جعله رسول الله «صلى الله عليه وآله» علماً للفتنة، حين قال:
عمار تقتله الفئة الباغية، فأثبتته على الهدى عند الاختلاف.

وحين قال: عليكم بهدى عمار، وبهدى ابن أم عبد، فقال: ما لهم ولعمار،
يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، فوقعنا بحمد الله في حزبه»^(٢).

والإباضية هم الذين نشروا كتب الوارجلاني، فنشر الإباضية لهذه الكتب
التي فيها أمور كهذه، وتبينهم لها دليل على أنهم يظهرون شيئاً ويطنون خلافه.

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله» ج ١ ص ٢١٧ فما بعدها،
ففيه ما يدل على أن غير علي «عليه السلام» وشيعته الأبرار هم الذين يذهبون إلى
هذه المقالة.

(٢) الدليل والبرهان المجلد الأول، جزء ١ ص ٣٩.

الفصل الرابع:

الوهابيون، والخوارج: صلات.. وسمات..

صلات وسهات:

وأخيراً.. فنحن نجد صلات وثيقة، وتشابهاً كبيراً فيما بين كثير من آراء وشعارات الخوارج، وشكل ونمط الحياة عندهم، وآراء وشعارات، ونمط الحياة لدى بعض الفرق المعدودة في فرق المسلمين، وأعني بهم الوهابيين. ونذكر على سبيل المثال ما يلي^(١):

١ - قال أحمد أمين المصري: «وظلت حياتهم الاجتماعية في معيشتهم، ونظرتهم للحياة، وحروبهم، ونحو ذلك، حياة بسيطة، بدوية لم تتغير كثيراً بتغير الزمان؛ فهم يذكروننا بالوهابيين الآن في بساطتهم، وإن اختلفت تعاليمهم»^(٢).

٢ - إن ثمة شبهةً آخر فيما بين الفرقتين وهو اعتبار الخوارج بلاد المسلمين دار حرب، وبلادهم دار إيمان تجب الهجرة إليها.

والوهابيون أيضاً يقولون: «إن الحرمين الشريفين مكة واليمن تكونان بلاد كفر تعبد فيهما الأوثان، وتجب الهجرة منهما.. وإن بلاد نجد بلاد يظهر

(١) وقد لوحظ وجود هذه الفوارق، بين الفريقين في وقت مبكر كما يظهر من ملاحظة

كتاب: صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، لمؤلفه عبد الله حسن فضل العلوي

الحسيني. وكشف الإرتياب للسيد محسن الأمين العاملي.

(٢) ضحى الإسلام ج ٣ ص ٣٣٣.

فيها الإيمان، ويخفى في غيرها»^(١).

٣ - وهناك فرق آخر: وهو شدتهم على المسلمين، وقتلهم الذريع لهم، بحجة تكفيرهم.

ورفقتهم بالكافرين والمشركين، ومودتهم لهم، وإقامتهم العلاقات الحميمة معهم.

فإن الفرقتين تشتركان في هذا الأمر بصورة واضحة وصریحة. فلم ينقل عن الوهابيين أنهم حاربوا سوى المسلمين، أو قتلوهم، أو ساموهم الهوان والذل. ولكنهم قتلوا أهل الطائف، وأهل كربلاء، وألفاً من حجاج اليمن، وأربع مئة حاج من الإيرانيين في ما عرف بمجزرة مكة، قبل سنوات يسيرة، وغزوا بلاد المسلمين المجاورة لهم. إلى غير ذلك مما تشتمل القائمة الطويلة لخروبهم مع المسلمين.

٤ - ثم هناك التشابه الكبير بين الوهابيين والخوارج، فيما نشهده من الانسجام التام بين الحكومات الوهابية، وبين قوى الاستكبار العالمي، وحميمية العلاقات فيما بينهم، وقبول هذا الأمر لدى عامة الناس عندهم. تماماً كما هو الحال بالنسبة لتعامل حكام أولئك ورؤسائهم، ونظرة عامتهم إلى قوى الاستكبار والاستعمار.

٥ - إن سطحية هؤلاء وتعاملهم مع حرفية النصوص، وعدم تعمقهم في مدلولاتها. وجودهم على ظواهرها، حتى وقعوا بما يخالف البديهيات الظاهرة،

(١) صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر ص ١١٦.

ومقتضيات الفطرة، والثابت المقطوع به من مسائل الدين وأحكامه أمر مشترك بين الفريقين. حتى لقد أنكر علماء وهابيون المجاز في الكلام من الأساس، واعتبروه طاغوتاً، فقالوا: «طاغوت المجاز»^(١).

٦ - أضف إلى ذلك ما في الفريقين من غلظة، وبدادة، وعجرفة وجفاء، وبعد عن الأساليب الحضارية، وعدم التحلي بالأخلاق الإسلامية.

٧ - هذا إلى جانب شعارات براقة يرفعها هؤلاء وأولئك، تخفي وراءها مطامع دنيوية، وانحرافات أخلاقية وغيرها.

٨ - وكما أن الوهابيين هم ضد تأويل القرآن، كذلك الخوارج، فإن أكثرهم ضد تأويل القرآن أيضاً^(٢).

٩ - وكما أن الخوارج كانوا ضد التبرك بآثار الأنبياء، والاستشفاء بها. كما تقدم عن الذهبي، فإن الوهابية أيضاً كذلك.

١٠ - وكما أن الخوارج يعتبرون كل ما يمت إلى علي بصلة جريمة، وكفراً وخروجاً، ويحاربون كل من ينتسب إليه من أهل بيته وشيعته، كذلك الوهابية. بل ليس للوهابية شغل في هذا العالم الفسيح، والمليء بأعداء الإسلام، إلا محاربة الشيعة. وهتكهم، وتآليب الناس ضدهم، وشحن النفوس بالحقدهم عليهم.

١١ - وكما أن الخوارج يرفضون الاجتهاد - خصوصاً الأزارقة - كذلك الوهابية.

(١) البشارة والإتحاف ص ٣٢ عن مختصر الصواعق المرسلّة ج ٢ ص ٢.

(٢) صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٢٢ والخوارج في العصر الأموي ص ٢٠٤ عنه.

١٢ - إن «اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر، والكلام في الدين بدعة، وأنه مجلبة لكل شبهة. وأنه لا علم إلا ما كان في التوراة، وكتب الأنبياء. وأن الإيمان بالطب، وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة، والخروج إلى الدهرية. والخلاف على الإسلام، وأهل القدوة، حتى إنهم ليهرجون المشهور بذلك، ويحرمون سالك سبيل أولئك»^(١).

والخوارج أيضاً لهم هذا المنحى، ويسلكون هذا السبيل، فلا يجلون النظر في كتب الفلسفة.

ثم جاء الوهابيون، فمنعوا من ذلك أيضاً. و«قد هاجم ابن تيمية الفلاسفة المسلمين، وهاجم المأمون أيضاً في كثير من كتبه»^(٢). لأنه قرب المعتزلة، الذين يهتمون بالفلسفة، ويعتمدون العقل في أحكامهم.

وقد حكم الوهابية بوجوب اتلاف كتب المنطق، واستدلوا على وجوب إتلافها بأن كتب المنطق يحصل بسببها خلل في العقائد^(٣).

وأذكر قضية حصلت لي شخصياً معهم، حيث بذلت محاولة للاجتماع ببعض علمائهم للمناقشة، فاشترط علينا أن لا نتكلم في المنطق، ولا في التاريخ فوافقنا.

ولكنه رغم ذلك لم يحضر إلى الموعد المقرر!!.

١٣ - إن الخوارج سيماهم التحليق أو التسبيد. وعن النهاية في حديث

(١) ثلاث رسائل للجاحظ ص ١٦.

(٢) راجع: العواصم من القواصم ص ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ متناً وهامشاً.

(٣) راجع: كشف الإرتياب ص ٤٩٥ و ٤٩٦.

الخوارج: التسبيد فيهم فاش. وهو الحلق، واستئصال الشعر. وكذلك الوهابيون، فإن سيماهم التحليق. ولعلمهم هم الذين أخبر عنهم علي «عليه السلام» بقوله: في آخر الزمان قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، سيماهم التحليق^(١).

قال في خلاصة الكلام: «في قوله «صلى الله عليه وآله»: سيماهم التحليق تنصيب على هؤلاء الخارجين من المشرق، التابعين لمحمد بن عبد الوهاب؛ لأنهم كانوا يأمرؤن من اتبعهم أن يخلق رأسه، لا يتركونه يفارق مجلسهم إذا اتبعهم حتى يخلقوا رأسه.

قال: ولم يقع من أحد قط من الفرق التي مضت أن يلتزموا مثل ذلك، فالحديث صريح فيهم.

قال: وكان السيد عبد الرحمن الأهدل، مفتي زبيد يقول: لا يحتاج إلى التأليف في الرد على ابن عبد الوهاب، بل يكفي في الرد عليه قوله «صلى الله عليه وآله»: سيماهم التحليق، فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة.

قال: وكان ابن عبد الوهاب يأمر أيضاً بحلق رؤوس النساء اللاتي يتبعنه، قد دخلت في دينه امرأة، وجددت إسلامها بزعمه، فأمر بحلق رأسها، فقالت: شعر الرأس للمرأة بمنزلة اللحية للرجل، فلو أمرت بحلق لحي الرجال، لساغ أن تأمر بحلق رؤوس النساء، فلم يجر جواباً^(٢).

١٤ - وعن ابن عباس: لا تكونوا كالخوارج تأولوا آيات القرآن في أهل

(١) كشف الإرتياب ص ١٢٥ عن الخصائص للنسائي.

(٢) كشف الإرتياب ص ١٢٥ و ١٢٦.

القبلة، وإنما نزلت في أهل الكتاب والمشرّكين، فجعلوها علمها، فسفكوا الدماء، وانتهبوا الأموال.

وعن ابن عمر في وصف الخوارج: أنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين، كما رواه البخاري في صحيحه^(١).

وكذلك فعل الوهابيون في الآيات النازلة في الكافرين والمشرّكين، فإنهم طبقوها على المسلمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٢). وقوله: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾^(٣). وغير ذلك من آيات.

١٥ - إن الخوارج كانوا يتظاهرون بالعبادة والنسك والزهد، وتلاوة القرآن، واستحلوا قتل علي «عليه السلام». والوهابيون أيضاً يتظاهرون بفرط النسك والتعبد، ولكنهم أيضاً يعتبرون رفع الصوت بتلاوة الأوراد والأذكار شركاً أكبر، يقاتل عليه.

١٦ - ويلاحظ: أن محمد بن عبد الوهاب تميمي، هو من عشيرة ومعدن ذي الخويصرة التميمي، وقد كان أكثر الخوارج الأولين، وكثير من زعمائهم الكبار من بني تميم.

إن جمود الخوارج وجفاءهم كالنار على المنار، وكالشمس في رابعة النهار، فبينما نجدهم لا يتعرضون لغير المسلمين بأذى. نجدهم قد حكموا بكفر جميع المسلمين، ودانوا باستعراضهم بالسيف.

(١) راجع: كشف الإرتياب ص ١٢٤ وراجع: صدق الخبر في خوارج القرن الثاني ص ١٦٠.

(٢) الآية ٧٣ من سورة الحج.

(٣) الآية ٥ من سورة ص.

وهم في حين يتورعون عن أكل ثمرة سقطت على الأرض، وعن قتل الخنزير الشارد، فإنهم يقتلون عبد الله بن خباب والقرآن في عنقه، ويقتلون بطن زوجته، ويقتلون أطفال المسلمين، ويسبون نساءهم. وقد تزايدوا في بعض الوقائع في امرأة مسلمة جميلة، وغالوا في ثمنها. فقام بعضهم وقتلها. على اعتبار أن هذه الكافرة كادت تقع بسببها فتنة بين المسلمين^(١).

والوهابيون أيضاً كالخوارج في جمودهم، وعدم تعمقهم في الأمور، فهم بينما يتوقفون في التلغراف، ويحرمون التدخين، ويعاقبون عليه، فإنهم استحلوا ضرب المسلمين بالمدافع، وكفروهم، وحكموا عليهم بالشرك، ويستحلون دماءهم وأموالهم. لأجل طلبهم الشفاعة من الأنبياء والأولياء. وبعضهم استحل سبي الذرية. وجعلوا دار المسلمين دار حرب، ودارهم دار إيمان تجب الهجرة إليها، وهذا هو نفس ما فعله الخوارج أيضاً^(٢).

١٨ - وكما أن الخوارج يرفعون شعارات براقة كقولهم: «لا حكم إلا لله»، كذلك الوهابية فإنهم يرفعون شعار العودة إلى التوحيد، والابتعاد عن الشرك، ونبد البدع..

١٩ - وكما أن شعار الخوارج هو كلمة حق يراد بها باطل، وهو أنهم يريدون: أنه لا إمارة لأحد، ولا يجوز التحكيم في الأمور الدينية، وفرعوا عليه: أن التحكيم الذي كان بصفين كان معصية وكفراً..

كذلك الوهابيون، فإنهم رفعوا شعار نبذ البدع، والرجوع إلى التوحيد

(١) كشف الإرتياب ص ١١٦ والكامل في الأدب ج ٣ ص ٣٥٥ و ٣٥٦.

(٢) كشف الإرتياب ص ١١٧ و ١١٨.

الخالص؛ وهي كلمة حق يراد بها باطل، حيث كفروا من استشفع بالرسول والأولياء، وتوسل بهم، ومنعوا من تعظيم من عظمهم الله، ومنعوا من الاستشفاع بمن جعله الله شافعاً مغيثاً، وهو تضليل وتمويه إذ لا يوجد أحد يقول: إن محمداً «صلى الله عليه وآله» قادر بنفسه وبدون الله سبحانه. وهذا معناه أنه لا يجوز طلب الدعاء من المؤمن.

كما أنهم منعوا من تقبيل ضريح النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنه خشب أو حديد، مع العلم بأن القرآن لا يمسسه إلا المطهرون، مع أنه خبر وورق أيضاً..

٢٠- إن الخوارج يظهرون الزهد في الدنيا، ثم ظهر من خلال ممارساتهم وأقوالهم، أنهم طلاب ملك، ودنيا، حتى إنهم ليقاتلون على الثوب يسلب منهم أشد قتال. إلى غير ذلك مما قدمناه حينما تحدثنا عن زهد الخوارج.

وكذلك الوهابيون، فإنهم يظهرون ذلك، ويستحلون سلب مجوهرات الحجرة النبوية. والإستثمار بثروات الأمة. وتلك هي مظاهر بذخهم الجنوني، وتبذيرهم المرعب وانغماسهم في الشهوات والمآثم. قد فحّت روائعها، وزكمت الأنوف بريحتها التتن.

٢١- وقد تقدم عن عائشة: أن من سمات الخوارج: أن أزهرهم إلى أنصاف سوقهم. (١)

وهذا تماماً هو حال الوهابيين، فاقراً واعجب فما عشت أراك الدهر عجباً.

(١) تاريخ بغداد ج ١ ص ١٦.

وأخيراً.. فهل سيصبح مصير الوهابيين هو نفس مصير الخوارج، فيكون
آخرهم لصوصاً سلايين؟!
ومن يدري فإن غداً لناظره قريب.

الفصل الخامس:

شقيق عاقر ناقة صالح..

علي عليه السلام يعرف قاتله، وكيف يقتله:

عن عبيدة قال: إن علياً «عليه السلام» كان إذا رأى ابن ملجم قال:
أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد^(١)
وعن أبي الطفيل قال: كنت عند علي بن أبي طالب، فأتاه عبد الرحمن بن
ملجم.

فأمر له بعطائه، ثم قال: ما يحبس أشقاها أن يخضبها من أعلاها، يخضب
هذه من هذه، وأوماً إلى لحيته، ثم قال علي:

حيا زيمك للموت فإن الموت آتيك
ولا تجزع من القتل إذا حل بواديك^(٢)

وعن زيد بن وهب، قال: قدم على علي قوم من الخوارج، فيهم رجل

(١) منتخب كنز العمال (مطبوع بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٦١ عن ابن سعد، وعبد

الرزاق، ووکیع فی الغرر، وحیة الصحابة ج ٣ ص ٧٥ عن المنتخب.

(٢) منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٥٩ عن ابن سعد، وأبي نعيم، وحیة الصحابة ج ٣

ص ٧٥ عن المنتخب.

يقال له: الجعد بن نعجة، فقال له: اتق الله يا علي، فإنك ميت.
 (فقال علي «عليه السلام»): بل مقتول، ضربة على هذه تخضب هذه - وأشار
 إلى رأسه ولحيته بيده - قضاء مقضي، وعهد معهود، وقد خاب من افترى.
 ثم عاتب علياً «عليه السلام» في لباسه، فقال: لو لبست لباساً خيراً من
 هذه؟!!

فقال: ما لك وللباسي؟! إن لباسي (هذا) أبعد (لي) من الكبر، وأجدر
 أن يقتدي بي المسلمون^(١).

ويذكر المعتزلي: أن علياً «عليه السلام» التقى الزبير في حرب الجمل،
 فذكره قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» فرجع الزبير إلى أصحابه نادماً
 واجماً، ورجع علي «عليه السلام» إلى أصحابه جذلاً مسروراً، فقال له أصحابه:
 يا أمير المؤمنين، تبرز إلى الزبير حاسراً، وهو شاكٍ في السلاح، وأنت تعرف
 شجاعته؟!!

قال: إنه ليس بقاتلي، إنما يقتلني رجل حامل الذكر، ضئيل النسب،
 غيلة في غير مأقط حرب، ولا معركة رجال. ويلمه (ويل أمة) أشقى البشر!

(١) كنز العمال ج ١١ ص ٢٨٤ ورمز لذلك ب (ط. وابن أبي عاصم في السنة. عم. حم في
 الزهد. والبغوي في الجعديات. ك. ق في الدلائل. ض) ومتخب العمال ج ٥ ص ٤٣٥
 وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي)
 ص ٢٧٨ وفي هامشه عن كتاب الفضائل رقم ٣٢ والزهد والرقائق ص ٣٦١ و ١٣٢
 ومسند الطيالسي رقم ١٥٧ ج ١ ص ٢٣ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ١٤٣ ومسند أحمد
 ج ١ ص ٩١ وكفاية الطالب ص ٤٦٠ وتذكرة الخواص ص ١٧٣.

ليودّن أن أمه هبلت به. أما إنه وأحمر ثمود لمقرونان في قرن^(١).

ويتعذر علينا إحصاء النصوص والمصادر التي تحدثت عن إخبار أمير المؤمنين «عليه السلام» بأن قاتله هو ابن ملجم، وأن ذلك يكون بضربة على رأسه يخضب منها لحيته..

وربما يكون ذلك منه «عليه السلام» يهدف إلى تحصين الناس من دعوات الخوارج وغيرهم، والربط على قلوب المؤمنين، من خلال تلمسهم صدق إخباراته الغيبية، الأمر الذي يرسخ اعتقادهم بالإمامة، على أساس أن الغيب هو أحد أركان هذا المقام العظيم.

وعلى هذا يحمل ما جاء عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه بكى في آخر جمعة من شعبان، فسأله علي «عليه السلام» عن سبب هذا البكاء، فقال له: أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر.

فقال له علي «عليه السلام»: أفي سلامة من ديني.. قال «صلى الله عليه وآله»: نعم..

فإن سؤال أمير المؤمنين لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: أفي سلامة من ديني، لا يعني أنه «عليه السلام» كان غير مطمئن لمصيره، لأن الإنسان قد يموت كافراً أو فاسقاً كما زعمه البعض^(٢).

بل هو «عليه السلام» يريد أن يعرفنا على لسان رسول الله «صلى الله

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٣٥.

(٢) إن هذا البعض قد قال ذلك عبر إذاعة تابعة له تبث من بيروت، وذلك ليلة ١٩

شهر رمضان المبارك سنة ١٤٢٢ هـ.ق.

عليه وآله: بأن قاتله هو الضال، المارق من الدين كما مرق السهم من الرمية. أما علي «عليه السلام»، فإنه على بينة من ربه، ولو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً..

فسؤاله «عليه السلام» لأجل أن يسمعنا على لسان الرسول «صلى الله عليه وآله» ما يجعلنا في حصانة ومأمن من الشبهة، لكي لا نغتر بما يظهره الخوارج من نسك وعبادة، فنشك في إمامنا ونهلك بسبب ذلك.

الخوارج يقتلون أوصياء الأنبياء:

ثم إن قاتل علي أمير المؤمنين «عليه السلام» هو عبد الرحمن بن ملجم، وهذا مما أجمعت عليه الأمة، فلا حاجة إلى ذكر النصوص والمصادر لذلك غير أننا نكتفي هنا بما قاله ابن أعثم الكوفي، الذي ذكر: أن علياً «عليه السلام» استشهد بعد وقعة النهروان بستة أيام^(١). وقد كان له «عليه السلام» معهم في النهروان عدة وقائع.

يقول ابن أعثم؛ بعد ذكره لأحداث النهروان: «وأقبل علي نحو الكوفة، وسبقه عبد الرحمن بن ملجم - «لعنه الله» - حتى دخل الكوفة؛ فجعل يبشر أهلها بهلاك الشراة^(٢)».

قال: ومر بدار من دور الكوفة، فسمع فيها صوت زمر، وصوت طبل يضرب؛ فأنكر ذلك.

فقليل له: هذه دار فيها وليمة.

(١) وهو كلام غير صحيح.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٦ و ١٣٧.

قال: فنهى عن صوت الزمر، والطبل، قال: وخرجت النساء..»^(١).

ثم يذكر قصة رؤية ابن ملجم قطعاً آنئذ، وأنه عرض عليها الزواج، فقبلت بشرط أن يكون مهرها ثلاثة آلاف درهم، وعبدًا، وقينة، وقتل علي «عليه السلام»، ثم تنازلت له عما سوى قتل علي «عليه السلام»، لأنه كان قد قتل أباه، ثم رضيت منه بضريبة، على أن يكون سيفه رهينة عندها، فدفع إليها سيفه، وانصرف إلى منزله.

«..وقدم علي «كرم الله وجهه» من سفره، واستقبله الناس، يهتئون بهظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر، فخطب خطبة حسنة.

ثم التفت إلى ابنه الحسين، فقال: يا أبا عبد الله، كم بقي من شهرنا هذا، يعني شهر رمضان الذي هم فيه.

فقال الحسين: سبع عشرة يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته، وهي يومئذ بيضاء، وقال: والله ليخضبنها بالدم، إذا انبعث أشقاها.

قال: ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي خلي من عذيري من مراد

فسمع ابن ملجم «لعنه الله»؛ فكأنه وقع بقلبه شيء من ذلك؛ فجاء

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٣ و ١٣٤ وراجع: كشف الغمة ج ٢ ص ٦٢ وبحار

الأنوار ج ٣٢ ص ٢٦٣.

حتى وقف بين يدي علي (رض)، فقال:

أعيزك بالله يا أمير المؤمنين، فهذه يميني وشمالي بين يديك، فاقطعهما، أو اقتلني.

فقال علي «كرم الله وجهه»: وكيف أقتلك، ولا ذنب لك عندي، إني لم أردك بذلك المثل. ولكن خبرني النبي «صلى الله عليه وآله»: أن قاتلي رجل من مراد، ولو أعلم أنك قاتلي لقتلتك، ولكن هل كان لك لقب في صغرك؟ فقال: لا أعرف ذلك يا أمير المؤمنين.

قال علي: فهل لك حاضنة يهودية، فقالت لك يوماً من الأيام: يا شقيق عاقر ناقة صالح؟!

قال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين.

قال: فسكت علي، وركب، وصار إلى منزله^(١).

ثم يذكر ابن أعثم: «أن ضربة ابن ملجم لعلي «عليه السلام» قد كانت في يوم ثالث وعشرين»^(٢).

وكان ابن ملجم قد بات في منزل قطام، وكان قد تناول نبيذاً تلك الليلة^(٣).

وقال: إنها سقته الخمر العكبري، وأن رفيق ابن ملجم نام، لكن ابن

(١) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٦ و ١٣٧ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٧٦.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٧.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٣٩.

ملجم تمتع معها^(١).

وبعد أن تذكر الرواية تفصيلات ضربة ابن ملجم «لعنه الله» لأمير المؤمنين «عليه السلام» تقول: «ثم احتمل علي إلى صحن المسجد، وأحرق الناس به، فقالوا: من فعل هذا بك يا أمير المؤمنين؟»

فقال: لا تعجلوا؛ فإن الذي فعل بي هذا سيدخل عليكم الساعة من هذا الباب.. وأوماً بيده إلى بعض الأبواب.

قال: فخرج رجل من عبد القيس في ذلك الباب؛ فإذا هو بابن ملجم، وقد سدت عليه المذاهب، فليس يدري إلى أين يهرب، فضرب العبد بيده إليه، ثم قال: ويحك، لعلك ضارب أمير المؤمنين؟ فأراد أن يقول: لا، فقال: نعم.

فكبه، وأدخله المسجد، فجعل الناس يلطمونه من كل ناحية، حتى أقعدوه بين يدي علي.

فقال له: أخا مراد؟ بئس الأمير كنت لك؟

قال: لا، يا أمير المؤمنين^(٢).

وفي رواية: أنه قال له: «ولقد كنت أعلم أنك قاتلي، وإنما أحسنت إليك لاستظهر بالله عليك»^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٣٩ مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج ٣ ص ٣١١.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج ٤ ص ١٤٠ و ١٤١.

(٣) تذكرة الخواص ص ١٧٧.

وتذكر النصوص: أن قطاماً دعت بحريز فعصبت به صدر ابن ملجم ورفيقه، حينما تحركوا لتنفيذ جريمتهم بقتل سيد الوصيين «عليه السلام»^(١).
وذكرت بعض النصوص أيضاً: أن ابن ملجم تزوج قطاماً، وبنى بها ثم طالبت به بالوفاء بشرطها^(٢).

فزت ورب الكعبة:

وتقول الروايات: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» حين أحس بضربة ابن ملجم له قال: «فزت ورب الكعبة»^(٣).
وقد تحدثنا عن هذه الكلمة وما بمعناها في كتابنا: (الصحيح من سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»)^(٤) وغيره. ولا نريد أن نعيد هنا ما كتبناه هناك. بل نكتفي بإحالة القارئ عليه. ونؤكد عليه بالرجوع إليه.

(١) روضة الواعظين ص ١٣٣ وراجع ص ١٣٤ والمناقب للخوارزمي ص ٢٧٦ ونظم درر السمطين ص ١٤٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٦ ص ١١٦ و ١١٨ ومقاتل الطالبين ص ٣٣ ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج ٣ ص ٣١٣.
(٢) الثقات ج ٢ ص ٣٠٢ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٢٩ و ٣٢٧ وتذكرة الخواص ص ١٧٦ وأنساب الأشراف ج ٢ ص ٤٨٧ - ٤٩٢.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٩ ص ٢٠٧ وترجمة الإمام علي «عليه السلام» من تاريخ مدينة دمشق (تحقيق المحمودي) ج ٣ ص ٣٠٣ ومقتل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن أبي الدنيا (مطبوع في مجلة تراثنا - سنة ٣) عدد ٣ ص ٩٦.

(٤) الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج ٧ ص ٣٥٢ و ٣٦١.

علي عليه السلام يخبر عن الغيب:

وقد مرت الإشارة عن قريب إلى أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد أخبرهم أن قاتله سيخرج عليهم من الباب الفلاني.

وقد تحقق ما أخبره «عليه السلام» مباشرة. ويدخل ذلك في سياق سعيه «صلوات الله عليه» لتحصين الأمة من الوقوع في الشبهة، فلا يغرههم ما يظهر الخوارج المارقون من عبادة وزهادة ونسك وخشوع وذلك عن طريق الإثبات الواضح بالإخبارات الغيبية القاهرة للعقل والملازمة للوجدان أنه «عليه السلام» يملك علم الإمامة الذي يفرض عليهم البخوع والإنقياد له من دون أي شبهة أو ريب.

تاريخ الضربة:

وإن ما ذكره ابن أعثم: أن ضربة ابن ملجم لعلي «عليه السلام» كانت في الثالث والعشرين من شهر رمضان بخلاف ما هو معروف ومشهور من أن ذلك كان في التاسع عشر من شهر رمضان، ثم استشهد في الحادي والعشرين منه.

ولو أعلم إنك قاتلي:

وذكر ابن أعثم أيضاً: بأنه «عليه السلام» قال لابن ملجم: لو أعلم أنك قاتلي لقتلك.. ولا يمكن قبول ذلك منه، فإنه «عليه السلام» ما فتئ يخبر الناس تصريحاً وتلويحاً: بأن ابن ملجم هو قاتله، حتى إن بعض النصوص: أنهم قالوا له: لما لا تقتله؟!

فقال: لم يقتلني بعد.

وإن أدنى مراجعة لكتب الحديث والتاريخ كفيلة بإظهار هذه الحقيقة.

ابن ملجم يشرب الخمر، ويلبس الحرير:

ولسنا بحاجة إلى التأكيد على حقيقة: أن الخوارج كان يتظاهرون بالتدين، دون أن يكون لهم دين في الواقع.. بل كانوا يرتكبون أعظم المآثم، حتى شرب الخمر والزنى إلى درجة الدعارة الظاهرة.

وليس ابن ملجم في شربه للخمر ولبسه للحرير المحرم للرجال إلا المثال الذي تكثر نظائره فيهم. أخزاهم الله.

أصابع اليهود في قتل الوصي عليه السلام:

وعلى كل حال، فقد كانت مربية ابن ملجم يهودية^(١).

بل كما ذكره المجلسي، وابن أعثم وغيرهما، لقد روي عن جوين الحضرمي، قال: عرض (علي) علي الخيل، فمر عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه، أو قال: (عن) نسبه - فانتهى إلى غير أبيه. فقال له: كذبت.

حتى انتسب إلى أبيه، فقال: صدقت. أما إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حدثني: أن قاتلي شبه اليهود!!! هو يهودي، فامضه^(٢).

وتذكر نصوص أخرى مما لآلة الأشعث بن قيس لابن ملجم، وتأمرة

(١) بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٢٦٢.

(٢) ترجمة الإمام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ج ٣

ص ٢٩٣ وكنز العمال ج ١٥ ص ١٧٤ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٥ ومنتخب كنز

العمال (بهامش مسند أحمد) ج ٥ ص ٦٢.

معه على قتله «عليه السلام» (١).

الخوارج ينكرون قتل علي عليه السلام:

ويذكر البعض: أن بعض مؤرخي الخوارج في هذا العصر ينكرون قتل الخوارج لعلي «عليه السلام» ويقولون: إن قبيلة بني مراد التي كان عبد الرحمن بن ملجم منها لم يكونوا في جملة الخوارج.

وقد كذب مؤرخ الإباضية (وهم من الخوارج) الشيخ سليمان بن داود بن يوسف اشتراك الخوارج في قتل علي، استناداً إلى ما ذكرناه آنفاً، ويرى أن الأشعث بن قيس هو قاتل علي «عليه السلام»، وقد يكون معاوية قد أشار إليه بذلك.

ثم هو ينكر تأمر الخوارج الثلاثة على قتل علي ومعاوية وعمرو بن العاص، بل هو ينكر حتى أصل وجود هؤلاء الأشخاص الثلاثة (٢)، فراجع كلامه.

كما ترى كلام غير منطقي وغير مقبول، بعد إطباق الأمة الإسلامية. وأصبح ذلك من المتواترات القطعية: أن ابن ملجم الخارجي هو قاتل علي «عليه السلام» سواء صدقت رواية تأمر الثلاثة على قتل معاوية وابن العاص، وأمير المؤمنين «عليه السلام»، أم كذبت.. ولا ضرورة لإشغال أنفسنا في

(١) راجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤.

(٢) تحليلي از تاريخ إسلام، القسم الأول ص ١٣٣ و ١٣٤ ولم يظهر من المؤلف مخالفة لهم في هذا الرأي.

الرد على ترهات وأباطيل، تفقد أدنى فرصة للاحتيال المعقول، وحتى غير المعقول.

عقوبة قاتل علي عليه السلام:

وقد جاء في بعض الروايات: لما ضرب علي «عليه السلام» قال: «ما فعل ضاربي؟ أطعموه من طعامي، واسقوه من شرابي، فإن عشت، فأنا أولى بحقي، وإن مت فاضربوه ولا تزيدوه»^(١).

وقال البلاذري: «يقال: إن الحسن ضرب عنقه، وقال: لا أمثل به»^(٢).
رواية أخرى قالت: «إنه لما ضرب ابن ملجم علياً رضي الله عنه الضربة، قال علي: افعلوا به كما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يفعل برجل أراد قتله، فقال اقتلوه، ثم حرقوه» وهذه هي رواية أحمد.

وحسب نص ابن شهر آشوب: «إن هلك فاصنعوا به كما يصنع بقاتل النبي، فسئل عن معناه، فقال: اقتلوه ثم احرقوه بالنار»^(٣).

وفي نص آخر قال علي «عليه السلام»: «احبسوه، وأطيبوا طعامه، وألينوا فراشه، فإن أعش فعفو، أو قصاص. وإن أمت فألحقوه بي أخاصمه عند رب العالمين».

لكنه عاد فأضاف قوله: «فمات علي بن أبي طالب غداة يوم الجمعة،

(١) المناقب للخوارزمي ص ٢٨٠ و ٢٨١.

(٢) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٥٠٥.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٩٣.

فأخذ عبد الله بن جعفر، والحسن بن علي ومحمد بن الحنفية^(١) عبد الرحمن بن ملجم، فقطعوا يديه ورجليه، فلم يجزع، ولم يتكلم، ثم كحلوا عينيه بملمول محمى، ثم قطعوا لسانه، وأحرقوه بالنار^(٢).

ونقول:

الصحيح هو: أن الناس هم الذين فعلوا فيه ذلك، فعن عمران بن ميثم: «لقد رأيت الناس حين انصرفوا من صلاة الصبح أتوا بابن ملجم «لعنه الله»، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنهم سباع، وهم يقولون: يا عدو الله، ماذا فعلت؟! الخ...»^(٣).

ونص آخر يقول: «إن الحسن «عليه السلام»، قدمه فقتله، فأخذه الناس، فأدرجوه في بواري ثم أحرقوه بالنار»^(٤).

وذكر ابن شهر آشوب: أنه «عليه السلام» قال لهم: «ألا لا يقتلن بي إلا قاتلي ونهى عن المثلة»^(٥).

وذكر نص آخر: «أن أم الهيثم بنت الأسود النخعية استوهبت جيفته

(١) في هامش المصدر: زيد بناء على الطبقات ٣ / ١ / ٢٦.

(٢) الثقات ج ٢ ص ٣٠٣ والأخبار الطوال ص ٢١٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ق ١ ص ٢٥ و ٢٦ وراجع: أنساب الأشراف ج ٢ ص ٤٩٥ و ٥٠٢ و ٥٠٤.

(٣) مقاتل الطالبين ص ٣٧.

(٤) المناقب للخوارزمي ص ٢٨٠.

(٥) مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج ٣ ص ٣١٢.

من الإمام الحسن «عليه السلام»، فوهبها لها، فأحرقتها بالنار»^(١).
والخلاصة: أننا لا نشك في أن الإمام الحسن «عليه السلام» لا يخالف وصية أبيه من جهة.
ولا يرتكب مخالفة لحكم شرعي وهو تحريم المثلة، ولو بالكلب العقور من جهة أخرى.

فإن كان ابن ملجم قد تعرض لشيء من ذلك، فلا بد أن لا يكون ذلك عن رضى من قبل الحسين «عليهما السلام»، بل قد يكون فاعل ذلك هو الناس الذين أخذتهم حالة الهياج والحماس كما هو صريح كلام أبي الفرج. أو أم الهيثم، كما ذكره أبو الفرج، وابن شهر آشوب.

ابن ملجم صحابي مصيب في قتل علي عليه السلام:

وقال الحارثي الإباضي: «عدّ ابن حجر عبد الرحمن هذا من الصحابة. وذكر عن الإمام الشافعي: أنه لا يرى ابن ملجم مخطئاً في قتله، لأنه مجتهد. وكل مجتهد مصيب»^(٢). حتى على رأي علي نفسه كما زعم^(٣).

وقال ابن حزم: إن الشافعيين والمالكيين «لا يختلفون في أن من قتل آخر على تأويل، فلا قود في ذلك، ولا خلاف بين أحد من الأمة في أن عبد الرحمن بن ملجم لم يقتل علياً «رضي الله عنه» إلا متأولاً مجتهداً، مقدراً على

(١) مناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية) ج ٣ ص ٣١٣ ومقاتل الطالبين ص ٤١.

(٢) العقود الفضية ص ٤٣ و ٦٤.

(٣) العقود الفضية ص ٤٣ و ٦٤.

أنه صواب»^(١).

إذن، فابن ملجم عند هؤلاء مصيب في قتله علياً، وهو مأجور أيضاً
أجرين على ذلك، لأنه مجتهد، وإذا أصاب المجتهد - عند هؤلاء أيضاً - فله
أجران.. فكيف إذا كان ابن ملجم صحابياً، والصحابة عند هؤلاء كلهم
عدول أتقياء، ولا يفسقون بما يفسق به غيرهم؟، كما أوضحناه في الجزء
الأول من كتابنا الصحيح من سيرة النبي - الطبعة الثانية..

قال الأميني: «..لكن ابن حزم لا يرضى أن يكون قاتل عمر، أو قتلة
عثمان مجتهدين. ونحن أيضاً لا نقول به».

ثم ذكر «رحمه الله»: أن ما نسبته ابن حزم إلى الأمة لا يصح إلا ما كان عن
الخوارج المارقين عن الدين^(٢).

وذكر «رحمه الله» أيضاً موافقة الناس على قتل ابن ملجم عقوبة له. وأن
كلاً منهم يودّ أن يكون هو المباشر لقتله.

ثم أضاف قوله: إن فعل ابن ملجم لم يكن مما يتطرق إليه الاجتهاد،
فضلاً عن أن يبرره الإجتهد، ولو كان هناك اجتهد، فهو في مقابل النصوص
المتضادة^(٣).

(١) المحلى ج ١٠ ص ٤٨٢ والغدير ج ١ ص ٣٢٥ عنه.

(٢) الغدير ج ١ ص ٣٢٨.

(٣) قضايا في التاريخ الإسلامي ص ٨٥ وفي هامشه تاريخ الدولة العربية ص ٩٨ و ٩٩

عن الطبري، وتذكرة الخواص ص ١٨١ ومناقب آل أبي طالب (المطبعة العلمية)

ج ٣ ص ٣١٥.

وأما حديث أن كل مجتهد مصيب، ونسبة ذلك إلى علي «عليه السلام». فلا شك في أنه غير صحيح ولا يشك ذو مسكة أن علياً لا يقول في التصويب في الاجتهاد، ولهذا البحث مجال آخر.

قاتل علي عليه السلام هو معاوية:

هذا.. وقد روي ما يشير إلى أن معاوية كان بتأمره وكيدته وراء قتل أمير المؤمنين «عليه السلام» على يد ابن ملجم، وتدل على ذلك أبيات لأبي الأسود الدؤلي، فهو يقول:

ألا بلغ معاوية بن حرب فلا قرّت عيون الشامتين
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طراً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ببرّ خير من ركب السفينا
إلى أن يقول:

إذا استقبلت وجه أبي تراب رأيت البدر حار الناظرينا^(١)
ولا نستبعد ذلك على معاوية الذي كان من أصول الشجرة الملعونة في القرآن..

والحمد لله، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

(١) مناقب آل أبي طالب (ط النجف) ج ٣ ص ٩٧ و ٩٨.

كلمة أخيرة:

كان ما ذكرناه في هذا الكتاب مجرد ملاحظات، وملحات وتحليلات، تستند إلى الوقائع والنصوص، رأينا أنها جديرة بالتسجيل والعرض ضمن فصول، وأبواب، وفق منهجية اعتقدنا أنها تسهّل لنا إيصال ما نرمي إليه، إلى القارئ الكريم، مع حفظ التسلسل الطبيعي لها قدر الإمكان.

وقد يجد البعض ملامح ومبررات، تخوله أن يطلق عليها اسم بحث أو دراسة، ولن نعترض نحن بدورنا على هذه التسمية، بل قد استخدمنا نحن هذا التعبير أيضاً، مادمنّا لم نجد حرجاً ظاهراً في ذلك، غير أن علينا أن نعترف بأننا لم نخطط لهذه الدراسة منذ البداية لتكون مستوعبة وشاملة، ولا لتأخذ هذه الصفة أو تلك.

وما نريد أن نشير إليه هنا هو: أن هذه الدراسة قد كتبت قبل سنوات لتقدم إلى أحد المؤتمرات، الذي توخى أن يبحث في جوانب موضوعات كثيرة، كان من بينها الحركات والثورات التي ظهرت في المجتمعات الإسلامية على مدى التاريخ.

وقد وافق ذلك بعض الميل لدي إلى التعرف على هذا الموضوع بالذات الذي يمثل حالة كامنة، طالما عانى منها أمير المؤمنين «عليه السلام». لاعتقادي:

أن ذلك يفيد في التعرف على المحيط، وما فيه من خصائص فكرية وحالات اجتماعية، وغيرها مما كان يهيمن على الناس الذين عاشوا في ذلك المحيط، وكان أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام يتعامل معهم.

ومن الواضح: أن مستوى وعينا لذلك كله يؤثر بصورة مباشرة على فهمنا لحثيات التعامل السياسي والاجتماعي لأمر المؤمنين عليه الصلاة والسلام ثم هو يؤثر على ما نستخلصه من دروس وعبر من مواقفه «عليه السلام» ومن حركته، فإنه الإمام المعصوم الذي يمثل الأسوة والقُدوة.

ولكن علينا أن لا ننسى: أن هذه الدراسة أو هذا البحث ربما لم يستطع أن يلم بكل الجوانب، فقد بقيت ثمة مجالات كثيرة لا بد من التصدي للبحث فيها إن عاجلاً أو آجلاً، لكي تكتمل ملامح الصورة، ويمكن إصدار الأحكام بثقة أكثر، وباطمئنان أتم.

كما أن هذا البحث لم يتصدّ لمعالجة حركة أمير المؤمنين «صلوات الله عليه»، بصورة تفصيلية إلى حد الإغفال لأمر هامة إلا في حدود الإشارة والإلماح والتوسع حيناً، وباختصار شديد أحياناً أخرى..

ولأجل ذلك، فإن المفروض هو: القيام بدراسات أخرى تهدف إلى استقصاء مواقفه «صلوات الله وسلامه عليه»، للتعرف على خصوصياتها وجزئياتها، بصورة أجمع وأوضح، وأوفى..

وكل ذلك الذي ذكرناه يجعلنا نؤكد على أن هذه الدراسة تمثل دراسة تمهيدية، وليست هي الغاية ولا النهاية.

والتأمل فيما ذكرناه وسواه، وملاحظة الوقائع التاريخية، التي ترتبط

بظهور الخوارج، ومواقفه «عليه السلام» منهم يجعلنا نخرج بحقيقة: أنه لم يكن لأمر المؤمنين «عليه السلام» لا في أصل نشأتهم ولا في الظروف والعوامل التي ساعدت على ظهورهم أي اختيار، أو دور على الإطلاق.

كما أن ذلك يوضح: أن هؤلاء القوم لم يكونوا من أصحابه الذين تربوا على أفكاره، ومفاهيمه، التي هي الإسلام الخالص، ولا عرفوا من الإسلام إلا بعض الشعارات والظواهر العامة. ولم يتربوا تربية دينية صحيحة وكاملة. بل بقيت عصبياهم القبلية، ومفاهيمهم الجاهلية، ونزواتهم العاطفية، ومصالحهم الشخصية، وغير ذلك مما تقدم.. هي المنطلق والدافع لهم في مختلف تصرفاتهم ومواقفهم.

وكان لجهلهم، وللأحوال الاجتماعية والأخلاقية، وحتى الاقتصادية، وكذلك طبيعة الأحداث التي عاشوها بعد الفتح الإسلامي وغير ذلك من أمور، كان لذلك كله حالة من الهيمنة على ذلك المجتمع آنذاك، وتأثير كبير على علاقاتهم بمحيطهم، وبقائهم، ونوعية ارتباطهم بهذا وذاك..

نعم.. وقد أدرك معاوية والأمويون. أو فقل: أعداء أمير المؤمنين «صلوات الله عليه» بصورة عامة ذلك كله، واستفادوا منه ما أمكنهم في سبيل تحقيق أهدافهم اللإنسانية، واللامشروعة.. إما بمواقفهم المباشرة أحياناً، أو عن طريق التآمر والدس إلى عملائهم، والميالين إليهم أحياناً أخرى.

وملاحظة أخيرة نسجلها هنا، وهي: أن ما جاء في هذا البحث، بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى، ألحنا إلى شيء منها في سائر مؤلفاتنا يمثل أنموذجاً، يفيدنا: أن علياً أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام هو العلم الفرد الذي حقق المعجزات الكبرى والخالدة في مجال التعامل السياسي.

ولن تجدي المحاولات المغرضة التي يبذلها خصوم وأعداء أمير المؤمنين علي «عليه السلام» منذ كان حياً، وكذلك المستشرقون الحاقدون والمغرضون، ثم أحفاد أولئك، وأذئاب هؤلاء. للخط من شأن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وتصغير منزلته، بدعوى أنه لم يكن له خبرة سياسية كافية، وإلا لكان استمال هؤلاء، وخدع وغدر بأولئك واتبع سياسة التمزيق والفتنة تجاه فريق، أو القهر والقوة تجاه آخرين، إلى غير ذلك من الأساليب السياسية الرخيصة التي نواجهها في هذه الأيام، فتستقيم له بذلك الأمور، ويقوى موقعه في الحكم. فإنه «عليه السلام» في نفس الوقت الذي التزم فيه بمبادئه، وبأحكام دينه في كل مواقفه السياسية، وفي تعامله مع الأحداث، دون أن يحيد عنها قيد شعرة، قد حقق أهدافاً كبيرة يستحيل تحقيقها على أي من السياسيين الذين يستعملون مختلف الأساليب المنحرفة وغير الإنسانية في سياساتهم وفي مواقفهم.

وهذا هو ما تظهره الدراسة الموضوعية النزينة، والمنصفة، وهذا هو ما يفرضه الوجدان العلمي، وفق ما توفره النصوص التاريخية والحديثية والرجالية وغيرها.

ودع عنك كل الادعاءات والافتراءات التي تهدف إلى التزييف والتزوير للحقيقة، مما تنتجه عقول شيطانية، ما عرفت من المعايير والقيم الأخلاقية والإنسانية، والتوجيهات الإلهية، إلا اسمها، من أجل أن تستخدمها في عملياتها الخيانية للتاريخ وللأمة، فهي أشد من الوحوش الضارية في فتكاتها بالقيم، وبالأخلاق، وبالدين، وبإنسانية الإنسان في كل مجالاتها واتجاهاتها، دونها رحمة ودون هوادة.

وبعد.. فإننا نأمل من أولئك المخلصين الذين يغارون على دينهم، وعلى مثلهم وعلى مقدساتهم أن يضاعفوا من جهودهم في البحث والتحقيق، لإظهار الكثير الطيب مما تعمدت الأيدي الآثمة طمسه، أو إبعاده عن الأنظار.

وفي الختام: إنني أعتذر إلى القارئ الكريم عما يجده من إيجاز يكاد يكون مخلاً في موارد كثيرة.

وأسأله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل ثوابه لشهيد المحراب الأول علي أمير المؤمنين «صلوات ربي عليه وسلامه». ولكل شهداء الإسلام..

في كل زمان

وكل مكان..

والحمد لله، وصلاته وسلامه على عباده الذين اصطفى، محمد وآله الطيبين الطاهرين..

٣٠ / محرم / ١٤١١ هـ.ق

قم المشرفة - إيران

جعفر مرتضى العاملي

للتوثيق:

المصادر والمراجع..

مصادر ومراجع الكتاب:

القرآن الكريم.

- ألف -

- ١ - آفة أصحاب الحديث، لابن الجوزي - ط إيران.
- ٢ - الإباضية عقيدة ومذهباً، لصابر طعيمة - ط سنة ١٤٠٦ هـ.ق - دار الجليل - بيروت - لبنان.
- ٣ - الإبانة، للأشعري - ط سنة ١٣٩٧ هـ.ق وطبعة أخرى.
- ٤ - أبو الحسين زيد الشهيد، للسيد محمد الأمين العاملي - قم - إيران.
- ٥ - إثبات الوصية، للمسعودي - ط النجف الأشرف - العراق - ثم منشورات مكتبة بصيرتي - قم - إيران.
- ٦ - أحاديث أم المؤمنين عائشة، للسيد مرتضى العسكري - ط سنة ١٤٠٥ هـ.ق - دار الزهراء - بيروت - لبنان.
- ٧ - الإحتجاج، للطبرسي - ط سنة ١٣٨٦ هـ.ق - دار النعمان - النجف الأشرف - العراق - وط سنة ١٤١٣ هـ.ق - قم - إيران.
- ٨ - أحسن التقاسيم، للمقدسي - مكتبة خياط - بيروت - لبنان.

- ٩ - الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان لابن بلبان الفارسي - ط سنة ١٤٠٧ هـ. دار الكتب العلمية - بيروت.
- ١٠ - إحقاق الحق، للشهيد التستري - مطبعة الخيام - قم - إيران، إحقاق الحق (قسم الملحقات)، للسيد المرعشي «رحمه الله» - ط قم - إيران.
- ١١ - أحكام القرآن، للجصاص - ط دار إحياء التراث العربي - سنة ١٤٠٥ هـ. ق - بيروت - لبنان ونشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ١٢ - أحوال الرجال، للجوزجاني - ط سنة ١٤٠٥ هـ. ق - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ١٣ - أخبار السيد الحميري، للمرزباني - ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق - منشورات دار الباقر - مطبعة النعمان - النجف الأشرف - العراق.
- ١٤ - الأخبار الطوال، للدينوري - ط دار إحياء الكتب العربية - سنة ١٩٦٠ م.
- ١٥ - الاختصاص، للشيخ المفيد - انتشارات جماعة المدرسين - قم - إيران.
- ١٦ - إختيار معرفة الرجال، للطوسي (المعروف برجال الكشي) - ط النجف الأشرف - العراق - وط جامعة مشهد - سنة ١٣٤٨ هـ. ق - إيران.
- ١٧ - أدب المعتزلة، لعبد الحكيم بلبع - ط سنة ١٩٦٩ م - دار نهضة مصر - مطبعة الرسالة - القاهرة - مصر.
- ١٨ - الأذكياء، لابن الجوزي - ط سنة ١٣٨٩ هـ. ق - النجف الأشرف - العراق.
- ١٩ - الأربعون حديثاً، لسليمان بن عبد الله الماحوزي - ط سنة ١٤١٧ هـ. ق - مطبعة أمير - قم - إيران.

- ٢٠ - أرجح المطالب - ط لاهور.
- ٢١ - الإرشاد للمفيد - ط الحيدرية - النجف الأشرف - العراق - سنة ١٣٩٢ هـ. ق وط سنة ١٣٨١ هـ. ق - وط قم - إيران. وط سنة ١٣٩٩ هـ. ق. مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان.
- ٢٢ - الاستقامة، لمحمد بن سعيد الكدومي - ط سنة ١٤٠٥ هـ. ق - سلطنة عمان.
- ٢٣ - الإستيعاب، لابن عبد البر القرطبي - مطبوع بهامش الإصابة - سنة ١٣٢٨ هـ. ق - دار المعارف.
- ٢٤ - أسد الغابة، لابن الأثير الجزري - ط سنة ١٣٠٨ هـ. ق - ثم نشر مؤسسة إسماعيليان - طهران - إيران.
- ٢٥ - الإسلام، لهنري ماسيه - ط سنة ١٩٦٠ م - منشورات عويدات - بيروت - لبنان.
- ٢٦ - إسلام در إيران.
- ٢٧ - الإشتقاق، لابن دريد - منشورات مكتبة المشنى - سنة ١٣٩٩ هـ. ق - بغداد - العراق.
- ٢٨ - الأشعثيات، لمحمد بن محمد بن الأشعث الكوفي - مطبوع مع قرب الإسناد - مكتبة نينوى الحديثة - طهران - إيران.
- ٢٩ - الإصابة، لابن حجر العسقلاني - ط سنة ١٣٢٨ هـ. ق - دار المعارف - مصر.
- ٣٠ - اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لمحمد بن عمر الخطيب

- الرازي - ط سنة ١٣٩٨ هـ. ق - شركة الطباعة الفنية المتحدة - القاهرة - مصر.
- ٣١ - الأعلام النفسية، لابن رسته - ط ليدن.
- ٣٢ - الإعلام، للزركلي - ط دار العلم للملايين - سنة ١٩٨٤ م - بيروت - لبنان - والطبعة الأولى أيضاً.
- ٣٣ - أعيان الشيعة، للسيد محسن الأمين العاملي - الطبعة الأولى - والطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ. ق - بيروت - لبنان.
- ٣٤ - الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني - ط ساسي - وط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٣٥ - الإفصاح في إمامة علي «عليه السلام»، للشيخ المفيد - ط النجف الأشرف - العراق.
- ٣٦ - ألقاب الرسول وعترته - مطبوع ضمن مجموعة بعنوان (مجموعة نفيسة) - مكتبة بصيرتي - قم - إيران.
- ٣٧ - الإمام، لابن قاسم النويري الإسكندراني - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - حيدر آباد الدكن - الهند.
- ٣٨ - الأمالي، للشيخ الطوسي - ط النجف الأشرف - العراق.
- ٣٩ - الأمالي، للسيد المرتضى - ط سنة ١٣٨٧ هـ. ق - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ٤٠ - الأمالي، للشيخ المفيد - ط جماعة المدرسين - قم - إيران - سنة ١٤٠٤ هـ. ق - المطبعة الإسلامية.
- ٤١ - الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - مصر.

- ٤٢ - الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام - ط سنة ١٣٨٨ هـ.ق - نشر مكتبة الكليات الأزهرية - مصر.
- ٤٣ - أمير المؤمنين، للشيخ محمد جواد شري - ط سنة ١٤٠٠ هـ.ق - لبنان.
- ٤٤ - أنساب الأشراف - ط ليدن - وط دار المعارف بمصر - سنة ١٣٥٩ هـ.ق - وط لبنان سنة ١٣٩٤ و ١٣٩٧ هـ.ق.
- ٤٥ - الأنوار النعمانية، للسيد نعمة الله الجزائري - ط شركة جاب - تبريز - إيران.
- ٤٦ - الأوائل، لأبي هلال العسكري - ط سنة ١٩٧٥ م - دمشق - سوريا.
- ٤٧ - أوائل المقالات، للشيخ المفيد - منشورات مكتبة الداوري - قم - إيران.
- ٤٨ - الإيضاح، لابن شاذان - ط سنة ١٣٩٢ هـ.ق - جامعة طهران - إيران.
- ب -
- ٤٩ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي - ط سنة ١٣٨٥ هـ.ق - إيران - والطبعة الحجرية - وط سنة ١٤٠٣ هـ.ق - مؤسسة الوفاء - بيروت - لبنان.
- ٥٠ - البحر الزخار، لابن المرتضى - ط سنة ١٣٦٦ هـ.ق.
- ٥١ - بحوث في تاريخ السنة المشرفة، لأكرم ضياء العمري - ط سنة ١٣٩٥ هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ٥٢ - بحوث مع أهل السنة والسلفية، للسيد مهدي الروحاني - ط سنة ١٣٩٩ هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ٥٣ - بدائع الصنائع، لأبي بكر الكاشاني - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م - ط المكتبة الحبيبية - باكستان.

- ٥٤ - البدء والتاريخ، للمقدسي - ط سنة ١٩٨٨ م.
- ٥٥ - البداية والنهاية، لابن كثير الحنبلي - ط سنة ١٩٦٦ م - مكتبة المعارف - بيروت - لبنان.
- ٥٦ - البرصان والعرجان، للجاحظ - ط سنة ١٣٩٢ هـ. ق - دار الاعتصام - القاهرة وبيروت.
- ٥٧ - البرهان (تفسير)، للبحراني - ط آفتاب - طهران - إيران - والمطبعة العلمية - سنة ١٣٩٣ هـ. ق - إيران.
- ٥٨ - البشارة والاتحاف.
- ٥٩ - بصائر الدرجات، للصفار - ط سنة ١٣٨١ هـ. ق - ثم نشر مكتبة المرعشي - قم - إيران.
- ٦٠ - البصائر والذخائر، لأبي حيان التوحيدي - ط سنة ١٣٧٣ هـ. ق - القاهرة - مصر.
- ٦١ - بلاغات النساء، لطيفور - ط بيرقي - قم - إيران - وط سنة ١٩٧٢ هـ. ق - دار النهضة الحديثة - بيروت - لبنان.
- ٦٢ - البلدان، لابن واضح - المعروف باليعقوبي - ط ليدن.
- ٦٣ - بهج الصباغة، للشيخ محمد تقي التستري - ط سنة ١٣٩٠ هـ. ق - فما بعدها - مكتبة الصدر - طهران - إيران.
- ٦٤ - البيان والتبيين، للجاحظ - ط سنة ١٣٨٠ هـ. ق.
- ت -
- ٦٥ - تاج العروس، للزبيدي - ط سنة ١٣٠٦ هـ. ق - المطبعة الخيرية - مصر.

- ٦٦ - تاريخ ابن خلدون (راجع: العبر ديوان المبتدأ والخبر)
- ٦٧ - تاريخ الإسلام، للذهبي - مطبعة المدني - القاهرة - وط دار الكتاب العربي - بيروت - ودار الكتاب اللبناني - بيروت - ودار الكتاب المصري - مصر.
- ٦٨ - تاريخ الإسلام السياسي، لحسن إبراهيم حسن - ط سنة ١٩٦٤م - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٦٩ - تاريخ الإمامية، للدكتور عبد الله فياض - ط سنة ١٣٩٥هـ.ق - مؤسسة الأعلمي - بيروت - لبنان.
- ٧٠ - تاريخ الأمم والملوك، لمحمد بن جرير الطبري - ط الاستقامة - وط ليدن - وط دار المعارف بمصر.
- ٧١ - تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - نشر دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.
- ٧٢ - تاريخ دمشق، لابن عساكر مخطوط.
- والمطبوع منه: ترجمة الإمام علي «عليه السلام» بتحقيق المحمودي - ط بيروت - لبنان.
- ٧٣ - تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان - ط سنة ١٩٧٧م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان.
- ٧٤ - تاريخ الفرق الإسلامية، للغرابي - مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر - سنة ١٣٧٨هـ.ق.
- ٧٥ - تاريخ المذاهب الإسلامية، لمحمد أبي زهرة - دار الإتحاد العربي للطباعة.

- ٧٦- تاريخ واسط، تأليف: بحشل - ط سنة ١٤٠٦ هـ. ق - بيروت - لبنان.
- ٧٧ - تاريخ اليعقوبي، لابن واضح - ط دار صادر - بيروت - لبنان -
وط النجف - العراق.
- ٧٨ - تبصرة العوام.
- ٧٩ - تحليلي تاريخ إسلام، للدكتور جعفر شهيدي.
- ٨٠ - التدقيق الرباني.
- ٨١ - تذكرة الحفاظ، للذهبي - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٨٢ - تذكرة الخواص، لسبط ابن الجوزي - ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق -
النجف الأشرف - العراق.
- ٨٣ - تراثنا (مجلة) - تصدر عن مؤسسة آل البيت - قم - إيران.
- ٨٤ - ترجمة الإمام علي «عليه السلام» (راجع: تاريخ دمشق).
- ٨٥ - التعجب، للكراجكي - ط حجرية - مع كنز الفوائد للكراجكي.
- ٨٦ - تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - ط سنة ١٣٩٥ هـ. ق -
دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٨٧ - تقوية الإيمان، لمحمد بن عقال - ط سنة ١٣٨٦ هـ. ق - الحيدرية -
النجف الأشرف - العراق.
- ٨٨ - تقييد العلم، للخطيب البغدادي - ط سنة ١٩٧٤ هـ. ق - دار
إحياء السنة النبوية.
- ٨٩ - تلبيس إبليس، لابن الجوزي.

- ٩٠ - تلخيص الشافي، للشيخ الطوسي - ط سنة ١٣٩٤ هـ.ق.
- ٩١ - تلخيص المستدرك على الصحيحين، للذهبي - مطبوع بهامش مستدرك الحاكم سنة ١٣٤٢ هـ.ق - الهند.
- ٩٢ - التنبيه والإشراف، للمسعودي - سنة ١٣٥٧ هـ.ق - دار الصاوي - مصر.
- ٩٣ - التنبيه والرد، لمحمد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي - مكتبة المثنى - بغداد - العراق - المعارف - بيروت - لبنان.
- ٩٤ - تنقيح المقال -، للهامقاني - ط سنة ١٣٥٢ هـ.ق - المطبعة المرتضوية - النجف الأشرف - العراق.
- ٩٥ - تهذيب الأحكام، للشيخ الطوسي «رحمه الله» - ط النجف الأشرف - العراق - ثم سنة ١٣٩٠ هـ.ق - إيران.
- ٩٦ - تهذيب تاريخ دمشق، لعبد القادر بدران - ط سنة ١٣٩٩ هـ.ق - دار المسيرة - بيروت - لبنان.
- ٩٧ - تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني - ط دار صادر - بيروت - لبنان.
- ٩٨ - تهذيب الكمال، للزمري - ط سنة ١٤٠٨ هـ.ق - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ٩٩ - تيسير المطالب، في أمالي الإمام أبي طالب، لأبي طالب الزيدي - ط سنة ١٣٩٥ هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ١٠٠ - تيسير الوصول، لابن البديع - ط سنة ١٨٩٦ هـ.ق - وط جديدة طبعت مؤخراً.

- ث -

١٠١ - ثلاث رسائل للجاحظ - ط سنة ١٣٨٢ هـ. ق - المطبعة السلفية ومكتبتها.

١٠٢ - الثقات، لابن حبان - ط حيدر آباد الدكن - الهند - ١٣٩٣ هـ، ١٣٩٩ هـ. ق. وطبعة أخرى.

- ج -

١٠٣ - جامع البيان، للطبري - ط سنة ١٣١٢ هـ. ق - مصر.

١٠٤ - جامع بيان العلم، لابن عبد البر القرطبي - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - المدينة المنورة - الحجاز.

١٠٥ - الجامع الصحيح، للترمذي - نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ - وطبعة أخرى.

١٠٦ - الجامع الصغير، للسيوطي - ط ونشر عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

١٠٧ - الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي - ط سنة ١٣٣٣ هـ. ق - طهران - إيران.

١٠٨ - الجمل، للشيخ المفيد - ط ١٣٨١ هـ. ق - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - العراق. وط سنة ١٤١٣ هـ مكتب الإعلام الإسلامي - قم - إيران.

١٠٩ - جمهرة أنساب العرب، لابن حزم - ط سنة ١٣٩١ هـ. ق - دار المعارف بمصر.

- ١١٠ - جمهرة نسب قريش، للزبير بن بكار - ط سنة ١٣٨١هـ.ق - مطبعة المدني - القاهرة - مصر.
- ١١١ - جواهر الأخبار والآثار، المستخرجة من لجة البحر الزخار، للصفي - ط سنة ١٣٩٤هـ.ق - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ١١٢ - جواهر الكلام، للشيخ محمد حسن النجفي «رحمه الله» - ط سنة ١٩٨١م - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ١١٣ - الجوهرة في نسب علي بن أبي طالب وآله، للأصاري التلمساني - البري - ط سنة ١٤٠٢هـ.ق - بيروت - لبنان.

- ح -

- ١١٤ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، لأدم متر - ط سنة ١٣٨٧هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ١١٥ - حيلة الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني - ط سنة ١٣٨٧هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ١١٦ - الحور العين، لنشوان الحميري - ط سنة ١٩٩٧م - طهران - إيران.
- ١١٧ - حياة الإمام الحسن «عليه السلام»، لباقر شريف القرشي - ط سنة ١٣٧٥هـ.ق - النجف الأشرف - العراق.
- ١١٨ - الحياة السياسية للإمام الحسن، لجعفر مرتضى - ط سنة ١٤٠٥هـ.ق - جماعة المدرسين - قم - إيران.
- ١١٩ - حياة الشعر في الكوفة، ليوسف خليف - ط سنة ١٣٨٨هـ.ق - دار الكتاب العربي - القاهرة - مصر.

- ١٢٠ - حياة الصحابة، للكاندهلوي - ط سنة ١٣٩٢ هـ.ق - دار النصر للطباعة - القاهرة - مصر - ودار الوعي بحلب - سنة ١٣٩١ هـ.ق - سوريا.
- ١٢١ - الحيوان، للجاحظ - ط سنة ١٣٨٨ هـ.ق - بيروت - لبنان.

-خ-

- ١٢٢ - الخرائج والجرائح، للراوندي - ط حجرية مصطفىوي - إيران - وطبعة أخرى جديدة صدرت في قم - إيران.
- ١٢٣ - الخراج، لأبي يوسف - ط سنة ١٣٩٢ هـ.ق - المطبعة السلفية - القاهرة - مصر.
- ١٢٤ - خزانة الأدب، لابن حجر الحموي - ط دار القاموس الحديث - بيروت - لبنان.
- ١٢٥ - خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للشريف الرضي - ط سنة ١٣٩٥ هـ.ق - مكتبة بصيرتي - قم - إيران - وط الحيدرية - سنة ١٣٦٨ هـ.ق - النجف الأشرف - العراق.
- ١٢٦ - خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، للنسائي - ط الحيدرية سنة ١٣٨٨ هـ.ق - النجف الأشرف - العراق - وبتحقيق المحمودي - سنة ١٤٠٣ هـ.ق.
- ١٢٧ - الخطط والآثار، للمقرئزي - ط سنة ١٣٧٠ هـ.ق - مصر.
- ١٢٨ - خلاصة عبقات الأنوار، للسيد علي الميلاني - ط قم - إيران.
- ١٢٩ - الخوارج عقيدة وفكراً وفلسفة، لعامر النجار - ط سنة ١٤٠٦ هـ.ق - بيروت - لبنان.

- ١٣٠ - الخوارج في الإسلام، لعمر أبي النصر.
- ١٣١ - الخوارج في العصر الأموي، لنايف محمود معروف - ط سنة ١٤٠١هـ.ق - دار الطليعة - بيروت - لبنان.
- ١٣٢ - الخوارج في العصر العباسي.
- ١٣٣ - الخوارج هم أنصار الإمام علي، لسليمان بن داود - ط سنة ١٤٠٣هـ.ق - قسنطينة - الجزائر.
- ١٣٤ - الخوارج والشيعة، ليوليوس فلهوزن - ط سنة ١٣٧٨هـ.ق - نشر وكالة المطبوعات - الكويت.

- د -

- ١٣٥ - دائرة المعارف الإسلامية - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ١٣٦ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام، لجعفر مرتضى - ط سنة ١٤٠٠هـ.ق - قم - إيران - وط جماعة المدرسين - قم - إيران. وط دار السيرة - بيروت - لبنان
- ١٣٧ - الدرجات الرفيعة، للسيد علي خان - ط سنة ١٣٩٧هـ.ق - انتشارات بصيرتي - قم - إيران.
- ١٣٨ - الدر المنثور، للسيوطي - ط سنة ١٣٧٧هـ.ق.
- ١٣٩ - دلائل الصدق، للشيخ محمد حسن المظفر - ط سنة ١٣٩٥هـ.ق - قم - إيران.
- ١٤٠ - الدليل والبرهان - ط سلطنة عمان.
- ١٤١ - ديوان السيد الحميري، شاعر هادي شكر - نشر دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

- ذ -

١٤٢ - ذخائر العقبي، لأحمد بن عبد الله الطبري - ط سنة ١٩٧٤ م -
دار المعرفة - بيروت - لبنان.

- ر -

١٤٣ - ربيع الأبرار، للزنجشري - مطبعة العاني - بغداد - العراق -
منشورات الشريف الرضي - سنة ١٤١٠ هـ.ق - قم - إيران

١٤٤ - رجال المامقاني (راجع: تنقيح المقال).

١٤٥ - رجال النجاشي - ط مركز نشر كتاب، ومطبعة مصطفى -
وط سنة ١٤٠٧ هـ.ق - جماعة المدرسين - قم - إيران.

١٤٦ - رحلة ابن بطوطة - ط سنة ١٣٥٨ هـ.ق - مطبعة مصطفى محمد

- مصر.

١٤٧ - رسائل الجاحظ - نشر مكتبة الخانجي - سنة ١٣٨٤ هـ.ق -
القاهرة - مصر.

١٤٨ - رسائل العدل والتوحيد - دراسة وتحقيق محمد عمارة - دار
الهلal - سنة ١٩٧١ م.

١٤٩ - روض الأختيار المنتخب من ربيع الأبرار، لمحمد بن قاسم - ط
سنة ١٢٩٢ هـ.ق - بولاق - مصر.

١٥٠ - روضة الواعظين، للفتال النيسابوري - ط سنة ١٣٨٦ هـ.ق -
الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.

١٥١ - الرياض النضرة، للمحب الطبري - ط دار الكتب العلمية -
بيروت - لبنان - وطبعة أخرى.

- ز -

- ١٥٢ - الزهد والرقائق، لابن المبارك - الناشر محمد عفيفي الزعبي .
 ١٥٣ - زهر الآداب، للحصري - ط سنة ١٩٧٢ م - دار الجيل - بيروت
 - لبنان.

- س -

- ١٥٤ - سفينة البحار، للشيخ عباس القمي «رحمه الله» - ط مؤسسة فراهاني
 - إيران.
 ١٥٥ - السنة قبل التدوين، لمحمد عجاج الخطيب، ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق
 - مكتبة وهبة - مصر.
 ١٥٦ - سنن أبن ماجه - ط سنة ١٣٧٣ هـ. ق.
 ١٥٧ - سنن أبي داود - دار إحياء السنة النبوية.
 ١٥٨ - السنن الكبرى، للبيهقي - ط سنة ١٣٤٤ هـ. ق - الهند.
 ١٥٩ - السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات - لغات فلوتن.
 ١٦٠ - سير أعلام النبلاء، للذهبي - ط سنة ١٤٠٦ هـ. ق - مؤسسة
 الرسالة - بيروت - لبنان.
 ١٦١ - السيرة الحلبية، للحلبي الشافعي - ط سنة ١٢٢٠ هـ. ق.
 - ش -

- ١٦٢ - شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري - بيروت -
 لبنان.

١٦٣ - شرح الأخبار، للقاضي النعمان - ط سنة ١٤١٤ هـ. ق - دار الثقلين - بيروت - لبنان.

١٦٤ - شرح عقيدة التوحيد، لمحمد بن يوسف أطيّش - ط سنة ١٤٠٣ هـ. ق - سلطنة عمان.

١٦٥ - شرح المقاصد، للتفتازاني - منشورات الشريف الرضي - سنة ١٤٠٩ هـ. ق - قم - إيران.

١٦٦ - شرح المواقف، للإيجي - طبعة قديمة - ومنشورات الشريف الرضي - إيران - قم.

١٦٧ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد المعتزلي - ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق - مصر - وط سنة ١٩٦٣ و ١٩٦٦ فما بعدها - دار مكتبة الحياة - بيروت - لبنان.

١٦٨ - شرح نهج البلاغة، لابن ميثم البحراي - ط سنة ١٣٨٤ هـ. ق.

١٦٩ - الشعر والشعراء، لابن قتيبة - ط سنة ١٩٠٢ ليدن - ثم دار صادر - بيروت - لبنان.

١٧٠ - الشيعة في التاريخ، للزين - ط سنة ١٣٥٧ هـ. ق - صيدا - لبنان.

- ص -

١٧١ - صبح الأعشى، للقلقشديني - ط سنة ١٤٠٧ هـ. ق - دار المكتبة العلمية - بيروت - لبنان.

١٧٢ - صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري - ط سنة ١٣٠٩ هـ. ق - وط محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر. وط دار الفكر سنة ١٤٠١ هـ. ق. دار الفكر بيروت لبنان.

- ١٧٣ - صحيح مسلم - ط محمد علي صبيح وأولاده - سنة ١٣٣٤ هـ. ق
- مصر. وبشرح النووي دار الفكر - بيروت - لبنان.
- ١٧٤ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم، العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى - ط دار الهادي - ودار السيرة - بيروت - لبنان - سنة ١٤١٦ هـ. ق.
- ١٧٥ - صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر، لعبد الله حسن فضل الحسيني - ط سنة ١٣٤٦ هـ. ق - مطبعة كومين - اللاذقية - سوريا.
- ١٧٦ - الصراط المستقيم، للبياضي العاملي - ط سنة ١٣٨٤ هـ. ق - المكتبة المرتضوية - النجف الأشرف - العراق.
- ١٧٧ - صفات الشيعة، للشيخ الصدوق - ط إيران.
- ١٧٨ - صفين، لنصر بن مزاحم المنقري - ط سنة ١٣٨٢ هـ. ق.
- ١٧٩ - الصوارم المهرقة، للقاضي التستري - الشهيد ط سنة ١٣٦٧ هـ. ق
- إيران.

- ض -

- ١٨٠ - ضحى الإسلام، لأحمد أمين المصري - مكتبة النهضة - القاهرة
- مصر.

- ١٨١ - الضعفاء الكبير، للعقيلي - ط سنة ١٤٠٤ هـ. ق - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

- ط -

- ١٨٢ - الطبقات الكبرى، لابن سعد - ط ليدن - وط سنة ١٣٨٨ هـ. ق.
دار صادر - بيروت - لبنان. وط دار بيروت سنة ١٤٠٥ هـ. ق.

١٨٣ - الطرائف، لابن طاووس - ط سنة ١٤٠٠ هـ.ق - مطبعة الخيام
- قم - إيران.

-ع-

١٨٤ - العبر وديوان المبتدأ والخبر، لابن خلدون - ط سنة ١٣٩١ هـ.ق -
ط الأعلمي - بيروت - لبنان.

١٨٥ - العتب الجميل على أهل الجرح والتعديل، لمحمد بن عقيل - ط
سنة ١٣٩١ هـ.ق - نشر هيئة البحوث الإسلامية - أندونيسيا.

١٨٦ - العراق في العصر الأموي، لثابت الراوي - ط سنة ١٩٧٠ م -
النجف الأشرف - العراق.

١٨٧ - العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي - ط سنة ١٣٨٤ هـ.ق -
دار الكتاب العربي - وطبع الاستقامة.

١٨٨ - عقلاء المجانين، للحسن بن محمد النيسابوري - ط سنة
١٣٨٧ هـ.ق - المكتبة الحيدرية - النجف - العراق.

١٨٩ - العقود الفضية، للحرثي الإباضي - ط سنة ١٤٠٣ هـ.ق -
سلطنة عمان.

١٩٠ - علل الشرايع، للشيخ الصدوق «رحمه الله» - ط الحيدرية - سنة
١٣٨٥ هـ.ق - النجف الأشرف - العراق.

١٩١ - العواصم من القواصم، لابن عربي - تحقيق محب الدين الخطيب.

١٩٢ - العوالم، للشيخ عبد الله البحراني «رحمه الله»، ط مدرسة الإمام
المهدي - سنة ١٤٠٥ هـ.ق - قم - إيران.

١٩٣ - عيون الأخبار، لابن قتيبة - ط سنة ١٣٨٣ هـ. ق - المؤسسة المصرية العامة.

١٩٤ - العيون والحداثق، لمؤلف مجهول - مكتبة المشى - بغداد - العراق.

- غ -

١٩٥ - الغارات، للثقفى - مطبعة الحيدري - إيران - وانتشارات آثار أنجمن ملي - إيران.

١٩٦ - الغدير، للعلامة الأميني - ط سنة ١٣٩٧ هـ. ق - دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

١٩٧ - غريب الحديث، لابن سلام - ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق - حيدر آباد الدكن - الهند.

١٩٨ - غوالي اللثالي، لابن أبي جمهور - ط سنة ١٤٠٤ هـ. ق - إيران.

- ف -

١٩٩ - الفائق، للزنجشري - ط سنة ١٩٧١ م - عيسى البابي الحلبي - مصر.

٢٠٠ - فتح الباري، للعسقلاني - ط سنة ١٣٠٠ هـ. ق - بولاق - مصر - ثم نشر دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٠١ - الفتنة الكبرى، لطفه حسين - ط دار المعارف بمصر.

٢٠٢ - الفتوح، لابن أعثم - ط سنة ١٣٩٥ هـ. ق - الهند.

٢٠٣ - فجر الإسلام، لأحمد أمين المصري - ط سنة ١٩٦٩ م - بيروت - لبنان.

٢٠٤ - الفخري في الآداب السلطانية، لابن طباطبا - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق

- بيروت - لبنان.

٢٠٥ - فرائد السمطين، للجويني - ط سنة ١٤٠٠ هـ. ق - مؤسسة المحمودي

- بيروت - لبنان.

٢٠٦ - الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي.

٢٠٧ - الفرق بين الفرق، للبغدادى - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

٢٠٨ - فرق الشيعة، للنوبختي - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - المطبعة الحيدرية -

النجف الأشرف - العراق.

٢٠٩ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم - ط سنة ١٣٩٥ هـ. ق

- بيروت - لبنان.

٢١٠ - الفصول المختارة من العيون والمحاسن، للمفيد «رحمه الله» - ط

سنة ١٣٨١ هـ. ق - النجف الأشرف - العراق.

٢١١ - الفصول المهمة، لابن الصباغ المالكي - ط سنة ١٣٨١ هـ. ق -

الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.

- ق -

٢١٢ - قاموس الرجال، للمحقق الشيخ محمد تقي التستري - ط سنة

١٣٧٩ هـ. ق - مركز نشر الكتاب - طهران - إيران.

٢١٣ - قرب الإسناد، للحميري - إصدار مكتبة نينوي الحديثة - طهران -

إيران.

٢١٤ - قضايا في التاريخ الإسلامي، لمحمود إسماعيل - ط سنة ١٩٧٤ هـ. ق

- دار العودة - بيروت - لبنان.

- ك -

- ٢١٥ - الكافي، للكليني - ط سنة ١٣٧٧ هـ. ق - الحيدري - طهران - إيران - والمطبعة الإسلامية - سنة ١٣٨٨ هـ. ق - طهران - إيران.
- ٢١٦ - الكامل في الأدب، للمبرد - ط دار النهضة - مصر - وط المطبعة الأزهرية بمصر.
- ٢١٧ - الكامل في التاريخ، لابن الأثير - ط دار صادر - سنة ١٣٨٥ هـ. ق - بيروت - لبنان.
- ٢١٨ - كشف الارتباب، للسيد محسن الأمين العاملي - ط دار الغدير - طهران - إيران.
- ٢١٩ - كشف الأستار عن مسند البزار، للهيثمي - ط سنة ١٣٩٩ هـ. ق - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.
- ٢٢٠ - كشف الغمة، للأربلي - ط سنة ١٣٨١ هـ. ق - المطبعة العلمية - قم - إيران.
- ٢٢١ - كفاية الطالب، الكنجي الشافعي - ط سنة ١٣٩٠ هـ. ق - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.
- ٢٢٢ - الكفاية في علم الرواية، للخطيب البغدادي - المكتبة العلمية - المدينة المنورة - الحجاز.
- ٢٢٣ - كنز العمال، للمتقي الهندي - ط سنة ١٣٨١ هـ. ق أو ١٣٦٤ هـ. ق - الهند.
- ٢٢٤ - الكنى والألقاب، للشيخ عباس القمي - ط سنة ١٣٨٩ هـ. ق - الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.

- ل -

- ٢٢٥ - اللآلي المصنوعة، للسيوطي - ط سنة ١٣٩٥ هـ. ق - دار إحياء التراث العربي - أو دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٢٢٦ - لباب الآداب، لأسامة بن منقذ - ط سنة ١٣٥٤ هـ. ق - المطبعة الرحمانية - مصر.

- ٢٢٧ - لسان العرب، لابن منظور - ط دار صادر - بيروت - لبنان.
- ٢٢٨ - لسان الميزان، للعسقلاني - ط الأعلمي - بيروت - لبنان.

- م -

- ٢٢٩ - المبسوط للشيخ الطوسي - ط سنة ١٣٨٧ هـ. ق - ط طهران - إيران.
- ٢٣٠ - مجمع الزوائد، للهيثمي - ط سنة ١٣٦٧ م - نشر دار الكتاب - بيروت - لبنان.
- ٢٣١ - المحاسن والمساوئ، للبيهقي - ط مكتبة النهضة - مصر - وط دار صادر - بيروت - لبنان.
- ٢٣٢ - محاضرات الأدباء، للراغب الأصفهاني - ط بيروت - لبنان.
- ٢٣٣ - المحلى، لابن حزم - دار الآفاق الجديدة - بيروت - لبنان.
- ٢٣٤ - مرآة العقول، للمجلسي - دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران.
- ٢٣٥ - مروج الذهب، للمسعودي - ط سنة ١٩٦٥ م - دار الأندلس - بيروت - لبنان.
- ٢٣٦ - المستجاد من الإرشاد، للحسن بن المطهر الحلي - مطبوع ضمن

- (مجموعة نفيسة) انتشارات بصيرتي - قم - إيران.
- ٢٣٧ - المستجاد من فعلات الأجواد، للتنوخي.
- ٢٣٨ - مستدرك سفينة البحار، لعلي غازي الشاهرودي - ط سنة ١٤١٠ هـ.ق - مؤسسة البعثة - إيران.
- ٢٣٩ - المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري - ط سنة ١٣٤٢ هـ.ق - الهند.
- ٢٤٠ - مستدرك نهج البلاغة، لهادي كاشف الغطاء - منشورات مكتبة الأندلس - بيروت - لبنان.
- ٢٤١ - مستدرك الوسائل، للمحدث النوري - طبعة حجرية - وط مؤسسة آل البيت - قم - إيران.
- ٢٤٢ - المسترشد في إمامة علي «عليه السلام» - ط الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.
- ٢٤٣ - مسند الطيالسي - ط سنة ١٣٢١ هـ.ق - الهند.
- ٢٤٤ - مشهد الإمام علي في النجف، للدكتورة سعاد ماهر - ط دار المعارف بمصر.
- ٢٤٥ - مصادر نهج البلاغة، لعبد الزهراء الخطيب - ط الأعلمي - سنة ١٣٩٥ هـ.ق - بيروت - لبنان.
- ٢٤٦ - المصنف، لابن أبي شيبه - ط الهند - وط دار الفكر - بيروت - لبنان - سنة ١٤٠٩ هـ.ق.
- ٢٤٧ - المصنف، للصنعاني - ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق.

- ٢٤٨ - المعارف، لابن قتيبة - ط سنة ١٩٦٠ م - دار الكتب بمصر -
وط سنة ١٣٩٠ هـ. ق - دار إحياء التراث العربي - بيروت - مصر.
- ٢٤٩ - معاني الأخبار، للشيخ الصدوق - ط سنة ١٣٦١ هـ. ق - جماعة
المدرسين - قم - إيران - وط مكتبة المفيد - قم - إيران.
- ٢٥٠ - معجم الأدباء، لياقوت - ط سنة ١٩٢٣ م - مصر - المطبعة
الهندية.
- ٢٥١ - معجم البلدان، لياقوت الحموي - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - دار
صادر - ودار بيروت - بيروت - لبنان.
- ٢٥٢ - معجم الشعراء، للمرزباني.
- ٢٥٣ - المعجم الصغير، للطبراني - ط سنة ١٣٨٨ هـ. ق - المكتبة
السلفية - المدينة المنورة - الحجاز.
- ٢٥٤ - معرفة الصحابة، لأبي نعيم - مخطوط في مكتبة قبوسراي رقم
٤٩٧.
- ٢٥٥ - المعيار والموازنة، لابن الإسكافي - ط سنة ١٤٠٢ هـ. ق -
بيروت - لبنان.
- ٢٥٦ - المغازي، للواقدي - انتشارات إسماعيليان - طهران - إيران.
- ٢٥٧ - مقاتل الطالبين، لأبي الفرج الأصفهاني - ط سنة ١٩٧٠ م -
مؤسسة إسماعيليان - طهران - إيران.
- ٢٥٨ - مقالات الإسلاميين، للأشعري - ط سنة ١٣٦٠ هـ. ق - مصر.
- ٢٥٩ - مقتل أمير المؤمنين «عليه السلام»، لابن أبي الدنيا - مطبوع في

- مجلة تراثنا - مؤسسة أهل البيت «عليه السلام» - قم - إيران.
- ٢٦٠ - مقتل الحسين، للسيد عبد الرزاق المقرم - ط سنة ١٣٧٢ هـ. ق - مطبعة الآداب - النجف الأشرف - العراق.
- ٢٦١ - مقدمة ابن خلدون - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٢٦٢ - الملل والنحل للشهرستاني - ط سنة ١٣٨٧ هـ. ق - مصر.
- ٢٦٣ - المناقب، للخوارزمي - ط سنة ١٣٨٥ هـ. ق - المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف - العراق.
- ٢٦٤ - مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب - ط الحيدرية - النجف الأشرف - العراق - وط مصطفىوي - المطبعة العلمية - قم - إيران.
- ٢٦٥ - مناقب الإمام علي بن أبي طالب، لابن المغازلي - ط سنة ١٣٩٤ هـ. ق - طهران - إيران.
- ٢٦٦ - مناقب أمير المؤمنين، لمحمد بن سليمان الكوفي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - إيران.
- ٢٦٧ - منتخب كنز العمال - مطبوع بهامش مسند أحمد - سنة ١٣١٣ هـ. ق.
- ٢٦٨ - المنتخب من ذيل المذيل، لابن جرير الطبري - ط سنة ١٣٥٨ هـ. ق - مطبعة الاستقامة - القاهرة - مصر - وط دار المعارف بمصر.
- ٢٦٩ - منحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي، للساعاتي - مؤسسة مكة للطباعة والإعلام - مكة المكرمة - الحجاز.
- ٢٧٠ - المهدية في الإسلام، لسعد محمد حسن - ط سنة ١٣٧٣ هـ. ق - دار الكتاب العربي بمصر.

- ٢٧١ - الموسم (مجلة) - العددان ٢١ و ٢٢ - سنة ١٤١٦ هـ.ق.
- ٢٧٢ - الموسوعة العربية المسيرة.
- ٢٧٣ - الموفقيات، للزبير بن بكار - ط سنة ١٩٧٢ م.
- ٢٧٤ - ميزان الاعتدال، للذهبي - ط دار المعرفة - بيروت - لبنان.
- ٢٧٥ - ميزان الحكمة، لري شهري - نشر مكتب الإعلام الإسلامي - سنة ١٤٠٤ هـ.ق - إيران.
- ن -
- ٢٧٦ - النجوم الزاهرة، لابن تغري بردى - ط وزارة الثقافة والإرشاد - مصر.
- ٢٧٧ - نزل الأبرار، للبديخشاني الحارثي - ط سنة ١٤٠٣ هـ.ق - مطابع نقش جهان - طهران - إيران.
- ٢٧٨ - نزهة الناظر، للحلواني، ط سنة ١٤٠٤ هـ.ق - مطبعة سعيد - مشهد - إيران.
- ٢٧٩ - نسب قريش، لمصعب الزبيري - ط دار المعارف بمصر - ط سنة ١٩٧٦ م.
- ٢٨٠ - نشوار المحاضرة، للتنوشي - ط سنة ١٣٩١ هـ.ق.
- ٢٨١ - النصائح الكافية، لمحمد بن عقيل - مطبعة النجاح - بغداد - العراق.
- ٢٨٢ - النص والاجتهاد، للسيد عبد الحسين شرف الدين - ط سنة ١٣٨٦ هـ.ق - كربلاء - العراق.

- ٢٨٣ - نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي، لعلي حسن عبد القادر - ط سنة ١٩٦٥م - نشر دار الكتب الحديثة - القاهرة - مصر.
- ٢٨٤ - نظم درر السمطين، للزرندي الحنفي - ط مكتبة نينوى - طهران - إيران.
- ٢٨٥ - النهاية في اللغة، لابن الأثير - ط سنة ١٣٨٣هـ.ق - دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.
- ٢٨٦ - نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي - بشرح عبده - ط الاستقامة - وطبعات أخرى.
- ٢٨٧ - نهج السعادة، للمحمودي - ط سنة ١٣٨٧هـ.ق - مطبعة النعمان - النجف الأشرف - العراق.
- ٢٨٨ - نور القبس، لليغموري - ط سنة ١٣٨٤هـ.ق.
- و -
- ٢٨٩ - وسائل الشيعة، للحر العاملي - ط سنة ١٣٨٥هـ.ق - المكتبة الإسلامية - إيران.
- ٢٩٠ - وفيات الأعيان، لابن خلكان - ط سنة ١٣٩٨هـ.ق - ط دار صادر - بيروت - لبنان - وط سنة ١٣١٠هـ.ق.
- ي -
- ٢٩١ - ينباع المودة، للقندوزي الحنفي - ط سنة ١٣٠١هـ.ق - إسلامبول - تركيا.
- والحمد لله، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الباب الخامس: التظاهر بالتدين.....	٥
الفصل الأول: الزهد والعبادة.....	٧
الفصل الثاني: معاصي ومآثم:.....	٣١
الباب السادس: الخوارج طلاب ملك ودنيا	٤٧
الفصل الأول: الخوارج في العهد الأموي.....	٤٩
الفصل الثاني: القتال من أجل الملك.....	٧١
الفصل الثالث: مفارقات، وتناقضات في مواقف الخوارج	٨٧
الباب السابع: واقع الخوارج	١٠١
الفصل الأول: الخوارج في البلاد والقبائل	١٠٣
الفصل الثاني: تركيبة الخوارج	١٢٣
الفصل الثالث: ميزات .. وخصائص	١٣٩
الفصل الرابع: شجاعة الخوارج.....	١٥١
الباب الثامن: ذلك مبلغهم من العلم.....	١٦٩
الفصل الأول: الجهل .. والعلم.....	١٧١

١٨٣.....	الفصل الثاني: رجال ينسبون إلى الخوارج
٢٠١.....	الفصل الثالث: عقائد.. وأقاويل
٢٣١.....	الفصل الرابع: الفقه.. وأصوله
٢٥٣.....	الفصل الخامس: أدب الخوارج
٢٧٣.....	الباب التاسع: تلك هي البداية.. وهذه هي النهاية
٢٧٥.....	الفصل الأول: يكون آخرهم لصوصاً سلايين
٢٩٩.....	الفصل الثاني: مفارقات في الموقف والممارسة
٣٠٥.....	الفصل الثالث: الإباضية.. إنكفاء.. وانطواء
٣٢٣.....	الفصل الرابع: الوهابيون، والخوارج: صلات، وسمات
٣٣٥.....	الفصل الخامس: شقيق عاقر ناقة صالح
٣٥٣.....	كلمة أخيرة
٣٥٩.....	المصادر والمراجع
٣٨٩.....	الفهارس

الفهرس التفصيلي:

الباب الخامس: التظاهر بالتدين.....٥

الفصل الأول: الزهد والعبادة.....٧

- ٩ زهد الخوارج وعبادتهم:
- ١٠ هذا هو رأي الأمويين أيضاً:
- ١٠ ماذا يقول المؤلفون؟!:
- ١١ هذا التصور ليس جديداً:
- ١٢ الإصرار على تكذيب رسول الله ﷺ:
- ١٣ تبريرات لا تصح لتشدّد الخوارج في الدين:
- ١٩ العجب هو الداء الدوي:
- ٢٠ الوصف الدقيق:
- ٢٥ القتال على الأموال:
- ٢٧ لم يعطه المال، فأعلن الحرب:
- ٢٨ يريد المال ليعصي به الله:
- ٢٨ خبرتهم بالخمير وبالعواهر:

الفصل الثاني: معاصي ومآثم..... ٣١

- ٣٣..... بداية:
- ٣٣..... دعارة الخوارج:
- ٣٤..... الدعارة بمرسوم. والغيرة معدومة:
- ٣٥..... ترك الصلاة:
- ٣٥..... الخوارج فساق مراق:
- ٣٦..... لا تقوى لمتعت:
- ٣٦..... شرب الخمر:
- ٣٧..... لبس الحرير:
- ٣٧..... العمل بالتقية:
- ٣٧..... الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله:
- ٤٠..... ممارسات لا إنسانية:
- ٤١..... الحقد الدفين هو الدافع:
- ٤٢..... صعصعة يصف أحد زعمائهم:
- ٤٣..... عمال ليزيد:
- ٤٣..... تركهم لحدود الله:
- ٤٣..... التطبيق الانتقائي للأحكام والتساهل فيها:
- ٤٣..... لا يعاقب شارب الخمر لنكايته في العدو:
- ٤٤..... محابة وتساهل والكيل بمكيالين:

الباب السادس: الخوارج طلاب ملك ودنيا: ٤٧..

الفصل الأول: الخوارج في العهد الأموي..... ٤٩

- ٥١..... في العهد الأموي:
- ٥١..... بين عهدين:
- ٥٢..... سبي الخوارج:
- ٥٣..... جاء الآن ما لا شك فيه:
- ٥٤..... نقاط ضعف الخوارج:
- ٥٥..... الخوارج ينهكون الحكم الأموي:
- ٥٧..... أهل الكتاب يستعملون نفوذهم:
- ٥٨..... الأمويون، واسم علي عليه السلام:
- ٥٩..... الخوارج.. وقريش.. وخزاعة:
- ٦٢..... في العهد العباسي:
- ٦٥..... الخوارج في الشمال الأفريقي:
- ٦٨..... البربر.. والخوارج:
- ٦٩..... خارجي يحكم مصر:

الفصل الثاني: القتال من أجل الملك..... ٧١

- ٧٣..... بداية:
- ٧٤..... الأهداف الباطلة:
- ٧٤..... ألاعيبهم في سبيل الحكم:
- ٧٥..... يوليه، فينصرف عن خارجيته:

- ندماء الملوكة: ٧٦
- مدائحهم للطواغيت: ٧٦
- صداقات ومحبة: ٧٧
- بيعتهم لابن زياد: ٧٧
- وفاء حروري للعرش الأموي!!: ٧٧
- الوصول إلى الحكم هدفهم: ٧٨
- الهرب في الحروب، والتفرق، والبغضاء: ٧٩
- يقتلون إخوانهم للخلاص من السجن!!: ٧٩
- الغدر والخيانة وتطبيق الأحكام انتقائياً: ٨٠
- القعود عن الحرب، والفرار: ٨٠
- رأي ابن خلدون: ٨٥
- نعم.. إن هذا لا يصح، إذ قد: ٨٥
- الفصل الثالث: مفارقات، وتناقضات في مواقف الخوارج.. ٨٧
- بداية: ٨٩
- موقفهم من الإمام الحسن عليه السلام: ٩٠
- موقفهم من زيد بن علي عليه السلام: ٩١
- معاونتهم لأبي مسلم الخراساني: ٩٣
- معونتهم لابن الزبير: ٩٣
- معونتهم للأمويين: ٩٧

الباب السابع: واقع الخوارج.....١٠١

الفصل الأول: الخوارج في البلاد والقبائل...١٠٣

- تأثير علي عليه السلام في خوارج الكوفة: ١٠٥
- خوارج البصرة أكثر عدداً: ١٠٥
- خوارج الكوفة أكثر استعداداً للحوار: ١٠٦
- مناطق الخوارج: ١٠٦
- لا بد من الدقة: ١١٠
- الخوارج في إفريقية: ١١١
- الخوارج في القبائل وبني تميم: ١١٢
- دور العرقية في مواقف ربيعة: ١١٤
- ربيعة مظلومة: ١١٥

الفصل الثاني: تركيبة الخوارج.....١٢٣

- ما لا بد للباحث من معرفته: ١٢٥
- العمريون والخوارج: ١٢٨
- تعقيب على سياسات عمر العنصرية: ١٢٩
- الخوارج عرب وموالي: ١٢٩
- عصبية العرب الخوارج ضد إخوانهم: ١٣١
- الهمج والرعاع في الخوارج: ١٣٢
- ويقول المؤرخون: ١٣٤
- لحقوا بالخوارج فراراً من الحجاج: ١٣٥

- تركيبة الخوارج عند الجاحظ: ١٣٥
- خلاصة لما سبق: ١٣٦
- الفصل الثالث: ميزات.. وخصائص..... ١٣٩**
- الغباء.. والسطحية: ١٤١
- لا جامعة فكرية أو عقائدية: ١٤٢
- مواصفات الخوارج بنظر البعض: ١٤٥
- بداوة الخوارج: ١٤٨
- التقليد والمحاكاة: ١٤٩
- الفصل الرابع: شجاعة الخوارج..... ١٥١**
- شجاعة الخوارج، وسر بعض انتصاراتهم: ١٥٣
- الخوارج ليسوا شجعاناً: ١٥٤
- شهرة فرار الخوارج في الحروب: ١٥٦
- العدة والعدد لدى الخوارج: ١٥٨
- أسباب بعض نفحات الشجاعة فيهم: ١٥٩
- الشجاعة واليأس: ١٦٧
- الباب الثامن: ذلك مبلغهم من العلم..... ١٦٩**
- الفصل الأول: الجهل.. والعلم..... ١٧١**
- الجهل والجفاء: ١٧٣
- قصم ظهري اثنان: ١٧٧
- الخوارج.. يرجعون إلى تلامذة علي عليه السلام: ١٧٨

رواية الخوارج عن مسلمة أهل الكتاب: ١٨٢

الفصل الثاني: رجال ينسبون إلى الخوارج..... ١٨٣

بداية: ١٨٥

عكرمة من الخوارج: ١٨٦

أبو عبيدة، معمر بن المثنى: ١٨٨

إتهام إمام المالكية: ١٨٩

أبو وائل، أبو بلال: ١٩٠

مرداس بن أدية: ١٩٠

الحسن البصري: ١٩١

ابن عمر: ١٩٢

إياس بن معاوية: ١٩٢

أنس بن مالك: ١٩٣

أشخاص اتهموا أو عرفوا برأي الخوارج: ١٩٣

توضيح لا بد منه: ١٩٧

أضواء على ما تقدم: ١٩٧

مبررات أخرى للشك في نسبة الخارجية إلى البعض: ١٩٩

الفصل الثالث: عقائد.. وأقاويل..... ٢٠١

عقائد الخوارج: ٢٠٣

عقائد الخوارج لمحات وسمات: ٢٠٤

الخوارج وأهل السنة: ٢٠٤

- الخوارج والسبئية: ٢٠٥
- الخوارج كفار مشركون: ٢٠٦
- الرواية المزيفة: ٢٠٦
- القلقشندي، وعقائد الخوارج: ٢٠٧
- الله تعالى وصفاته لدى الخوارج: ٢٠٨
- النبوة والنبي: ٢٠٩
- إنكار شفاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ٢١٠
- الخوارج والتبرك بآثار الأنبياء عليهم السلام: ٢١٠
- السياسة الحجاجية الأموية: ٢١١
- الإمام والإمامة عند الخوارج: ٢١٣
- الخوارج والمهدية: ٢١٦
- إمامة المرأة: ٢١٧
- أئمة الجور: ٢١٧
- إذا كفر الإمام كفرت الرعية: ٢١٧
- الموقف من الصهرين ومن الصحابة: ٢١٨
- عذاب القبر: ٢١٩
- سورة يوسف ليست من القرآن: ٢٢٠
- الخوارج ضد تأويل القرآن: ٢٢٠
- سهولة التكفير عند الخوارج: ٢٢٠

- بين القدرية والخوارج: ٢٢٢
- المرجئة والخوارج: ٢٢٣
- قسوة التعاليم: ٢٢٣
- رغم القسوة: ٢٢٤
- جنون التقية: ٢٢٤
- تأثيرات الإباضية بالمعتزلة في عقائدهم: ٢٢٦
- فرقة الإباضية والخوارج: ٢٢٩
- تنكر الإباضية حتى للاسم: ٢٣٠
- الفصل الرابع: الفقه.. وأصوله ٢٣١
- للتوضيح فقط: ٢٣٣
- الخوارج.. والعلم: ٢٣٥
- مؤلفو الخوارج في الفقه: ٢٣٦
- أسباب التخفيف من حدة التعاليم: ٢٣٦
- هل للإباضية فضل على العلوم الإسلامية؟! ٢٣٩
- تضييق الخوارج على أنفسهم: ٢٤٠
- الفتيا والعلم عند الخوارج: ٢٤٠
- تقييم إجمالي: ٢٤٢
- ابن حجية مخدوع، أم ماكر؟! ٢٤٣
- من فقه الخوارج!! ٢٤٤
- علم علي عليه السلام بنظر الإباضية: ٢٤٧

٢٤٧.....	السنة النبوية والإجماع:
٢٤٨.....	الخوارج والرواية:
٢٤٨.....	الإجتهد:
٢٤٩.....	عملهم بالقياس:
٢٥٣.....	الفصل الخامس: أدب الخوارج
٢٥٥.....	شعراء الخوارج:
٢٥٥.....	الأرجاز في شعر الخوارج:
٢٥٦.....	شعراؤهم من العرب والموالي:
٢٥٧.....	كيف يرى المؤلفون أدب الخوارج:
٢٥٩.....	مبالغات لا مبرر لها:
٢٦٢.....	دعاوى أخرى حول أدب الخوارج!!
٢٦٤.....	خلاصة الرأي في أدب الخوارج:
٢٦٨.....	صعصعة.. والخوارج!!
٢٦٩.....	من خطب ومواقف صعصعة مع الخوارج:
٢٧٢.....	هفوة ظاهرة:
٢٧٣.....	الباب التاسع: تلك هي البداية.. وهذه هي النهاية
٢٧٥.....	الفصل الأول: يكون آخرهم لصوصاً سلايين
٢٧٧.....	بداية:
٢٧٨.....	الخوارج: فورة وخمود:
٢٨١.....	من عوامل الإنحسار:

- مواقفهم من غير المسلمين: ٢٨٣
- نتائج وآثار: ٢٨٧
- الفصل الثاني: مفارقات في الموقف والممارسة..... ٢٩١
- مرونة أم تحلل؟! ٢٩٣
- ١ - ابن إباح وهشام بن الحكم: ٢٩٤
- ٢ - الكميت والطرماح: ٢٩٥
- ٣ - زر بن حبيش، وأبو وائل: ٢٩٧
- ٤ - تزوج الحميري بخارجية: ٢٩٧
- دعبل والشرارة: ٢٩٧
- تناقض في المواقف: ٢٩٨
- التساهل عبر الزمن: ٢٩٨
- الإلتجاء في وقت مبكر نحو التخفيف: ٢٩٩
- من الإنكفاء إلى الانطواء: ٣٠١
- الفصل الثالث: الإباضية.. إنكفاء.. وانطواء.. ٣٠٥
- تساهل الإباضية هو سر بقائهم: ٣٠٧
- الفرنساويون.. والإباضية: ٣٠٩
- فجوة بين عقائد الإباضية وسائر الخوارج: ٣١٠
- الإباضية وحكام الجور: ٣١١
- الإباضية.. وعلي أمير المؤمنين عليه السلام: ٣١٤
- الميزان: هو علي عليه السلام: ٣١٨

الفصل الرابع: الوهابيون، والخوارج: صلات، وسلمات... ٣٢٣

٣٢٥ صلات وسلمات:

الفصل الخامس: شقيق عاقر ناقة صالح... ٣٣٥

٣٣٧ علي عليه السلام يعرف قاتله، وكيف يقتله:

٣٤٠ الخوارج يقتلون أوصياء الأنبياء:

٣٤٤ فزت وربّ الكعبة:

٣٤٥ علي عليه السلام يخبر عن الغيب:

٣٤٥ تاريخ الضربة:

٣٤٥ ولو أعلم إنك قاتلي:

٣٤٦ ابن ملجم يشرب الخمر، ويلبس الحرير:

٣٤٦ أصابع اليهود في قتل الوصي عليه السلام:

٣٤٧ الخوارج ينكرون قتل علي عليه السلام:

٣٤٨ عقوبة قاتل علي عليه السلام:

٣٥٠ ابن ملجم صحابي مصيب في قتل علي عليه السلام:

٣٥٢ قاتل علي عليه السلام هو معاوية:

كلمة أخيرة: ٣٥٣

٣٥٩ المصادر والمراجع:

٣٨٩ الفهارس:

كتب مطبوعة للمؤلف

- ١ - الآداب الطبية في الإسلام
- ٢ - ابن عباس وأموال البصرة
- ٣ - ابن عربي سنّي متعصب
- ٤ - أبو ذر لا إشتراكية.. ولا مزدكية
- ٥ - أحيوا أمرنا
- ٦ - إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم
- ٧ - إسرائيل.. في آيات سورة بني إسرائيل.. تفسير ثمان آيات..
- ٨ - الإسلام ومبدأ المقابلة بالمثل
- ٩ - الإعتماد في مسائل التقليد والإجتهد (صدر منه جزء واحد)
- ١٠ - أفلا تذكر «حوارات في الدين والعقيدة»
- ١١ - أكذوبتان حول الشريف الرضي
- ١٢ - الإمام علي والنبي يوشع عليهما السلام
- ١٣ - أهل البيت عليهم السلام في آية التطهير
- ١٤ - أين الإنجيل؟!
- ١٥ - بحث حول الشفاعة

- ١٦ - براءة آدم عليه السلام حقيقة قرآنية
- ١٧ - البنات ربائب.. قل: هاتوا برهانكم
- ١٨ - بنات النبي صلى الله عليه وآله أم ربائبه؟!
- ١٩ - بيان الأئمة وخطبة البيان في الميزان
- ٢٠ - تحقيقي در باره تاريخ هجري
- ٢١ - تخطيط المدن في الإسلام
- ٢٢ - تفسير سورة ألم نشرح
- ٢٣ - تفسير سورة الضحى
- ٢٤ - تفسير سورة الفاتحة
- ٢٥ - تفسير سورة الكوثر
- ٢٦ - تفسير سورة الماعون
- ٢٧ - تفسير سورة الناس
- ٢٨ - تفسير سورة هل أتى (جزءان)
- ٢٩ - توضيح الواضحات من أشكال المشكلات
- ٣٠ - الحاخام المهزوم
- ٣١ - حديث الإفك
- ٣٢ - حقائق هامة حول القرآن الكريم
- ٣٣ - حقوق الحيوان في الإسلام
- ٣٤ - الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام
- ٣٥ - الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام
- ٣٦ - الحياة السياسية للإمام الرضا عليه السلام

- ٣٧ - خسائر الحرب وتعويضاتها
- ٣٨ - خلفيات كتاب مأساة الزهراء عليها السلام (سنة أجزاء)
- ٣٩ - دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (أربعة أجزاء)
- ٤٠ - دراسة في علامات الظهور
- ٤١ - دليل المناسبات في الشعر
- ٤٢ - ربائب الرسول صلى الله عليه وآله «شبهات وردود»
- ٤٣ - رد الشمس لعل عليه السلام
- ٤٤ - زواج المتعة (تحقيق ودراسة) (ثلاثة أجزاء)
- ٤٥ - الزواج المؤقت في الإسلام (المتعة)
- ٤٦ - زينب ورقية في الشام!!
- ٤٧ - سلمان الفارسي في مواجهة التحدي
- ٤٨ - سنابل المجد (قصيدة مهداة إلى روح الإمام الخميني وإلى الشهداء الأبرار)
- ٤٩ - السوق في ظل الدولة الإسلامية
- ٥٠ - سياسة الحرب في دعاء أهل الثغور
- ٥١ - سيرة الحسين عليه السلام في الحديث والتاريخ (أنجز منه ١٥ جزءاً)
- ٥٢ - شبهات يهودي
- ٥٣ - الشهادة الثالثة في الأذان والإقامة
- ٥٤ - الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (ثلاثة وخمسون جزءاً)
- ٥٥ - الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله (خمسة وثلاثون)
- ٥٦ - صراع الحرية في عصر الشيخ المفيد
- ٥٧ - طريق الحق (حوار مع عالم جليل من أهل السنة والجماعة)

- ٥٨ - ظاهرة القارونية من أين؟! وإلى أين؟!
- ٥٩ - ظلامه أبي طالب عليه السلام
- ٦٠ - ظلامه أم كلثوم
- ٦١ - عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفيفاني
- ٦٢ - عصمة الملائكة بين فطرس.. وهاروت وماروت
- ٦٣ - علي عليه السلام والخوارج (جزءان)
- ٦٤ - الغدير والمعارضون
- ٦٥ - فصل الخطاب في الميزان
- ٦٦ - القول الصائب في إثبات الربائب
- ٦٧ - كربلاء فوق الشبهات
- ٦٨ - لست بفوق أن أخطيء من كلام علي عليه السلام
- ٦٩ - لماذا كتاب مأساة الزهراء عليها السلام؟!
- ٦٧ - ماذا عن الجزيرة الخضراء ومثلث برمودة؟!
- ٧١ - مأساة الزهراء عليها السلام (جزءان)
- ٧٢ - مختصر مفيد (أسئلة وأجوبة في الدين والعقيدة)، (ثمانية عشر جزءاً).
- ٧٣ - مراسم عاشوراء «شبهات وردود»
- ٧٤ - المسجد الأقصى أين؟!
- ٧٥ - مقالات ودراسات
- ٧٦ - منطلقات البحث العلمي في السيرة النبوية
- ٧٧ - المواسم والمراسم
- ٧٨ - موقع ولاية الفقيه من نظرية الحكم في الإسلام

- ٧٩- موقف الإمام علي عليه السلام في الحديبية
- ٨٠- ميزان الحق «شبهات وردود» (أربعة أجزاء)
- ٨١- نقش الخواتيم لدى الأئمة عليهم السلام
- ٨٢- وقفات مع ناقد
- ٨٣- الولاية التشريعية
- ٨٤- ولاية الفقيه في صحيحة عمر بن حنظلة